وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة - الجزائر

العلامة الشيخ مبارك بن محمد الميلي

الحياة العلمية في العراق بعد الغزو المغولي

(656 - 736 هـ/ 1258 - 1335 م)

أطروحة *لنيل* شهادة دكتوراه في التاريخ الإسلامي الوسيط

إعداد الطالب : خالد كريبي

إشراف:أ.د مبارك بوطارن

أعضاء لجنة المناقشة:

أ د/ خالد كبير علال	أستاذ التعليم العالي	المدرسة العليا للأساتذة – بوزريعة–	رئيسا
أ د/ مبارك بوطارن	أستاذ التعليم العالي	المدرسة العليا للأساتذة – بوزريعة–	مشرفا ومقررا
د/ وسيلة فراج	أستاذ محاضر أ	المدرسة العليا للأساتذة – بوزريعة–	عضوا مناقشا
د/ مروان بن شوش	أستاذ محاضر أ	المدرسة العليا للأساتذة – بوزريعة–	عضوا مناقشا
د/ عبد القادر ربوح	أستاذ محاضر أ	جامعة زيان عاشور – الجلفة–	عضوا مناقشا
د/ محمد عيساوي	أستاذ محاضر أ	جامعة محمد بوضياف – المسيلة–	عضوا مناقشا

السنة الجامعية : 1440-1441هـ/2019- 2020

الإهـداء

إلى والدي الكريمين رحمهما الله، اللذين وهبا لي كل الرعاية

والمودة و الدعاء.

إلى زوجتي الفاضلة التي أعانتني على إنجاز هذا العمل

إلى كل من كان له الفضل في إتمام هذا البحث .

إليهم جميعا أهدي هذا العمل المتواضع.

شكر وتقدير

الحمد الله و الصلاة و السلام على رسول الله

يسـرني أن أقدم جزيل شكري و تقديري إلى الأستاذ الدكتور بوطارن مبارك الذي تفضل بالإشراف على هذه الأطروحة و قدم لي النصح والتوجيه و منحني الكثير من علمه ووقته.

و الشكر الموصول إلى كل من مدّ لي يد العون.

الطالب : كريبي خالد

بسم الله الرحمن الرحيم

« إنّي رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال في غده:

لو غُيِّرَ هذا لكان أَحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قُدِّمَ هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمَل، وهذا من أعظم العِبَر، وهو دليل على استيلاءِ النَّقص على جملة البشر». العماد الأصفهاني

مقدمة

يتناول موضوع هذه الأطروحة الحياة العلمية في العراق خلال الغزو المغولي (656- 736هـ/ 1258-1335م) بعد أن أصبح العراق جزءا تابعا للدولة الايلخانية التي أنشاها هولاكو في إيران على أنقاض الدولة الخوارزمية التي شملت خراسان و بلاد الجبل و فارس ثم أحكمت هذه الدولة يدها على العراق بعد ذلك بسنتين (656هـ/1258م) وتوسعت نحو بلاد الشام.

وقد ظهر المغول كقوة كبرى مؤثرة في القرن السابع هجري/ الثالث عشر ميلادي، و تعرض المشرق الإسلامي لظروف عصيبة جراء الغزو المغولي إذ دمرت الجيوش المغولية بقيادة جنكيز خان مدنا إسلامية كثيرة و أخذت تقتل وتدمر كل شيء أمامها.

استهدفت الهجمة المغولية الاستيلاء على أراضيه، وإحكام السيطرة عليها سياسياً واقتصادياً وثقافياً، فقد بدأت حملاتهم سنة 617هـ/1219م، إذ هاجموا الدولة الخوارزمية، وهزموها ، واستولوا على أراضيها التي امتدت من العراق إلى حدود تركستان، واستولوا على أقاليم في إيران واستقروا فيها ، ثم توجهوا نحو العراق، فاستولوا في طريقهم على قلاع الإسماعيلية سنة 654هـ/1256م، ثم زحفوا نحو بغداد، وأنهوا وجود الخلافة العباسية فيها سنة 656هـ/1258م .

كان للغزو المغولي أثر كبير في مجالات الحياة المختلفة: السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وقد تناول الباحثون الجانب السياسي، وأشبعوه بحثاً وكتابة ولم تحظ الجوانب الأخرى بالكثير من اهتمامهم . ومن هنا جاء هذا البحث ليميط اللثام عن جانب مهم منها، وهو الجانب العلمي وليبيّن الأثر الذي خلّفه المغول بعد غزوهم للعراق.

وتهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن جانب شبه مجهول من جوانب تاريخ العراق في فترة محددة، فلا يكفي أن نقول أن المغول في النصف الثاني من القرن السابع هجري / الثالث عشر ميلادي حطموا حضارة العراق و احرقوا بغداد و خربوا كل المدن التي وصلوا إليها ، و إنما لابد من أن نقف على الأحوال

العلمية لهذا البلد عندما قدم إليها المغول و حتى ندرك فداحة الخسارة التي حلت بالحضارة الإسلامية على أيديهم و نقارن بين صورة العراق قبل غزو المغول و بعد ذلك الغزو.

وندرك من ناحية أخرى أيضا كيف فر العديد من العلماء من وجه المغول من العراق و اتجهوا غربا إلى بلاد الشام و مصر في عصر سلاطين المماليك.

إن التطرق لموضوع الحياة العلمية و الفكرية للعراق في هذه الفترة بالذات ليس أمرا سهلا و لا ميسورا لوجود الكثير من العقبات التي تعترض الباحث في هذا الموضوع، والتي من أهمها: التناقض الواضح في المعلومات التي تقدمها المصادر المختلفة و التي سيطرت على بعضها الأهواء الشخصية ، وأثرت فيها الاختلافات المذهبية .

لقد كان من أسباب اختياري موضوع البحث الرغبة في إظهار حجم المعاناة و المحن التي تعرض لها المجتمع العراقي االمسلم في مرحلة معينة من تاريخه ، وإظهار مدى الحقد و الضغينة التي يكنها أعداء الإسلام لهذا الدين و لهذه الأمة و مدى الشرخ الذي أصاب الأمة الإسلامية في عصورها الأخيرة إلى درجة أن البعض منها فتح أبواب البلاد لأعداء الأمة و الدين و أعانهم على القتل و التدمير لشعوبهم و حضارتهم !.

و مما شجعني أيضا على اختيار هذا الموضوع رغبتي في تبيين كيف أن المحن تزيد الأمة و علماءها المتمسكين بالدين صلابة و قوة في مواجهة الأعداء.

وتحاول هذه الدراسة الإجابة عن إشكالية رئيسية هي :

- ما مدى تأثير الغزو المغولي على الحياة العلمية في العراق. وهل يعني بالضرورة نهاية الدور السياسي والديني للعراق نهايته العلمية؟ بالإضافة إلى تساؤلات أخرى :

– ما الدور الذي أداه العلماء في مواجهة الغزو المغولي بعد خلو العراق من القيادة السياسية القادرة على الدفاع عنه؟ و كيف انتقل المجتمع من حالة الاسترخاء إلى المواجهة الإيجابية ؟و هل فعلاً حدث التغيير في الأمة الإسلامية إثر صدمة الغزو المغولي القوي؟

– هل صحيح أن الحياة العلمية في العراق انتهت بدخول المغول ؟ و انتقل العلم إلى مصر و بلاد الشام على حد قول ابن خلدون وغيره من المؤرخين.

– و ما صحة ما بينته بعض الكتابات و الدراسات الحديثة من أن العراق شهد بعد الغزو المغولي و سيطرتهم عليه حركة علمية نشيطة إلى حد كبير نتيجة الحرية التي تمتع بها العلماء أيام الغزو المغولي؟ وكيف أصبح حال بغداد و العراق بعد إسلام المغول؟

– هل كان الغزو المغولي تمكينا جديدا للشيعة نظير المساعدات التي قدمها الوزير ابن العلقمي للغزاة بعدما استبعدت مدنهم من التدمير المغولي وتحولت مدينة الحلة مثلاً إلى مركزا علمياً فاصطبغت الحياة العلمية بعد ذلك بمذهبتيهم ؟.

– التأثير الايجابي للعلماء الذين هجروا بغداد و دور هم في ازدهار الحركة العلمية في مواطنهم الجديدة و حقيقة هذا الدور الذي بالغت في تصويره بعض المصادر.

– مامصير التراث العلمي الذي حوته خزائن الكتب التي عُرفت بها بغداد بعد وقوعها في أيدي هؤلاء الغزاة. و ماحقيقة ما ورد في بعض المصادر التاريخية من حرق أشهر مكتبات بغداد واستعمال الكتب كجسر لعبور نهر دجلة.

منهج البحث :

إن المنهج المتبع في هذه الدراسة لا يختلف عن ما هو مألوف في معالجة الحوادث التاريخية فهو تاريخي وصفي تحليلي يستلزم دراسة الأحداث التاريخية بهدف استخراج الحقيقة والعبر اعتمادا على سرد ووصف

الحوادث زمنيا حفاظا على تسلسلها ،واستخلاص الوقائع التاريخية ومقارنتها.كما يحتاج البحث في بعض من جوانبه إلى المنهج الإحصائي لتثبيت الخسائر التي لحقت بالمدارس و المكتبات و مختلف المؤسسات العلمية و حتى أعداد و أسماء العلماء الذين قتلوا على يد القوات المغولية الغازية في بغداد و مدن أخرى من العراق.

و كأي عمل لم يخلو من الصعوبات و لعل في مقدمة الصعوبات التي واجهتني في هذا العمل تباين وجهات نظر المؤرخين في تقييم الفترة محل الدراسة حيث يظهر اتجاهين متباينين أولاهما التقييم السلبي الذي تبناه ابن خلدون في نظرته للحياة العلمية في العراق حيث ذكر :" أن معالم بغداد درست بدروس الخلافة ، فانتقل شأنها من الخط و الكتابة بل و العلم إلى مصر و الشام" و هو تقييم تشترك فيه الكثير من المصادر التاريخية خاصة الشامية و المصرية منها و التي كتبها مؤرخون من بلاد الشام و تابعهم عليها آخرون من مصر، أما الاتجاه الثاني فأشار إلى غير ذلك واغلبها مصادر عراقية عاصرت الحوادث أو كانت قريبة منها ،بل حتى بعض الدراسات الأكاديمية الحديثة حيث يذكر أن العراق بعد الغزو المغولي له ،وسيطرتهم عليه شهد حركة علمية نشطة إلى حد كبير،وتسوق على أن فترة الغزو المغولي بالعراق كانت أكثر مرونة و تسامح وحرية في النشاط العلمي و الفكري بالنسبة لبعض التيارات مقارنة بأيام العباسيين الأخيرة وقد حاولت في هذه الدراسة النأي قدر المستطاع عن هذا السجال و البحث عن الحقيقة لا غير و فق رؤية موضوعية لتاريخ المشرق الإسلامي.

أما ثانيها فهو تناثر المعلومات الخاصة بالموضوع في أمهات المصادر العربية و غير العربية بدرجة اقل والتي تعتمد في معظمها على سرد الحوادث دون إفراد أبواب خاصة للمجال الفكري و العلمي، لذا كان من صميم عملي من وجهة نظري المتواضعة قراءة اكبر قدر ممكن من المصادر و استخراج معلومات الموضوع من ثناياها، خاصة و أن المصادر التي تتحدث عن تاريخ المغول تُركز كثيرا على الأحداث السياسية و العسكرية، و ثالثها معيقات ذاتية أبرزها الانقطاع عن البحث بسبب كثرة مشاغل الحياة، و صعوبة البحث بعد التقدم في السن.

و قد اشتملت الأطروحة على مقدمة، و خمسة فصول، و خاتمة، وبعض الملاحق وقائمة بأهم المصادر و المراجع، ثم ختمت بفهرس الموضوعات.

أما المقدمة فبينت فيها أهمية الموضوع و دراسة لأهم المصادر و المراجع التي اعتمد عليها البحث.

وتناول الفصل الأول (الأوضاع العامة في العراق قبيل الغزو المغولي) و يشتمل أربعة مباحث، بينت في المبحث الأول تدهور الأوضاع السياسية في هذه الفترة الحرجة وصور ضعف الخلافة في هذا العهد، والعلاقة السيئة للخلافة العباسية بالقوى الإسلامية المجاورة.

أما المبحث الثاني فسلطت فيه الضوء على الأوضاع الاجتماعية في دولة الخلافة الإسلامية و الجوانب التي كان لها تأثير على الوضع الداخلي بالعراق قبيل الغزو المغولي كحدوث الفتن بين أصحاب الفرق و المذاهب الإسلامية و خصوصا بين السنة و الشيعة، و ظهور طائفة العيارين الذين كانوا يمارسون الفساد بكل أشكاله.

ويتحدث المبحث الثالث عن الأوضاع الاقتصادية التي ترتبط عادة بالأوضاع السياسية قوة و ضعفا، فالعلاقة بينهما طردية في اغلب الأحوال و عليه فإن تدهور الأوضاع السياسية في العراق أدى إلى ضعف الأحوال الاقتصادية من جهة كما كان للعامل الاقتصادي دور في تراجع قوة الدولة العباسية من جهة أخرى. وفي المبحث الرابع تناولت الحياة العلمية ،وأكدت أن العراق وعاصمته بغداد حافظت على مكانتها العلمية في العصور العباسية المتأخرة التي اتسمت بالضعف والانقسام من الناحية السياسية.

أما الفصل الثاني و عنوانه (الغزو المغولي للعراق) فقد اشتمل على خمسة مباحث تطرقت في المبحث الأول إلى ظهور المغول على مسرح الأحداث في المشرق الإسلامي سنة 615هـ/1218م، وما نتج عنه من زوال الدولة الخوارزمية و استيلاء المغول على ممتلكاتها، و ألقيت فيه الضوء على زحف هولاكو على بغداد و الاستيلاء عليها وسقوط الخلافة العباسية، وبينت في المبحث الثاني تقصير الخلفاء في صد الخطر المغولي وان المصير الذي آلت إليه الخلافة العباسية يتحمله آخر أربع خلفاء .

وتتبع المبحث الثالث المؤامرات التي كانت سببا في سقوط بغداد ونهاية الخلافة العباسية على أيدي المغول و التساهل الذي وجدوه من بعض حكام الأطراف عندما تعاونوا معهم لسقوط الخلافة العباسية.

وتطرق المبحث الرابع إلى الجهود و المحاولات التي بذلها العلماء ،والتي تؤكد على الدور الايجابي للعلماء تجاه الغزو من خلال إنكارهم للغزو كلية ، و العمل على مقاومته ،و رفض التعاون مع الغزاة و إن كلفهم ذلك الإيذاء أو القتل. ثم جعلت المبحث الخامس يدور حول سياسة المغول في العراق بعد نجاحهم في السيطرة على العراق وإسقاط الخلافة العباسية وعملهم على تثبيت سلطانهم في هذه البلاد، وإحكام السيطرة على الأمور والنواحي.

أما الفصل الثالث و عنوانه (تأثير الغزو المغولي على الحياة العلمية) فقد اشتمل على خمسة مباحث عالجت في المبحث الأول الآثار السلبية على الوضع الثقافي و الحياة العلمية في العراق جراء التخريب الذي لحق بالمنشآت العلمية من مدارس و مساجد و رُبط، وتتبع المبحث الثاني حادثة إحراق الكتب وإلقائها في نهر دجلة وتحوّل مياه النهر إلى اللون الأسود من كثرة الكتب التي ألقيت فيه ،وهل هي حادثة صحيحة، وهل حقًا فعل المغول ذلك؟. و اختص المبحث الثالث بدراسة خراب العمران بعد دخول المغول إلى العراق، وأن ما حل ببغداد قد يكون مشابها لمدن كثيرة من العالم الإسلامي كان المغول قد غزاها.

أما المبحث الرابع فقد أوضحت فيه تراجع حركة التأليف بعد الغزو المغولي كان كبيراً و ظاهراً نتيجة الواقع السيئ الذي عاش فيه العراق، وفقدان الكثير من رجال العلم و الفكر و انتقال البعض من العلماء العراقيين نحو بلاد الشام و مصر،وبينت في الخامس انتشار التصوف والتسهيلات التي تمتع بها الفكر الصوفي والحماية الكبيرة التي وفرت له في الفترة محل الدراسة.

وفي الفصل الرابع الذي خصصته للحياة العلمية في العراق أيام الغزو المغولي و فيه أيضا أربعة مباحث خصص الأول لمعرفة أهم المدن أو المراكز التي استؤنفت فيها الحركة العلمية نشاطها في العراق بعد الغزو و الثاني للحديث عن أهم المؤسسات التي ساهمت في النهوض بالعلم والثقافة في هذا العصر

من مساجد و ربط ومدارس ومكتبات و زوايا وتناول المبحث الثالث مظاهر النشاط العلمي المتمثلة في المجالس العلمية و المناظرات التي كانت تعقد لمختلف العلوم ، و المبحث الأخير أفردته للإنتاج العلمي الذي شهده العراق وأشهر العلماء خلال هذه الفترة.

أما الفصل الخامس عنوانه (انتعاش الحياة العلمية خارج العراق بعد الغزو) وفيه مبحث عن عوامل ازدهار الحركة العلمية في القاهرة فكان الحديث عن اهتمام السلاطين المماليك و وزرائهم و جهودهم في دعم الحركة العلمية و الاهتمام بها، و في المبحث الثاني تطرقت إلى هجرة العراقيين إلى مصر و دورهم الكبير في تنشيط الحركة العلمية، أما الثالث تحدثت فيه عن مؤسسات التي رعت هذا النشاط، و المبحث الرابع تناول الإنتاج العلمي في مصر خلال هذا العصر ، و لهذا الفصل أهمية خاصة في هذا العمل لأنه يمكن أن يؤكد ما ذهبت إليه بعض المصادر التاريخية من أن سوق العلم انتقل فعلا إلى مصر، و يتيح المقارنة مع الفصل الذي قبله (الرابع).

عرض لأهم المصادر التي اعتمد عليها البحث:

تتميز مصادر الدراسة في غالبيتها بأنها مصادر قريبة ومعاصرة لفترة الدراسة ، و ليس هذا فحسب بل إن بعض مؤلفيها من أبناء العراق ممن كانوا يعيشون في فترة الاحتلال المغولي و يأتي في مقدمة تلك المصادر كتاب الحوادث الجامعة و التجارب النافعة في المائة السابعة: تأليف عبد الرزاق بن أحمد بن محمد المعروف بابن الفُوَطِي ، الذي أسر عند دخول المغول بغداد سنة 656هـ/1258م ،فاتصل بنصير الدين الطوسي فخدمه و اهتم بالتاريخ و الأخبار ، و كانت وفاته سنة 723هـ/ 1325م.

و يعتبر كتابه الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة مصدرا مهما فيما يتعلق بتاريخ العراق وهو يغطي الفترة من سنة 626هـ/1228م إلى سنة 700هـ/1301م. وقد أمدنا بمعلومات موسعة عن الدولة العباسية في عهدها الأخير قبل سقوطها بيد المغول،ورغم ما يثار حول هذا الكتاب الذي

حققه الدكتور مصطفى جواد من انه منسوب إليه فقط ، وأن مؤلفه مجهول إلا أن البحث قد أفاد منه كثيراً.

بالإضافة إلى كتابيه مجمع الآداب في معجم الألقاب ، وتلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، للمؤرخ نفسه، ترجم فيهما لأعيان الناس من العلماء، والأمراء خاصة في العراق، وأورد فيهما معلومات غزيرة عن الحياة العلمية في بغداد، ولكن مما يؤخذ عليه أن تراجمه كثيراً ما كانت هزيلة وفقيرة، حيث لا يوجد في بعضها إلا الاسم، كما أنه لم تكن له طريقة واحدة يتبعها في كل تراجمه، من حيث الإطارين الزمني والمكاني.ولم استفد من كتابه الثاني إلا من جزءه الرابع لان الجزء الخامس على ما يبدو مفقوداً.

كتاب الكامل في التاريخ: لعز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير(555-630هـ /1166-1233م) ، وقد عاش معظم حياته في مدينة الموصل ، وقد ألف كتابه منذ بدء الخليقة و انتهى عند آخر سنة 628هـ/1231م، وقد رتب كتابه في التاريخ الإسلامي على النظام الحولي ، و قد تحرى الدقة فيه و ابتعد عن الإسهاب و التكرار.

و للأجزاء الأخيرة من كتاب الكامل أهمية خاصة كونه يحوي أحداثا عاصرها المؤلف و قد اعتمد البحث على ما كتبه ابن الأثير أوائل القرن السابع هجري عند دراسة العراق و حالته السياسية و الدينية قبيل الغزو المغولي ، و أحداث الغزو المغولي الأول بقيادة جنكيز خان.و قد سجل ذلك و هو مفعم بالأسى و الحزن فذكر أنها المصيبة الكبرى التي عمت الخلائق و خصت المسلمين ، فلو قال قائل:"إن العالم منذ خلق الله سبحانه وتعالى ادم و إلى الآن ، لم يبتلوا بمثلها ، لكان صادقا ، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها".إضافة إلى كتابه الثاني التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية الذي يعد من المصادر التي خدمت الدراسة بصورة كبيرة فيما يخص تاريخ الموصل خاصة أن مؤلفه من أهله.

كتاب تاريخ مختصر الدول لمؤلفه ابن العبري (ت 685هـ/1286م) و هو مؤرخ مسيحي معاصر للغزو المغولي للعالم الإسلامي، حيث أن عائلته اضطرت للفرار هربا من المغول وقد تحدث في كتابه عن المغول و غزوهم للعالم الإسلامي وهولاكو و أعماله و موقفه من المسيحيين.

كتاب تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للإمام الحافظ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن محمد بن عثمان الذهبي (ت748هـ/1347م)، و يعتبر كتاب تاريخ الإسلام كتاب شامل في التاريخ والتراجم لمدة زمنية ليست بالقصيرة فهو يمتد في حوادثه وتراجمه من فترة النبوة وحتى سنة (700هـ/1300م)،كما أن الإمام الذهبي من المعروفين بالضبط والتحري في النقل، ومما زاد كتابه حسنا على حسن أن مؤلفه من رجال الحديث بل من أئمتهم وكبارهم، ولذا جاءت رواياته مأمونة أكثر من غيرها بسبب تحريه في الرواية و النقل. وقد أفادت الدراسة من هذا الكتاب إفادة كبيرة إذ لا يكاد يخلو فصل من فصولها إلا ولكتاب تاريخ الإسلام فيها اثر،بالإضافة إلى كتابيه سير أعلام النبلاء و العِبر في خَبر من غَبَر بدرجة أقل.

مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: مؤلف هذا الكتاب هو ابن عبد الله، أبو المظفر، شمس الدين، يوسف بن قز غلو، المعروف بسبط بن الجوزي (ت654هـ/1257م). اتبع في طريقة تأليفه لكتاب المرآة، نهج جده لامه عبد الرحمن ابن الجوزي، في المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم حيث جمع بين الأحداث التاريخية والتراجم الشخصية للأعلام والمشاهير، توقف هذا الكتاب في سنة654هـ/1257م أي قبيل وفاة مؤلفه.حيث يعطينا معلومات تاريخية ذات قيمة عن دولة العباسيين في بغداد.

كتاب البداية والنهاية : عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي(ت774هـ/1376م) وقد بدأ في كتابة تاريخه منذ بداية الخليقة إلى أن يصل إلى أحداث عصره، واستخدم في ذكر أحداثه نظام الحوليات، فيذكر في كل سنة أهم الأحدث التاريخية في العالم الإسلامي ثم يختم ذلك بذكر أشهر من توفي في تلك

السنة من الأعلام المشهورين.وقد كان وصفه لأحداث سقوط بغداد من أكثر الأوصاف شمولا و دقة ، إلا أنه لا يقطع برأيه فيم يذكر من حوادث كما في عدد من قتل من أهالي بغداد .

كتاب تاريخ المغول، و يعرف بجامع التواريخ: و هو كتاب ترجمه إلى العربية فؤاد عبد المعطى الصياد للمؤرخ و الوزير رشيد الدين فضل الله الهمذاني المتوفى سنة 718هـ/1280م الذي عاصر الحوادث وكان قريبا منها جغرافيا، وقد أفاد البحث من الجزء الأول و الثاني من المجلد الثاني و هو عن تاريخ هولاكو خان و أبنائه.

كتاب معجم البلدان، لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي(ت 626هـ/1228م) و هو معجم جغرافي كبير في أسماء البلدان، و تأتي مصداقية هذا المصدر من كون مؤلفه كتب معظمه من واقع مشاهداته، فهو معاصر لأحداث الغزو المغولي في بداياته، و قد استفدت منه في التعريف بأغلب الأماكن التي مرت في ثنايا البحث.

كتاب المواعظ و الاعتبار في ذكر الخطط و الآثار المعروف بالخطط المقريزية ، لأبي العباس احمد بن علي المقريزي (ت 845هـ/1441م)، و قد أفادني الكتاب في دراسة الحياة العلمية في القاهرة بعد موقعة عين جالوت ،و خاصة ما تعلق بالمدارس التي انتشرت في مصر و المذاهب الفقهية التي كانت تدرس بها. أما كتابه الثاني السلوك لمعرفة دول الملوك فهو بمثابة موسوعة تاريخية لمصر في عصر المماليك ، ومن أهم مصادر العصر المملوكي فقد عرض فيه جوانب من حياة العلماء .

كتاب الذيل على طبقات الحنابلة، للحافظ زين الدين عبد الرحمن بن رجب البغدادي الحنبلي (ت 795 هـ/ 1392 م)، وهو تراجم لطبقات علماء المذهب الحنبلي، وقد رتبه مؤلفه على الوفيات لا على الأحرف، ويعد كتابه هذا تاريخاً حافلاً بالأخبار عن الحنابلة ومذهبهم، على امتداد قرابة ثلاثة قرون من سنة 460 هـ/ 1067 م إلى سنة 751 هـ/ 1350م، ويعد كتابه أهم مصدر رجعت إليه في دراستي للعلماء الحنابلة، ولا يساويه في ذلك مصدر أخر.

و من المصادر التي أثرت الدراسة – أيضا- كتاب مختصر التاريخ للكازروني (ت697هـ/1299م)، و كتاب مختصر تاريخ الخلفاء لابن ساعي (ت 674هـ/1276م) فقد أمدا الدراسة فيما يخص أخبار أخر الخلفاء.

كما استفادت الدراسة من بعض المصادر المختصة بالوفيات و التراجم و السير ، ككتاب وفيات الأعيان و أنباءُ أبناءِ الزمان لابن خلكان (ت 681هـ/1282م) و كتاب شذراتُ الذهب في أخبار من ذَهَب لابن العماد الحنبلي (ت1089هـ/1690م) وفوات الوفيات لمحمد بن شاكر الكتبي ، وكتاب الوفيات للصفدي وغيرها ، وهي كتب جمعت بين التراجم و الحوادث ، مع التركيز على التراجم ، وذكر فيه الوفيات حسب السنين .

وبجانب هذه المصادر، فإن في قائمة المصادر المثبتة آخر البحث عدد كبير من المصادر لم نشر إليها هنا، ومعظمها لا يقل أهمية عن تلك التي استعرضناها في هذه الدراسة، وهي مابين مصادر تاريخية، وأخرى فقهية وأدبية وغيرها.

و إذا كانت الدراسة قد نهلت مادتها الأساسية بالدرجة الأولى من المصادر الأولية، فإن ذلك لا يعني مطلقا أنها كانت بمنأى عن الاستفادة من المراجع الحديثة، فقد تم الاستفادة منها هي أيضا، إلا أنها كانت متفاوتة في حجم إفادة البحث منها.و لعل من أهمها كتاب الحياة الفكرية في العراق في القرن السابع هجري لصاحبه محمد مفيد آل ياسين و هو كتاب رائع من حيث أسلوبه العلمي البسيط و طريقة عرض أفكاره حول ابرز الاتجاهات الفكرية التي عرفها العراق خلال هذا القرن الذي يمثل مرحلة انتقال بين العصر العباسي و العصر الايلخاني،رغم ميل صاحبه كثيرا للامامية و إفراد علمائها بتراجم موسعة ،و إظهارها بثوب الضحية في الأيام الأخيرة للخلافة العباسية رغم أنها تتحمل- أي الشيعة -جزءا كبيرا من المسؤولية لما حل بالعراق من خراب و دمار جراء الغزو المغولي ، وكتاب العراق في عهد المغول الايلخانيين من تأليف الدكتور جعفر حسين خصباك الذي حاول مؤلفه دراسة ظروف الغزو المغولي للعراق و عملياته العسكرية

والنظم الإدارية التي قامت في ظل حكم المغول و أحوال البلاد الاقتصادية و الاجتماعية في العهد الايلخاني بالإضافة إلى مراجع أخرى كانت استفادتي منها متوازنة تقريبا و لم يكن لمرجع معين أهمية بارزة عن غيره.

كما لا أنكر أنني استفدت من بعض الدراسات و الرسائل العلمية و البحوث الأكاديمية التي قام بها عدد كبير من الأساتذة و الباحثين من الجامعات العراقية و غيرها، و التي تناولت تاريخ العراق وحضارته،منها رسالة ماجستير حول الحياة العلمية و الثقافية في بغداد في العصر الإيلخاني لهاني حمود عودة الرفوع ،وبحث مستل من رسالة ماجستير غير منشورة تحت عنوان أثر الغزو المغولي على الحياة العلمية في بغداد في مجلة مداد الآداب العراقية، وهي مراجع ودراسات يغلب على بعضها طابع البحث الكمي حاول أصحابها من خلال الجداول الإحصائية المقدمة التدليل على أن الوضع العلمي ظل جيداً بعد الغزو المغولي دون البحث عن العلل .

الفصل الأول

الأوضاع العامة في العراق

أولا – الأوضاع السياسية

ثانيا– الأوضاع الاجتماعية

ثالثا– الأوضاع الاقتصادية

رابعا– الأوضاع العلميــة

انقسم المشرق الإسلامي في مطلع القرن السابع هجري / الثالث عشر ميلادي وقبل ظهور المغول إلى كيانات سياسية مستقلة أو شبه مستقلة، و لم تكن للدولة العباسية في بغداد سلطة سياسية تمكنها من لم شمل تلك الكيانات تحت سيادتها و استخدامها من أجل الدفاع عن البلاد الإسلامية، و اقتصرت سلطتها خارج بغداد على المظهر الديني.

أولا:الأوضاع السياسية :

1- ضعف الخلافة العباسية:

بعد أن تمكن المغول من القضاء عل الدولة الخوارزمية[1] في إيران أصبح وجودهم مجاورا لحدود دولة الخلافة العباسية و انفتحت أمامهم الأبواب إلى بغداد، و أخذوا في التحرش بالخلافة العباسية على شكل غزوات للوقوف على مدى القدرة القتالية لجيوش الخلافة العباسية.

و بدأ تفكيرهم ينصب على كيفية الوصول إليها بوضع خطط و دراسة إمكانيات و قدرات الدولة العباسية العسكرية وللوصول إلى ذلك قاموا بغارات متكررة على أطراف العراق قبل الزحف على بغداد.

وكانت الخلافة العباسية قبيل الغزو المغولي قد تطاول عليها الزمن، و أدركتها الشيخوخة و بدت عليها مظاهر الانهيار، وهو ضعف تمتد جذوره في جسم هذه الدولة قبل ذلك بمدة طويلة[2]، بسبب سيطرة العناصر غير العربية على مقدرات الدولة العباسية منذ عهد الخليفة العباسي المعتصم(218-227هـ/833-841م) الذي فتح الباب على مصراعيه للأتراك الذين استأثروا بالنفوذ و طغوا على سلطان الخلفاء، بل يمكن إرجاع الأمر إلى قبل ذلك إلى بدايات تأسيس الدولة العباسية التي استثمرت في العناصر الأجنبية الناقمة من الخلافة الأموية و بخاصة الفرس الذين على سواعدهم

1- الدولة الخوارزمية واحدة من الدول التي قامت في المشرق الإسلامي سنة 490هـ/1096م على يد محمد بن انوشتكين الذي تولى الحكم في مدينة خوارزم من قبل السلاجقة فلقب خوارزم شاه ، و قد أقره السلطان السلجوقي سنجر عليها و توارث الحكم بعده أبنائه.و قد تعاظم نفوذ هذه الدولة بعد سقوط السلاجقة. ابن الأثير: **الكامل في التاريخ** ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1987،ط01،ج 09،ص ص 10-11 ، ابن كثير: **البداية والنهاية** ،دار هجر للطباعة و النشر، مصر، 1998، ط01، ج16، ص161

2 - فؤاد عبد المعطي الصياد :**المغول في التاريخ** ،دار النهضة العربية، لبنان 1980،ج01،ص 249

قامت دولة بني العباس، وقد استمر الأمر نفسه فيما بعد أيام بني بويه[1] حيث انتقلت السلطة الحقيقية للدولة من يد الخلفاء العباسيين إلى أيدي أمراءهم و أعوانهم فزاد الضعف السياسي الذي كانت تعيشه الخلافة و ساءت أحوالها أو ذهبت ريحها.

ورغم أن علاقة الخلفاء العباسيين بالسلاطين السلاجقة[2] بعد فترة التسلط البويهي كانت مغايرة للعلاقة التي كانت بين هؤلاء الخلفاء و ملوك بني بويه بسبب الاتفاق المذهبي إلى أن الكثير من مظاهر و ملامح الحكم البويهي قد تكررت، فتدخل سلاطين السلاجقة في شؤون الخلافة و أحوالها و استحوذوا على سلطاتها و خصائصها وحتى بعد انتعاش الخلافة العباسية أواخر العصر السلجوقي وهي الفترة التي أطلق عليها المؤرخون (الصحوة الأخيرة) و التي تبدأ بعصر الخليفة الناصر لدين الله من (575هـ/1179-622/1225م)[3] وثلاثة خلفاء الثلاثة من بعده وهم الخليفة الظاهر بأمر الله(622هـ/1225-623/1226م)[4]والخليفة المستنصر بالله(623هـ/1226-640/1242م)[5]

---

1 - بنو بويه أسرة لم يتفق المؤرخون على نسبهم فبعضهم ينسبهم إلى أحد ملوك ساسان ، بينما يرفع بعضهم نسبهم إلى الآلهة كما فعل الرومان ،و ينحط بهم البعض الأخر إلى دهماء الناس ، كما يقول البعض أنهم من العرب، ولكن الحقيقية أنهم أسرة فقيرة ببلاد الديلم وقد عظم أمرها فيما بعد حتى سمي عصر من عصور الخلافة باسمها- أنظر مثلا : ابن خلكان:**وفيات الأعيان** ،دار صادر لبنان ،دت ج 1ص 175: -حسن إبراهيم حسن : **تاريخ الإسلام** ،دار الجيل ،لبنان ، 2001، ط 15،ج 3 ،ص 43 -حسن احمد محمود،أحمد إبراهيم الشريف:**العالم الإسلامي في العصر العباسي** ،دار الفكر العربي،1995 ،القاهرة، ط 5، ص: 496

2 - نشأت هذه الأسرة. في تركستان ولظروف اقتصادية هاجرت بقيادة كبيرها سلجوق الذي تنسب الأسرة إليه وبين خراسان وبخارى وأصبهان، تراوحت إقامتها حتى استقرت بمرو حيث هاجمها السلطان غزنوي مسعود ولكنه هزم أمامها. وأصبحت الخطبة تلقى بمرو باسم داود السلجوقي نجل سلجوق الكبير، وكان هذا في سنة 433 هـ. ومن مرو انتشر سلطان السلاجقة إلى الري وإلى خوارزم، وبدأ تاريخهم يظهر كقوة لها كيانها المستقل في العالم الإسلامي خلال القرن الخامس للهجرة. صدر الدين علي الحسيني :**زبدة التواريخ أخبار الأمراء و الملوك السلجوقية** ،تحقيق محمد نور الدين ،دار اقرأ،بيروت، 1985، ص 114

3 -الناصر لدين الله: أبو العباس أحمد أبن الخليفة المستضئ بأمر الله الحسن العباسي ، ولد سنة (533هـ/1158م) بويع بالخلافة بعد وفاة والده سنة(575هـ/1179م) امتدت خلافته سبعة و أربعين سنة فكان بذلك أطول بني العباس خلافة، توفي سنة 622هـ/1225م) .ابن العماد: شذرات من ،أبو الفلاح عبد الحي ابن العماد الحنبلي ،**شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ،دار ابن كثير،بيروت ،ط01، ج7،ص ص 172-174 .زهير الكبي : **موسوعة الخلفاء المسلمين**،دار الفكر العربي ،بيروت،ط01 1994،ج 02،ص/ص196-215

4 - أبو نصر محمد بن الخليفة الناصر لدين الله أحمد العباسي ، ولد (571هـ/1175م)، كان ديناً ، خيراً ، متواضعاً نعم الخليفة محسناً لرعيته، رد مظالم كثيرة ،دامت خلافته تسعة أشهر و نصف ، توفي سنة (623هـ/1226م) ،ابن العماد : **المصدر نفسه** ،ج 07 ،ص ص 192-193 زهير الكبي : **المرجع نفسه**، ،ج 02،ص ص 219-220

5 - أبو جعفر منصور بن الظاهر بأمر الله محمد العباسي ولد سنة (588هـ/1192م)، بويع له بالخلافة بعد وفاة والده ، كانت مدة ولايته ست عشرة سنة و كان محسناً إلى الرعية بكل مايقدر عليه ، وقد وضع ببغداد المدرسة المستنصرية للمذاهب الأربع ، توفي سنة 640هـ/1243، =

وأخيرا الخليفة المستعصم بالله (640هـ/1242-656/1258م)[1] بقي الضعف مستشري في جسم الخلافة[2].

يعد الخليفة الناصر أول خلفاء هذا العصر حيث حكم فترة طويلة امتدت من سنة (575هـ/1179م) حتى سنة (622هـ/1225م)، وعلى الرغم من طول هذه المدة التي لم تتح لخليفة قبله، فإنه لم يستغلها استغلالا حسنًا في صالح دولته وما ينفع الناس، حتى وصفه ابن الأثير بقوله: "كان قبيح السيرة في رعيته، ظالما، فخرب العراق في أيامه، وتفرق أهله في البلاد وأخذ أملاكهم وأموالهم"، وإلى جانب ذلك لم يعمل على توحيد الصف بين الإمارات الإسلامية، فأشعل الفتنة بينها وألَّب بعضها على بعض، بل هناك حتى من يتهمه بالتآمر و أنه هو السبب في مجيئ المغول إلى العالم الإسلامي لأنه هو من كاتبهم و أثارهم ضد خصومه سلاطين خوارزم وجعلهم يغيرون وجهتهم من أقصى الشرق إلى الغرب حيث العالم الإسلامي[3].

ولم يكن نفوذ الخليفة العباسي قويا إلا على بغداد والمنطقة المجاورة؛ حيث كانت المنطقة الشمالية من العراق في أيدى أتابكة الموصل، وباقي العراق الغربي خاضعًا للسلاجقة، و أصبحت سلطة الخليفة رمزًا روحيا محدودًا، لا يتدخل في شيء إلا إذا طلب منه التدخل للتصديق على ما يطلب منه فحسب .

= ابن كثير: **المصدر السابق** ،،دار هجر للطباعة و النشر، مصر، 1998، ط01، ج17، ص ص260-261 ، شمس الدين الذهبي : **تاريخ الإسلام** ،دار الكتاب العربي ،بيروت 1998ط01، ج 45 ،ص ص452-456

1 – آخر خلفاء بني العباس ببغداد ، وهو أمير المؤمنين المستعصم بالله الإمام أبو أحمد ، ولد سنة (609هـ/1212م) ، بويع بالخلافة بعد وفاة والده ،كان حسن الديانة ، لكنة قليل الرأي و الدراية في شؤون الدولة، ابن كثير: **المصدر نفسه** ج17، ص 264 ، ابن العماد : **المصدر السابق** ، ج 07 ،ص ص 467-470

2 – انظر الملحق رقم:01(**خلفاء أواخر العصر العباسي**)، ص 207

3 – ابن الأثير: **المصدر السابق** ، ج 10 ، ص 453 ، حسن إبراهيم حسن: **المرجع السابق** ، ج 04 ، ص 295

وتُوفى الخليفة الناصر لدين الله في أواخر رمضان سنة 622هـ/1225م بعد أن شهدت خلافته ظهور قوة المغول بزعامة جنكيز خان واكتساحهم بلاد ما وراء النهر و خراسان وإسقاطهم للدولة الخوارزمية وزحفهم نحو الجزيرة و العراق وتهديدهم للعالم الإسلامي.

أما الخليفة الظاهر بأمر الله (622-623هـ) فقد تولى الخلافة و عمره اثنتان و خمسون سنة وكان من خيرة خلفاء بني العباس سيرة ، و باشر الأمور بنفسه و ظهر للناس و قام بأعمال جليلة حيث رد على الناس ما اغتصبه منهم أبوه من الأموال وإصلاح العلاقات مع الدولة الخوارزمية لكن عمره لم يطل في الخلافة أكثر من تسعة أشهر و توفي دون أن يعرف عنه وضعه سياسة أو إجراءات مفيدة لمعالجة الخطر المغولي [1] .

وتولى بعده ابنه المستنصر بالله (623-640هـ/1226-1242م) فتشبه بوالده وقتاً ثم اعتزل بعد ذلك و لم يعد يظهر للناس،و كان عهده يستدعى أكثر من غيره إدراك مدى خطورة التحرك المغولي، ففي سنة 628هـ/1230م قُتل آخر سلاطين دولة خوارزم[2] و سقط الجدار الذي كان يحمي آسيا الغربية و أصبح العراق مكشوفاً للقوات المغولية التي أصبحت تتغلغل في أطرافه طيلة حكمه[3] غير أن الخليفة لم يتحرك و غلب عليه كبار مماليكه و بلغ من عزلته أنه لما جاءه الموت لم يشعر بوفاته إلا بعض الخدم مما دفع البعض إلى الاعتقاد بأن وفاته ليست طبيعية[4] .

---

1 - ابن الأثير: **المصدر السابق** ، ج 10، ص464 ، أحمد بن يوسف القرماني **أخبار الدول و أثار الأول في التاريخ** ،دراسة و تحقيق فهمي سعد وأحمد حطيط،،عالم الكتب بيروت 1992، ج02 ،ص190

2 - السلطان الكبير جلال الدين مَنْكُوبْري خُوَارَزْم بن السلطان علاء الدين محمد بن تُكُش الخوارزمي ، دامت فترة حكمه اثنتي عشرة سنة ،كان فارسا شجاعا مهيبا ،تملك البلاد و دانت له الأمم ، وهابته التتار ، و لولاه لداسوا الدنيا ، الذهبي : **سير أعلام النبلاء** ،مؤسسة الرسالة ، بيروت 1982،ط02، ج22 ، ص ص 326-329

3 - تذكر بعض المصادر أن الخليفة المستنصر بالله استخدم عساكر عظيمة لم يستخدم مثلها أبوه و لا جده قدرت بنحو مائة ألف فارس استعداداً لحرب التتار ،لكن تكرر غزوات المغول في عهده و تغلغلهم في مملكته يجعل هذه المعلومات تتعارض مع ما كان يحدث ، أنظر جلال الدين السيوطي : **تاريخ الخلفاء** ، دار ابن الحزم ، بيروت ،2003 ،ط 01 ،ص 362، الذهبي : **دول الإسلام** ، دار صادر بيروت ،1999، ج 02 ص 155

4 - ابن كثير : **المصدر السابق** ، ج17 ، ص ص260-262 ، ابن تغري : **النجوم الزاهرة في ملوك القاهرة**، دار الكتب العلمية بيروت 1992، ج 06 ص 306

و لم يباشر الخليفة المستعصم بأمر الله (640-656هـ/1242-1258م) من أمر الخلافة شيئا، فقد تولاها في أحلك ظرف واجهته الدولة العباسية حيث كان يتهددها الانحلال السياسي والاجتماعي و الفوضى الاقتصادية و الانقسام الطائفي، و لم يكن هو في شخصيته في ذلك الحين يصلح للحكم و زعامة العالم الإسلامي و لا يمكن أن يكون رجل الساعة للأزمة التي كان يجتازها العالم الإسلامي، صحيح انه كان متديناً حافظا للقرآن عاكفا على تلاوته لكنه كان شديد البخل ،و يكنز الأموال و لا يصرف الأموال في شؤون الدفاع، و تشجيع الجنود و حثهم على مواجهة الأعداء [1] كما كان يقضي معظم أوقاته في اللهو، الصيد و مجالس الغناء التي كان مولعاً بهاو لم يفق من ملذاته حتى حاصره المغول[2].

ويمكن أن نقول أننا لا نكاد نجد بين الخلفاء المذكورين في هذه الفترة محل الدراسة من له دور فعال في النشاط السياسي أو تأثير في شؤون الحكم و إدارة البلاد حيث غلب على معظمهم إتباع سياسة اعتزال الناس و اتخاذ الوزراء كواجهة لأوامرهم و نواهيهم، و اقتصر الاتصال بهم دون غيرهم، بل لم يحاول أحدهم الخروج من بغداد و تفقد أحوال البلاد و الرعية.

ولم يحاول احدهم قيادة الجيش و الخروج به لوقف الأخطار التي كانت تتهدد البلاد من الشرق و الغرب و عليه فإن مسؤولية سقوط بغداد و الخلافة العباسية تقع على عاتقهم .فقد كان غزو المغول لدولة خوارزم سنة 616هـ/1219م بداية لغزو العالم الإسلامي الشرقي كله و أخذت جيوشهم تنفذ إلى أطراف العراق بعد سنتين فقط من هذه الحادثة و لم يبد الخلفاء العباسيين ما يدل على اهتمام جدي بالأمر أو إدراك عميق لطبيعة الخطر العظيم الذي يتهدد ملكهم وليس هناك ما يدل على وضعهم سياسة واضحة المعالم لمعالجته فلم يحاولوا توحيد المسلمين و حشد الطاقات أو

---

1 – الصياد : **المرجع السابق** ، ص 250

2 – شمس الدين الذهبي: **العبر في خبرمن عبر** ،دار الكتب العلمية ،بيروت 1985،ج 03 ، ص 281، ابن سباط : **تاريخ ابن سباط** ،جروس برس طرابلس ،ج01 ص 328 ، محمد صالح القزاز : **الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير**، ص56

حتى تعبئة المسلمين روحيا و ماديا . و كل ما قاموا به هو تجميع قوات محدودة بصورة مرتجلة وإرسالها إلى مواطن الخطر القريبة أو الاستنجاد بملوك الأطراف ثم تسريح هذه القوات بعد تراجع الخطر والانتظار حتى ظهور خطر جديد، في وقت كان فيه أخبار المغول و توسعاتهم و أعمالهم الفظيعة تنتشر بسرعة[1].

وأما أكبر صور ضعف الخلافة في هذا العهد فهو تدخل الحاشية و رجال الدولة في شؤون السلطة، حيث كان لهم النفوذ المطلق في الدولة سياسيا و إداريا و عسكريا ككبار الأمراء و قادة الجيش ؛ مما أدى إلى عدم ممارسة الخلفاء لسلطاتهم ، و إلى اعتمادهم على هؤلاء فقد هيمن أبو الفضل مجد الدين[2] أستاذ داره على أمور الخلافة في بداية تولي الخليفة الناصر و ارتفع شأنه حتى دُعي له على المنابر بعد الخليفة .ووجد الناصر لدين الله أن ابن الصاحب قد استغل تكريمه له ، وحظوته عنده استغلالا أساء به لشخصه، فلما وجد الناصر نفسه قد أحكم قبضته على شؤون الحكم ، رأى أن اتساع نفوذ ابن الصاحب ،يتعارض مع السياسة التي وضعها لإعادة بالخلافة من جديد ، فتخلص منه سنة (583هـ/1187م)[3].

وبرزت سيطرة الحاشية على سلطة الدولة أكثر في عهد المستعصم ، ذلك أن وصوله إلى سدة الخلافة كان لنفوذ الحاشية فيه دورٌ كبيرا ،فالمعروف أن الخليفة المستنصر بالله لم يعهد بولاية العهد لأحد في حياته و لعله كان يمهد الأمر من بعده لأخيه الخفاجي[4] الذي كان يمتاز بالشجاعة غير أن

1 - جعفر حسين خصباك : **العراق في عهد المغول الإيلخانين** ، مطبعة العاني بغداد،1968 ، ص12.

2 - مجد الدين أبو الفضل : هبة الله بن أبي القاسم علي ،كان رافضيا سبابا ، لما ولي الناصر رفع منزلته وبسط يده ، وعمل كل قبيح ، حيث سب الصحابة و سفك الدماء و عزم على قلب الدولة ، الذهبي : **سير أعلام النبلاء** ، ج 21 ص164، ابن العماد : **المصدر السابق** ،ج 06 ،ص 458.

3 - محمد عبدالله أحمد القدحات :**الحياة الاجتماعية في بغداد في العصر العباسي الأخير**، دار البشير ، عمان 2005،ص 14

4 - أخ الخليفة المستنصر بالله ،يزيد عليه في الشهامة و الشجاعة، وكان يقول :إن ملكني الله الأمر لا عبرن بالجيوش نهر جيحون ، و أنتزع البلاد من التتار و استأصلهم ، الذهبي : **تاريخ الإسلام** ، ج 46، ص 454 ، السيوطي : **المصدر السابق** ،ص 362 زهير الكبي : **المرجع السابق** ، ج ، 02 ص 228.

الدو يدار الصغير[1] و الشرابي[2] قطعا عليه الطريق خوفا منه و لما يعلمون عليه من استقلاله بالتدبير دونهم ،و آثروا عليه المستعصم بالله للينه و ضعف رأيه و انقياده ليكون الأمر إليهم فتقلدها واستبدوا هما بالأمر إذ أن وجود رجل قوي في سدة الخلافة يعرضهم للرقابة المستمرة و يقطع عليهم

آمالهم و طموحاتهم[3].وحتى هذه الحاشية كانت في خلافات وصراعا ت مستمرة كما هو الحال بين الدو يدار الصغير و الوزير ابن العلقمي[4] فقد نسب للأول أنه كان يعمل على خلع الخليفة و المبايعة لولده، فزاد الحقد و الكراهية بين هؤلاء المسؤولين، و بدأوا يكيدون لبعضهم البعض عند الخليفة ، وأصبحت تصرفاتهم تصدر عن غاية و هوى لا عن خدمة حقيقية للدولة ،مما أدى إلى اضطراب الأمور في الدولة و تقويض سلطة الخلافة.

ويمكن القول أن الخلفاء العباسيين المتأخرين لم يفشلوا فقط في انتهاج سياسة بناءة، و إدارة حازمة، بل لقد أصبحوا أنفسهم ألعوبة في أيدي رجال البلاط ،و أصبحت مصالحهم و شؤونهم الشخصية الخاصة ،يديرها الخدم، في معزل عن الخلفاء.

ومما يؤشر أيضا على تدهور الأوضاع السياسية في هذه الفترة الحرجة هو الضعف الملحوظ على جيش الخلافة و ابتعاده عن دوره الأساسي ألا و هو الدفاع عن ثغور الدولة و حدودها وتسلط قادته على الخليفة وتدخلهم في الشؤون السياسية. وظهر ذلك جليا أيام الخليفة المستعصم

---

1 – مجاهد الدين أيبك ، مقدم الجيوش العراقية في عهد الخليفتين المستنصر و المستعصم كان بطلا شجاعا موصوفا بالرأي و الإقدام قتل وقت غلبة العدو على بغداد، الذهبي : **المصدر السابق** ، ج 48 ، ص 281

2 – جمال الدولة أمير الجيوش شرف الدين أبو الفضائل الحبشي المستنصري الشرابي، له معروف كبير ، زادت منزلته لما أفضت الخلافة للمستعصم ، هزم التتار سنة 643هـ فعظم قدره و صار من أكبر الملوك. ابن الفوطي : **الحوادث الجامعة و التجارب النافعة في المائة السابعة** ،تحقيق مهدي النجم، دار الكتب العلمية ،بيروت 2003 ، ص 222 ، الذهبي : **سير أعلام النبلاء** ، ج 23 ، ص 370

3 – الذهبي : **تاريخ الاسلام** ، ج 46، ص454 القزاز : **المرجع السابق** ، ص 68

4 – مؤيد الدين محمد بن أحمد بن العلقمي ، استوزره الخليفة المستعصم بالله كان خبيرا بأدوات السياسة ، محبا للرياسة ، متفوقا في الأدب و مقربا لأهله ، بقي وزيرا بعد غزو المغول لبغداد ، كان رافضيا و ينسب إليه انه هو من راسل المغول و أطمعهم في بلاد الإسلام. ابن كثير : **المصدر السابق** .ج 17، ص ص 379-380

حيث أدى الصراع الموجود بين ابرز رجاله الأمير الكبير إقبال الشرابي قائد الجيوش العباسية منذ 626هـ/1228م و الدويدار الصغير مجاهد الدين أيبك و كان من كبار أمراء الجيش العباسي يرأس فرقة من عشرة آلاف جندي . وقد كان لهذا النزاع الذي استمر أعواما طويلة، و البلاهة التي امتاز بها الخليفة المستعصم الأثر الكبير في إضعاف قوام الجيش و قوته و معداته ، فرغم القوة التي كان قد بلغها الجيش في العدة و العتاد أيام الخليفة المستنصر[1] و التي ظهرت جلية حتى الأعوام الأولى لخلافة المستعصم أين انتصر الجيش العباسي على المغول في بعقوبة[2] شمال بغداد سنة 643هـ/1245م . غير أن هذا الوضع تغير إلى الأسوأ بسبب سوء تقدير الذي عرف به الخليفة و استسلامه لوزيره ابن العلقمي الذي أشار عليه سنة 648هـ/1250م بتقليل أعداد الجيش العباسي وتسريحهم توفيرا للمال ، و لحمل جزء منه للمغول [3]، وهو ما قام به المستعصم فعلا لأن ذلك كان يتلاءم مع طبعه المحب للمال و المكنز له فصار عدد عسكر بغداد دون عشرين ألف فارس بعد ما كان يصل إلى مائة ألف فارس[4]، وقد أدى ذلك إلى أن يثور العسكر احتجاجاً على قطع أرزاقهم، لكن دون جدوى، ما جعلهم يستعطون في الشوارع وعلى أبواب المساجد، وكما قال ابن كثير في البداية والنهاية : "وبقية الجيش كلهم قد صُرفوا عن إقطاعاتهم حتى استَعْطَى كثيرٌ منهم في الأسواق وأبواب المساجد، وأَنشد فيهم الشعراء قصائد يرثون لهم ويحزنون على الإسلام وأهله"[5]، وحمَّل الكثير من المؤرخين ابن العلقمي السبب في ذلك، ومنه قول الذهبي في "دول الإسلام": "وأما بغدادُ فضَعُفَ دَسْتُ الخلافة، وقطعوا أَخبازَ الجُنْدِ الذين استنجد بهم المستنصر، وانقطع رَكْبُ العراق مدةً، كلُّ ذلك من عمل الوزير ابن العَلْقَميّ الرافضي، جهد في أن يزيل دولة بني العباس ويقيم علويا (أي ليأتي

1 - السيوطي : **المصدر السابق** ، ص 366.

2 - بعقوبة قرية كبيرة كالمدينة بينها و بين بغداد عشرة فراسخ ، من أعمال طريق خراسان ،ياقوت الحموي : **معجم البلدان** ، دار صادر ،بيروت 1977، ج 01 ،453، ابن الفوطي:**المصدر السابق** ، ص162 ، الذهبي : **تاريخ الإسلام** ،ج47 ، ص ص 21-22.

3 –السيوطي:**المصدر نفسه** ص 366 ،محمد أيوب شعبان: **آخر أيام العباسيين** ، دار اقرأ للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ط01، 2013، ص 468

4 – عماد الدين إسماعيل أبي الفداء : **المختصر في أخبار البشر** ، تحقيق محمد زينهم محمد عزب ، دار المعارف ، القاهرة ، د ت ، ج 03 ،ص 208.

5 –ابن كثير: **المصدر السابق** ، ج17، ص 360.

بشيعي خليفة)، وأخذ يُكاتب التتار ويراسلونه والخليفة غافل لا يطلع على الأمور ولا له حرص على المصلحة."[1]

على أن شح الخليفة المستعصم بالأموال على الجند في وقت حاجته لهم يقابله في الناحية الأخرى إسرافه الشديد في الإنفاق على خدمه وأتباعه الذين حضوا برعاية مباشرة منه في عصر انحلال الدولة العباسية ، فاحتكروا الثروة وأغدقت الأموال عليهم فأصبحوا أعجوبة في الثراء منهم مجاهد الدويدار، قيل عن أملاكه : إنها كانت "مما يتعذر ضبطه على الحساب".. وفى ليلة زفافه حصل على هدايا من الجواهر والذهب ما يزيد على 300 ألف دينار، وكان إيراده السنوي من مزارعه وأملاكه أكثر من 500 ألف دينار، و الخادم شرف الدين إقبال الحبشي [2].

2- علاقة الخلافة السيئة بالقوى الإسلامية المجاورة:

ومن صور ضعف الخلافة العباسية علاقتها السيئة بالقوى الإسلامية المجاورة و صعوبة فرض ولائها الاسمي عليها و اضطرت أحيانا إلى استعمال جيوشها و أساليب غير طبيعية معها و خاصة في الجهة الشرقية حيث الإمارات الخوارزمية و الغورية[3] و فارس[4] و أذربيجان[5] بالإضافة إلى الإسماعيلية[6] التي كان موقفها من الخلافة غير مستقر .

1 – الذهبي : **دول الإسلام** ، دار صادر ،بيروت 1999، ج02 ص 166

2 – ابن الفوطي: **المصدر السابق** ، ص 222.

3 – قامت الدولة الغورية سنة (543هـ/1148م) على يد عز الدين حسين الذي كان واليا على غزنة ، توسع سلطانها ليشمل الهند و أفغانستان ، تمكن الخوارزميون من القضاء عليها سنة 612هـ /1215م ، الذهبي : **تاريخ الإسلام** ، ج 44 ن ص09 ، أحمد بن يوسف القرماني: **المصدر السابق**، ج02 ، ص ص 485-486

4 – ولاية واسعة وإقليم فسيح،أول حدودها من جهة العراق ،من أمهات المدن المشهورة بها شيراز ، اصبهان وهي أول إمارة إسلامية تتصدى بشكل منظم للغزو الصليبي ،ياقوت الحموي: **المصدر السابق**، ج 04،ص226

5 – إقليم واسع ومن مشهور مدائنها :تبريز ، وهي اليوم قصبتها و أكبر مدنها ، كانت من ممتلكات الدولة الخوارزمية ، ياقوت الحموي: **المصدر نفسه**، ج 01 ،ص 128

6 – سموا بالإسماعيلية لانتساب دعوتهم لإسماعيل بن جعفر الصادق ، وقالوا انه لم يمت بل تظاهر بموته خشية من العباسيين وأطلق عليهم تسميات تسميات

أخر منها: الباطنية والحشاشون والملاحدة ومؤسس هذه الأسرة في إيران الداعي حسن الصباح (ت518هـ/1125م) الذي تمكن عام

و كانت هذه الإمارات تستمد شرعيتها من رضى الخلافة و تأييدها لها باعتبار الخليفة العباسي إمام المسلمين و صاحب السيادة الروحية على العالم الإسلامي.في حين كانت علاقتها بالقوى الجهة الغربية و هي الإمارات الأيوبية[1] و اتابكة[2] الموصل[3] و أربل[4] مختلفة تماما و سهلة حيث كان يقوم على الاعتراف الطبيعي لهذه الإمارات بشرعية حقوق الخلافة و سلطانها عليها [5].

ففي الوقت الذي كان يفترض أن تتوحد فيه هذه القوى و تحشد قواتهم العسكرية أمام خطر المغول الهائل نجدها تدخل في صراعات و معارك هامشية زادت في ضعف قوتها، فقد حاول الخوارزميون بعد قضاءهم على بقايا السلاجقة سنة 590هـ/1193م الزحف على العراق حيث قصد السلطان علاء الدين خُوارَزْم شاه محمد بن تِكِش بغداد بأربعمائة ألف ، وقيل بستمائة ألف مقاتل سنة 614هـ/1217م، و طلب من الخليفة أن ينصاع له و يخضع كغيره من الملوك و الحكام ، و هذا ما رفضه الخليفة العباسي، و استعد لملاقاة خصمه بكل ما أوتي من قوة[6] .فتحرك جيش خوارزم و لما وصل إلى همذان هبت عواصف ثلجية شديدة دامت عشرين يوما فأهلك البرد كثيراً من

487هـ/1094م من السيطرة على قلعة الموت وعلى منطقة قريبة من رودبار التابعة إلى قزوين .أبو الفتح محمد بن عبد الكريم. الشهرستاني= =**الملل والنحل**، دار الكتب، بيروت، 1992 ، ط02 ،ج 01 ،ص ص199-201

1- الإمارات الأيوبية هي انقسام الدولة التي كان قد أنشأها صلاح الدين الأيوبي بعد موته إلى خمسة عشر قسما بين أبناء البيت الأيوبي ، ثم إلى سبعة أقسام في عهد الملك العادل بعد محاولته تجميعها ، حيث كانت هناك أقاليم خاضعة للسلطة الأيوبية اسميا ومنها ماهو مستقل تماما ،بل كانت متنازعة فيما بينها ومنها من استعان بالصليبيين على غيرها،سعيد عبد الفتاح عاشور : **الأيوبيون و المماليك في مصر و الشام** ، دار النهضة العربية ، القاهرة 1996، ص ص 72-75

2 – أثابك كلمة تركية ، تتألف من لفظين (أتا) تعني الكبير أو الشيخ المحترم لكبر سنه و (بك)بمعنى أمير و أول من لقب بهذا اللقب نظام الملك الطوسي وزير لسلطان ملكشاه و معنى الكلمة الأمير المسن ، و هو أكبر الأمراء المتقدمين بعد النائب. و في الاصطلاح تعني مربي الأمير. إبراهيم حسن: **المرجع السابق** ، ج04، ص62

3 – المدينة المشهورة العظيمة إحدى قواعد الإسلام ،وهي مدينة قديمة الأُس على طرف نهر دجلة وهي باب العراق و مفتاح خراسان ومنها يقصد إلى أذربيجان، ياقوت الحموي : **المصدر السابق** ، ج 05، ص 223

4 – قلعة و مدينة كبيرة و هي من أعمال الموصل ، ياقوت الحموي : **المصدر نفسه** ، ج 01،ص137

5 – محمد صالح القزاز: **المرجع السابق** ، ص 223

6 – ابن كثير : **المصدر السابق** ، ج 17 ،ص ص 62-63.حافظ أحمد حمدي: **الدولة الخوارزمية و المغول** ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د ت ، ص 35

جنوده و عتاده فاضطر للعودة إلى بلاده[1]. ثم تعرضت الخلافة العباسية إلى حملة خوارزمية ثانية سنة 622هـ/1225م من قبل السلطان جلال الدين منكبرتي(617هـ/1220م-628هـ/1230م)[2]

الذي وصل دَقُوقا[3] وأحرقها ،و عزم على مهاجمة بغداد و أخذها، فانزعج الخليفة الناصر لدين لذلك ونصب المناجيق على أسوار بغداد و انفق على جيش الخلافة ألف ألف دينار ، و أصلح أهل بغداد السلاح، غير أن حملة الخوارزمي لم تتم بسبب خروج الكُرْجُ[4] على بلاده و عودته للدفاع عنها[5]. إضافة إلى هذه الأسباب التي أدت إلى فشل الخوارزميين، فان الخليفة الناصر كان قد وظف العلماء و أئمة المساجد في تحريض الناس على الخوارزميين مستغلا بذلك السلاح الديني الذي في يده، و هو ما أثار نفوس و مشاعر المسلمين ضدهم وكان ذلك أحد أسباب عجزهم من تحقيق مأربهم ضد الخلافة العباسية وفشل خططهم.

و قد استنزفت هذه الحروب و الصراعات القوى في كلتا الدولتين ،و سهلت من مهمة المغول لاحقا حيث اجتاح الدولتين معا. وهو ما يبين أن الجهود في هذه المرحلة كانت مبعثرة وينقصها التنسيق و فشلت في بناء علاقات وطيدة و تحالفات بين الدولة العباسية و الخوارزميين من جهة وحتى بينها وبين الإمارات التي كانت كما قلنا تعترف بشرعيتها و لو اسميا[6].

---

1 - السيوطي : **المصدر السابق** ، ص 353 ، الذهبي : **تاريخ الاسلام** ، ج 44 ، ص ص 15-16.

2 - سبق التعريف به ، انظر ص 03 من هذا الفصل .

3 - مدينة بين أربل وبغداد معروفة ، ياقوت الحموي: **المصدر السابق** ،ج02 ، 459.

4 - جيل من الناس نصارى ، كانوا يسكنون جبال القَبْق و بلد السرير ، فقويت شوكتهم ، حتى ملكوا تفليس ، ولهم ولاية تنسب إليهم ، ولهم شوكة شوكة و كثرة عدد. صفي الدين عبد المؤمن البغدادي: **مراصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع** ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار الجيل بيروت ، 1992، ج 03 ،ص 147.

5 - ابن الأثير: **المصدر السابق** ، ج10، ص 499 ، الذهبي : **دول الاسلام** ،ج02 ، ص 130.

6 - فؤاد عبد المعطي الصياد : **المرجع السابق** ، ص 74، محمد مفيد آل ياسين : **دراسات في تاريخ العراق في العهد الأيلخاني(عهد السيطرة السيطرة المغولية 656 – 737هـ)**،دار غيداء للنشر و التوزيع ،عمان،2009،ص 11.

يقول الغساني صاحب كتاب "العسجد المسبوك" يصف السلطة العباسية في أواخر أيامها:"...واهتموا بالإقطاعات و المكاسب ، وأهملوا النظر في المصالح الكلية ، واشتغلوا بما لا يجوز من الأمور الدنيوية ، واشتد ظلم العمال – أي الولاة – واشتغلوا بتحصيل الأموال، و الملك قد يدوم مع الكفر، و لكن لا يدوم مع الظلم"[1].

و يبدو أن هذه الأوضاع السياسية المتدهورة التي عاشتها الخلافة في النصف الأول من القرن السابع هجري/ الثالث عشر ميلادي في العراق قد أثرت سلبا على الحالة الاجتماعية و الاقتصادية ولكن هل كان لهذه الأوضاع تأثير على الحياة السياسية للخلافة في العراق قبيل الغزو المغولي؟.

ثانيا: الأوضاع الاجتماعية :

لاشك أن هناك علاقة وثيقة بين الأوضاع الاجتماعية و الأحداث التاريخية، لذلك يتجه الباحثون اليوم إلى الاهتمام بدراسة الإبعاد الاجتماعية للمجتمع الإسلامي، فتسليط الضوء على الأوضاع الاجتماعية في دولة الخلافة الإسلامية مثلا قد يعطي صورة أوضح وقدرة أدق لتفسير الأحداث التي سبقت الاجتياح المغولي للعالم الإسلامي. وسيركز هذا العمل على الجوانب التي لها علاقة بالغزو المغولي للعراق باعتبار أن الحياة الاجتماعية لها جوانب متعددة.

ومن بين هذه الجوانب التي كان لها تأثير على الوضع الداخلي بالعراق قبيل الغزو المغولي حدوث الفتن بين أصحاب الفرق و المذاهب الإسلامية و خصوصا بين السنة و الشيعة[2]، و المعروف أنها كانت موجودة قبل تدخل الأجانب – بويهيين و سلاجقة–في الحياة السياسية في دولة الخلافة العباسية ،لكن كان تدخل هؤلاء سببا مباشرا في إذكاء العصبيات المذهبية و تحولها من خلافات

---

1 – الأشرف الغساني : **العسجد المسبوك و الجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء و الملوك**، تحقيق شاكر محمود عبد المنعم، دار التراث الإسلامي ، بيروت 1975، ص 624

2 – عباس إقبال : **تاريخ المغول من حملة جنكيز خان حتي قيام الدولة التيمورية** ،ترجمة عبد الوهاب علوب،المجمع الثقافي ، أبوظبي 2000، ص 198.

فكرية إلى صدمات دموية مدمرة لأجل الانتفاع منها و إبقاء سيطرتها على العراق و إلى إطالة بقاءها فيه[1].

لقد كانت الصراعات لا تهدأ بين الشيعة و السنة و تتجدد في كل حين خاصة في العهود الأخيرة للخلافة العباسية حتى أن ابن الأثير يذكر ذلك في حوادث 621هـ/1224م : "...وفيها وقعت فتنة بواسط بين السنة و الشيعة على جاري عادتهم ..."[2] .فكانت لا تمر سنة دون شغب واصطدامات تقع بين السنة و الشيعة، تذهب فيها الأرواح و الممتلكات و تحرق الدور و الأسواق[3].

وحاول الخلفاء في هذه الفترة التوفيق بين السنة و الشيعة خاصة إبان فترة حكم الخليفة الناصر الذي اتهم بالتشيع و الميل إلى مذهب الامامية[4] بخلاف أبائه[5] بسبب بعض من استوزرهم من الرافضة و لذلك ظهرت فتن كبيرة بين أهل السنة و الرافضة ببغداد قتل فيها عدد كثير في سنة 582هـ/1186م و لم تهدأ إلا بعد عزل ومقتل الوزير ابن الصاحب[6] الذي سيطر على أوضاع الخلافة و مكن للشيعة في بغداد الذين عملوا كل قبيح[7].

و يعود سبب تحكم ابن الصاحب بالأمور إلى الظروف التي أحاطت بتولي الناصر للخلافة ، فقد كان المستضيء والد الناصر يتبع سياسة سنية بالكامل ، حيث قرب أهل السنة بشكل كبير فكان وزيره ابن العطار[8] متحكما في أمور الدولة منذ توليه نيابة الوزارة سنة سنة573هـ/1177م،

1 - محمد عبد الله القدحات: **المرجع السابق** ،ص 43

2- ابن الأثير: **المصدر السابق** ، ج 10، ص 442

3- السيد الباز العريني: **المغول** ،دار النهضة العربية ، بيروت 1981، ص 214

4 - هم القائلون بإمامة علي كرم الله وجهه بعد النبي – صلى الله عليه وسلم- نصاً ظاهراً، و تعييناً صادقاً، وتخطت هذه الدرجة إلى الوقيعة في كبار الصحابة طعناً و تكفيراً ، الشهرستاني : **المصدر السابق** ، ص ص 163-164

5 - السيوطي : **المصدر السابق** ، ص 354

6 - ابن الصاحب هو مجد الدين أبو الفضل هبة الله بن علي بن هبة الله بن محمد بن الحسن أستاذ دار الخلافة ، كان متحكما في الدولة ليس للخليفة معه حكم ،وكان حسن السيرة عفيفا عن الأموال ، ابن الأثير: **المصدر السابق** ، ج 10، ص 165، الذهبي : **سير اعلام النبلاء** ، ج21 ، ص 164

7 - ابن العماد : **المصدر السابق** ، ج 06 ن ص 458

8 - ابوبكر منصور ابن نصر المعروف بابن العطار ، كان خبيرا حسن السيرة كثير العطاء ، تمكن تمكنا كبيرا أيام الخليفة المستضيء ، قبض عليه الناصر الناصر لما تولى الخلافة و سجنه حتى توفي. ابن الأثير: **المصدر نفسه** ، ج 10 ، ص 98

وقد كان شديدا على الشيعة و خاصة أهل الكرخ [1]،هذه السياسة أدت إلى إضعاف شأن الشيعة في بغداد حتى قال الذهبي :" ...و في أيامه اختفى الرفض ببغداد ووهى..."[2].

ورغم ذلك بقي للشيعة حضور قوي في دار الخلافة حيث كان ابن الصاحب الشيعي هو أستاذ الدار مما جعل رجال الدولة مقسومين في عهد المستضيء، فالسنة يرأسهم ابن العطار و الشيعة ابن الصاحب، وظهر هذا الانقسام جليا عند محاولة الخليفة تعيين ولي العهد ؛فقد كان له ولدان هما: ابو العباس و أبو منصور، وكان السنة يؤيدون أبا منصور، و الشيعة يؤيدون أبا العباس، واستطاع أهل السنة في البداية التأثير على الخليفة المستضيء حيث عهد بالخلافة إلى أبي منصور لكن الأمر في النهاية لم يكن كما أردوا فقد عهد المستضيء ولاية العهد لابنه أبي منصور قبل وفاته بأسبوع، و تولى ابن الصاحب أخذ البيعة له يوم وفاة والده و هو ما جعل الخليفة الجديد ناقما على ابن العطار حيث تخلص منه بسرعة وصادر أمواله و أملاكه[3]، وقرب ابن الصاحب و رفع من شانه و صار يذكر اسمه على المنابر يوم الجمعة بعد اسم الخليفة الناصر مباشرة[4].فارتفع بذلك شأن الشيعة حتى أنهم في عاشوراء فعلوا ما لم يفعلوه في أي عصر ، فقد ساروا في الشوارع ، ووصلوا حتى باب حجرة الخليفة وسبوا الصحابة و عائشة زوجة النبي –صلى الله عليه وسلم–على مسمع منه و قد وصف الذهبي الصاحب أستاذ الدار بأنه:"... كان متحكما في الدولة ليس للخليفة الناصر معه حكم ، وكان رافضا سبابا، أحيا شعائر الامامية ، وراج الرفض في زمانه ،وشمخت المبتدعة، و سفكت الدماء وسب الصحابة، وبطر بطرا شديدا.."[5]، لكن سرعان ما تخلص الخليفة الناصر منه سنة 583هـ/1187م بعد أن عمت الشكوى منه و كثرت السعايات فيه.

---

[1] – الكرخ محلة غربي بغداد وحولها محال إلا أنها غير مختلطة بها وأهلها كلهم شيعة إمامية لا يوجد فيهم سني البتة . ياقوت الحموي : **المصدر السابق** ،ج 04 ،ص448

2 – الذهبي :**العبر في خبر من غبر** ، ج 03 ، ص 68

3 – أبو الفدا : **المصدر السابق** ، ج 02، ص80

4 – الذهبي: **سير أعلام النبلاء** ، ج 21 ، ص ص 164-165

5 – الذهبي : **تاريخ الإسلام** ، ج 41 ، ص 16

وتابع المستنصر سياسة جده في التقرب من الشيعة و التواصل معهم لأنهم يشكلون جزءا لا يستهان به من المجتمع العباسي خاصة في مقر الخلافة بالعراق، فأمر بعمارة مساجد الكرخ ورتب بها المؤذنين و الأئمة وزار مشهد موسى بن جعفر سنة634هـ/1236م و أعطى ثلاثة آلاف دينار إلى نقيب الطالبيين و أمره أن يوزعها على العلويين في مشهد علي بن أبي طالب و الحسين و موسى بن جعفر ،كما أمر بإصلاح مشهد سامراء و إعادته إلى ما كان عليه بعد إحراقه سنة 640هـ/1242م[1] .

أما الخليفة العباسي الأخير فقد كانت سياسته في التعامل مع الشيعة متذبذبة ، فهو أحيانا يحرص على زيارة مشاهدهم و رعاية فقرائهم ، فقد أمر سنة 647هـ/1249م بعمارة مشهد موسى بن جعفر بعد أن غمرته المياه قبل سنة، غير أنه لم يستمر طويلا في هذا النهج حيث قرب السنة إليه و دعمهم ضد الشيعة[2] . و حدث أن بلغ الصراع قمته أيام خلافة المستعصم و عم ضرره و انتشر بلاؤه حتى شمل أتباع كل مذهب في داخل بلاط الخلافة ؛ فانقسم كبار موظفي الدولة تبعا لذلك إلى مجموعة سنية يتزعمها مجاهد آيبك الدو يدار و إلى مجموعة أتباع المذهب الشيعي تحت زعامة الوزير مؤيد الدين ابن العلقمي[3] و من ذلك النزاع الذي اندلع سنة640هـ/1242م بين حيين من أحياء بغداد ،حي النظامية و سوق البصرة الذي يقطنه السنة و حي المأمونية[4] الشيعي بسبب العادة القديمة في صيد السباع نتج عن هذا الصراع و القتال الدامي سقوط عددا من القتلى و الجرحى ونهب المحالات التجارية و الدكاكين[5]، و امتد القتال إلى محال أخرى و لم تهدأ الأمور إلا بعد تدخل جنود الخلافة لوأد هذه الفتنة التي استمرت ليالٍ[6].

1 - ابن الفوطي **المصدر السابق** ، ص ص 86-87 ، ص125
2 - القدحات : **المرجع السابق** ،ص 53
3 - سعد الدين الغامدي : **سقوط الخلافة العباسية** ، دار ابن حذيفة ، م ع س ،1981 ،ص 206
4 - محلة كبيرة طويلة عريضة ببغداد بين نهر المعلى و باب الأزج عامرة آهله. ياقوت الحموي : **المصدر السابق** ، ج 05 ، ص44
5 - ابن الفوطي : **المصدر نفسه** ، ص139
6 - جعفر خصباك : **المرجع السابق** ، ص 22

وسرعان ما يتجدد هذا الصراع ففي سنة 653هـ/1255م وقعت مصادمات بين أهل الرصافة و بين أهل محلة أبي حنيفة و الخضريين فعادت بذلك حرب المحلات حيث قتل فيها من أهل محلة الرصافة قرابة الثلاثين نفراً، و تجدد القتال بعد أيام حيث جرح من الفريقين خلق كثير وعبر من أهل باب البصرة لمساعدة أهل الرصافة خلق كثير ، و عبر آخرون من أهل الكرخ لمساعدة الخضريين وحضر الشحنة و كفهم و أصلح بين الفريقين[1]. و لم يكن هذا الاصطلاح إلا ظاهريا إذ سرعان ما تجدد القتال بين السنة و الشيعة في مدينة بغداد و في السنة نفسها للمرة الثالثة [2].

و لكن أسوء ما وقع من الفتن المذهبية و مظاهر الفوضى في هذه الفترة هو ما عرف باسم واقعة الكرخ سنة 654هـ/1256م و خلاصتها أن أهل محلة الكرخ قتلوا رجلا من محلة قَطُفْتَا و لما سمع الخليفة بذلك عن طريق الخدم الذين هولوا له الأمر، و رموا أهل الكرخ بكل سوء فوقف الخليفة إلى جانب السنة و عهد إلى ولي العهد ابنه ابي بكر بفض هذا النزاع ،فركب الجند و اتبعهم العوام ، فأغاروا على محلة الكرخ و نهبوها و احرقوا عدة مواضع من بينها دور أقرباء الوزير الشيعي مؤيد الدين بن العلقمي و سبوا النساء و منهم العلويات[3] ، و سفكوا الدماء و اقترفوا المنكرات إلى أن خوطب الخليفة بالأمر فأمر بالكف، و نودي بالأمان[4].

وقد كان لهذا التصرف أسوء الأثر في نفوس الشيعة فنقموا على المستعصم و على ابنه وأثار كوامن أحقادهم على الدولة العباسية وتمنوا زوالها ،و هي أيضا من أقوى الأسباب التي دفعت الوزير ابن العلقمي على مكاتبة المغول سرا كما تذكر الكثير من المصادر[5].

لقد كانت هذه الفتن دليل على ضعف الخلافة و عدم قدرتها السيطرة على جنودها الذين انحرفوا عن واجبهم في حفظ الأمن و الاستقرار إلى المشاركة في أعمال القتل و النهب و السلب ،

1 – ابن الفوطي : **المصدر السابق** ، ص 217

2 – ابن الفوطي :**المصدر نفسه** ، ص213

3 – الذهبي : **تاريخ الإسلام** ،ج 48، ص 23

4 – ابن الفوطي : **المصدر نفسه** ، ص 217

5– ابن الكثير : **المصدر السابق** ، ج17 ،ص 348 – الذهبي : **المصدر نفسه** ، ج48 ، ص 34

واستنزاف موارد و مقومات المجتمع و هو ما اضطرها إلى استعمال القوة لحسم هذه الاضطرابات مما أدى إلى التذمر و النقمة بين الناس تجاه الخلافة.

لم تقتصر الفتن على السنة و الشيعة بل كانت بين مذاهب أهل السنة أنفسهم من خلال تعصب أتباع كل مذهب لمذهبهم ويزداد هذا التعصب عند وصول أتباع احد المذاهب إلى السلطة حيث يستغلون هذه المكانة للنيل من غيرهم ، وقد سمحت الدولة لهم بحرية إنشاء المدارس التي تقوم على أساس المذهب فقد وجد ببغداد مطلع القرن السابع هجري/ الثالث عشر ميلادي ما يزيد عن ثلاثين مدرسة أحادية المذهب لا يدرس بها إلا المذهب الذي وقفت لأجله.

و يذكر ابن خلدون تواصل حدوث الفتن :"...و كانت الفتنة لا تزال متصلة بين الشيعة وأهل السنة، و بين الحنابلة و سائر أهل المذاهب ..."[1]، فمثلا اندلعت فتنة بين الحنابلة و الاشاعرة زمن الخليفة الناصر عندما وعظ أبو الخير أحمد بن إسماعيل بن يوسف القزويني[2] الشافعي في المدرسة النظامية و اظهر ميله للأشعري، فأغضب الحنابلة الذين طالبوه بلعن يزيد بن معاوية، فلم يستجيب لهم فرموه بالآجر، ولم يمنعهم منه إلا تدخل السلطة[3].

وفي خلافة المستعصم وقعت فتنة أخرى عندما كتب أحد العلماء الحنابلة فتوى في مسألة الإيمان هل يزيد وينقص أم لا؟ و اعتبر علماء الحنفية هذه الفتوى ذماً و انتقاصاً للإمام أبي حنيفة [4]، ولم تهدأ الأمور إلا بعد تدخل الخليفة الذي أمر بطرد أحد المدرسين الحنابلة[5].

---

1 – عبد الرحمان ابن خلدون :**العبر و ديوان المبتدأ و الخبر**، راجعه سهيل زكار ، دار الفكر ،بيروت 2000، ج03، ص 662

2 – فقيه شافعي ولد بقزوين سنة 512هـ/1113م ودرس بها و ببغداد حتى برع في المذهب ثم درس بالنظامية ، الذهبي : **سير أعلام النبلاء** ،ج 21 ، ص ص 190-191

3- الذهبي : **المصدر نفسه** ،ج 21 ، ص 192

4 – ابن الفوطي : **المصدر السابق** ، ص 190

5 – المدرس هو ابن الوضاح الحنبلي ، الفقيه المحدث ، قدم بغداد و اشتغل بالعلم وأتقن العربية ،ألف كتاب "الرد على أهل الإلحاد" ،توفي سنة672هـ سنة672هـ /1274م، ابن العماد : **المصدر السابق** ، ج07، ص 588

حاول الخلفاء التقريب بين أتباع المذاهب الأربعة ومن ذلك ما قام به الخليفة المستنصر بالله عندما بنى المدرسة المستنصرية سنة 631هـ/1233م و جعل فيها فقيهاً لكل مذهب من المذاهب الأربعة[1] .وقد ساهم هذا الانجاز في لم الشمل و نسيان الضغائن و الأحقاد الطائفية إلى حد ما.

وتبين هذه العصبية بين الطوائف السنية وما وصلت إليه من مصادمات دامية و فتن شنيعة ، بسبب الخلافات الفقهية و العقيدية القائمة على التعصب المذموم الوضع العام القلق للعراق. فعبّرت تلك الفتن بوضوح على ما كانت تُكنه كل طائفة للأخرى من حقد و كراهية و حسد و تعصب . كما أنها دلّت على أنها لم تكن حوادث شاذة معزولة ، و إنما كانت حوادث جماعية كثيرة ساهمت في إضعاف الخلافة و خلخلة المجتمع العباسي الذي كان يعاني الكثير قبل الغزو المغولي لأراضيه.

ومن الظواهر الاجتماعية التي برزت بقوة في العراق و خاصة بغداد قبيل الغزو المغولي ظهور طائفة العيارين الذين كانوا يمارسون الفساد بكل أشكاله حيث قوى أمرهم في هذه الفترة بعد تراجع دورهم طيلة فترة حكم الناصر و الظاهر و المستنصر نتيجة اندماجهم في حركة الفتوة[2] التي أنشأها الخليفة الناصر و التي تمكنت من حفظ الأمن بداخل بغداد بصورة لا تسمح بظهور نشاط للشطار و العيارين[3].

إلا أن تنظيم الخليفة الناصر للفتوة لم يستمر طويلا، فبعده فقدت حركة الفتوة حيويتها، وعادت حركة الشطار و العيارين للظهور مرة أخرى و الخروج عن طاعة الخليفة وازداد نشاطهم، في خلافة المستعصم بسبب الفتن الطائفية و المذهبية وحين انشغلت السلطة عن إخماد تلك الفتن ازداد النهب و بلغت جرأتهم إلى حد التهجم على دور الأمراء.

---

1 - ابن كثير: **المصدر السابق** ،ج 17، ص 212

2- الفتوة في اللغة صفة الفتى اشتقت منه كالرجولة من الرجل ، و هي اسم لجماعة في العصر العباسي من مظاهر أفرادها لبس زي خاص بها ن يرأسهم متقدم فتيان وهو بمثابة رئيس الجماعة ، اختلف المؤرخون في علة تبني الخليفة الناصر لها و دعمها .و هناك من لا يرى أن لا فرق بينها و بين الشطار و العيارين و أن الكلمات الثلاث تحمل نفس المدلول. ابن المعمار الحنبلي ،**كتاب الفتوة** ، تحقيق و نشر مصطفى جواد ،مكتبة المثنى بغداد ، 1958، ص 5 / 34

3 - ابن الفوطي : **المصدر السابق** ، ص214

وتحكمت هذه العصابات ببغداد و كان قائد الجيش الدويدار الصغير على علاقة بيهم و كان يستخدمهم ورقة ضغط حتى على الخليفة ففي حوادث سنة 648هـ/1250م يذكر ابن الفوطي:"...كثر اللصوص و العيارون ببغداد وكانوا يحضرون بالجماعة و يأخذون أموال الناس.."[1].

و خلاصة القول أن هذه الطائفة كانت عاملا من العوامل التي زادت من ضعف الخلافة وعنصرا خطراً زاد من التفرقة و الضعف و اختلال الأمن داخل المجتمع العراقي[2] .

ومن الأوضاع الاجتماعية المتعلقة بالبحث أوضاع أهل الذمة فقد شكلوا طبقة اجتماعية عاشت في كنف المجتمع العباسي و اتبع معهم الخلفاء العباسيون في هذه الفترة سياسة فيها الكثير من التسامح الديني و الاجتماعي حيث منحوا الكثير من الامتيازات ، و لم تكن أحياءهم مفصولة عن أحياء المسلمين. و كان عليهم أن يدفعوا الجزية مقابل معيشتهم في بلاد الإسلام وحمايتهم وإعفاءهم من الجندية.

ويبدو أن العراق كان بها نسبة كبيرة من اليهود خاصة في مدينة بغداد، و كان لهم ممثل في دار الخلافة يشرف على مراسيم العبادة و يتولى النواحي الدينية و السياسية و الاجتماعية لليهود ، وانتشرت كنائسهم في الرصافة و الكرخ ببغداد كما تميزوا بتمسكهم الشديد بالتقاليد الدينية وتعصبهم لها، و تركز عملهم في الأمور المالية و المصرفة ، فعملوا في التجارة و الصياغة[3] ، و استغلوا تسامح الدولة الإسلامية معهم وأصبحوا احد أقوى عوامل تهديم و إضعاف المجتمع و مارسوا الفساد، و استغلوا مناصبهم في الدولة في الربا و السرقة ،و هو ما أدى إلى عدم الرضى و غضب في صفوف المجتمع تجاه هذه الفئة التي ألحقت ضررا ببلاد الإسلام نتيجة مبالغة الخلافة في التسامح معهم مما جعلهم عرضة للاعتداء في بعض الأحيان[4] .

1 – ابن الفوطي : **المصدر السابق**، ص 198.

2 – يحي عبد الهادي حسين : **الفتوة في بغداد في العصر العباسي الأخير** ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، الجامعة الأردنية 1992،ص 151.

3 – القدحات : **المرجع السابق**، ص 55.

4 – ابن الفوطي : **المصدر نفسه** ، ص 124.

و كما كان لليهود دورهم الاجتماعي كذلك كان للنصارى الذين عاشوا مع المسلمين في داخل بغداد فسمح لهم الخلفاء بإنشاء الكنائس خاصة في الجانب الشرقي من بغداد و ممارسة شعائرهم الدينية، كما كان لهم من يمثلهم في دار الخلافة و تمتعوا بامتيازات اجتماعية و مناصب هامة في الدولة، و كان لبعضهم مكانة عالية في العلم فمنهم من كان رئيس الطب في العراق[1] ،ومنهم من عمل في دواوين الدولة ووصل إلى مناصب مرموقة ، وقد عاشوا في مستوى رفيع ، و تمتعوا بحرية وجاه لم يتمتعوا بهما في بلد آخر.

ونتيجة لبعض تجاوزتهم أصدر الخليفة الناصر لدين الله مرسوما يمنع استخدامهم في الدواوين لأنه رأى في ذلك إذلالا للمسلمين، غير أن الأمر لم يدم طويلا و ذلك لتمكنهم من الدولة ، وخبرتهم التي لا يمكن الاستغناء عنها، لعدم توفر البديل من المسلمين ،هذه المكانة العالية التي حظي بها أهل الذمة هي التي أثارت حنق الفقهاء عليهم و إصرارهم على عدم المساواة بينهم وبين المسلمين[2].

و يبدو أن النصارى كانوا يعيشون في العصر الأخير من عمر الدولة العباسية بانتعاش ، حيث كانت جيوش المغول قد حطمت الدولة الخوارزمية ، ووصل إلى سدة الحكم عند المغول خان جديد قرب إليه النصارى و جعلهم من مستشاريه ، بالإضافة إلى الضغط الصليبي على بلاد الشام و الذي ولد لديهم نظرة استعلاء على المجتمع الإسلامي[3].

ومهما يكن فان سياسة التسامح الديني و انفتاح الدولة العباسية على مختلف رعاياها دون تعصب أو إقصاء ساعد على تمكين أهل الذمة من احتلال مواقعهم في المجتمع العباسي ، أما ما كان من تضييق عليهم في بعض الفترات فهي أمور اقتضتها أسباب سياسية و لم تستثن منها أحيانا حتى الطوائف الإسلامية.

1 –رفائيل بابو اسحق:**أحوال نصارى بغداد في عهد الخلافة العباسية** ، مطبعة شفيق بغداد،1960، ص 220

2 – ابن الفوطي : **المصدر السابق** ، ص 66

3 – سعد الدين الغامدي : **المرجع السابق** ، ص 324

ثالثا: الأوضاع الاقتصادية :

ترتبط الأوضاع الاقتصادية عادة بالأوضاع السياسية قوة و ضعفا ، فالعلاقة بينهما طردية في اغلب الأحوال ليه فإن تدهور الأوضاع السياسية في العراق أدى إلى ضعف الأحوال الاقتصادية من جهة كما كان للعامل الاقتصادي دور في تراجع قوة الدولة العباسية من جهة أخرى.

إذ بعد سيطرة المغول على الأقاليم الشرقية وعلى آسيا الصغرى، تحولت خطوط التجارة العالمية بين الشرق و الغرب بعيدا عن العراق.و قد ضاعفت تلك التحولات في تقلص النشاطات التجارية بين دار الخلافة و الشرق الإسلامي فتناقصت موارد الدولة .حتى أن بعض التجار حين شاهدوا ظهور المغول و عدم استطاعة الحكومة العباسية حمايتهم و حماية تجارتهم لجئوا إلى التقرب إلى المغول و اصطناع الأصدقاء من أمرائهم و لعلهم قدموا أموالا لغرضهم هذا ؛لأنهم الأكثر حاجة إلى الأمن وتأثرا بفقده[1].وعليه فان التجارة الخارجية بوجه عام تراجعت في بداية القرن السابع هجري /الثالث عشر ميلادي حيث كانت تتعرض إلى النهب و السلب و حتى القتل أحيانا من المغول و من فرق الإسماعيلية المنتشرة في أطراف البلاد أحيانا أخرى.

أما التجارة الداخلية فبقيت مزدهرة حتى أواخر العصر العباسي ، وظلت أسواقها عامرة حيث يذكر ابن جبير:"...أن تجار الشام و الموصل كانوا يأتون بغداد و يروحون ، وكان في العراق الأسواق العامة التي يجتمع فيها التجار من كل الأنحاء"[2].ووصف أسواق بغداد بقوله" عظيمة الترتيب"، كما وصف مدن أخرى كالحلة و تكريت و ذكر بان أسواقها حافلة و تجارتها كثيرة[3].

وقد ساهم ازدحام بغداد بالسكان في تقوية الحركة التجارية في أسواقها،بالإضافة إلى المرافق التي كانت تتوفر عليها الأسواق من مساجد و حمامات و فنادق لإقامة التجار الغرباء عن المدينة .

1 – عبد السلام ذنون العلي: **المغول و احتلال بغداد** ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص 129.

2 – ابن جبير : **الرحلة** ، دار صادر ، بيروت ، د ت ،ص 206.

3 – ابن جبير : **المصدر نفسه** ،ص208.

و اختص كل سوق بنوع معين من التجارة و البضائع خاصة في الجانب الشرقي من بغداد ، وكان التجار يتاجرون في مختلف السلع من شعير و توابل و منسوجات و سكر و أدوية و جواري وعبيد[1] .كما كان التجار يصدرون بضائعهم إلى خارج بغداد منها ، الأقمشة القطنية،و الستور، والأطعمة، و الفواكه كالرمان و التين ، و أدوات الزينة كالحناء و ماء الورد و الصابون.

و اعتمدت التجارة الداخلية في العراق على الطرق النهرية أكثر من الطرق البرية لسهولتها وقلة تكلفتها و امتداد نهري دجلة و الفرات على طول امتداد الأراضي العراقية ،و اعتمدت التجارة في طرقها على نهر دجلة أكثر من نهر الفرات لوقوع المدن الرئيسية ذات المراكز التجارية الهامة عليه.كما لعبت الطرق البرية دورا في التجارة العراقية حيث كانت القوافل تسير برا إلى المراكز التجارية العامة داخل العراق ، أو منطلقة من العراق نحو البلاد المجاورة و البعيدة عنه[2] .

وشهدت التجارة الداخلية أيضا تراجعا و ضعفا قبيل الغزو المغولي للعراق نتيجة عدة أسباب أهمها الإضرار التي كان يتعرض لها التجار حيث دمرت فيضانات بغداد سنة 624هـ/1226م أسواق بغداد، ونفس الشيء سنة 654هـ/1256م حيث كان الغرق العظيم ببغداد[3] ، إلى جانب الفتن الداخلية و الاقتتال الضار بين مختلف فئات المجتمع من أهل السنة و الشيعة والمسيحيين واليهود. ومما زاد تراجع من التجارة غارات المغول المتتالية على أطراف البلاد و التي استنزفت كثير من موارد و طاقات البلاد.

---

1 - ابن كثير : **المصدر السابق**،ج17، ص265

2 - جعفر خصباك : **المرجع السابق** ،ص 135

3 - الذهبي : **دول الإسلام** ، ج 02، ص 170

أما الزراعة فلم تكن أحسن حالا من التجارة فقد عرفت تدهورا في هذه الفترة رغم تشجيع الخلفاء العباسيون لها والجهود التي بذلوها في إصلاح الأنهار و الجداول التي خربت في الفترة السلجوقية ،فقد قام الخليفة المستنصر بالله بإصلاح نهر الدجيل[1] و سد ديالى[2] ،و وصف ابن جبير الذي زار العراق سنة 580هـ/1184م قادما من الحج الطريق الذي مر به وصفا دقيقا مبينا مناطق الزراعة ابتداء من دخوله العراق حيث ذكر القادسية بأنها قرية كبيرة فيها حدائق من النخيل و مشاريع من ماء الفرات ، ثم ذكر الكوفة ووصف الجانب الشرقي منها كله حدائق نخيل و عند وصوله إلى الحلة وصفها بأنها على شط الفرات و ديارها بين حدائق النخيل ، و أعجب بما شاهده بين بغداد و الحلة من البساتين و القناطر الكبيرة المتصلة ووصفت بأنها أحسن طريق و أن ارض هذا الطريق أشبه ببساط اخضر [3] .

و عرفت واسط بكثرة قراها و بساتينها و نخيلها ووفرة محاصيلها حيث كانت مركزا هاما لزراعة الشعير، و كانت المنطقة الممتدة مابين واسط و البصرة تعتمد في زراعتها على الري و تزود بمياه دجلة، و كان الأرز و قصب السكر أهم حاصلاتها.

و اعتبرت البصرة من أمهات مدن العراق و أنها ذات البساتين الكثيرة ، و ليس في الدنيا أكثر نخلا منها و استمرت عامرة بأشجارها و نخيلها مدة طويلة بعد سقوط العراق بيد المغول.

وتعددت المحاصيل الزراعية في العراق فقد كان هناك الحنطة و البرتقال و القطن و قصب السكر، واشتهرت العراق أيضا بالنخيل، حيث كان تمر العراق ذو سمعة كبيرة[4].

---

1 – اسم نهر مخرجه في أعلى بغداد بين تكريت و بينها مقابل القادسية دون سامرا ،يسقي بلاد كثيرة ثم تصب فضلته في دجلة. ياقوت الحموي : **المصدر السابق** ، ج02،ص 443

2 –نسبة لنهر ديالى و هو نهر كبير بقرب بغداد ، و هو نهر بعقوبا الأعظم يجري في جنبها، وهو الحد بين طريق خراسان و الخالص.ياقوت الحموي : **المصدر نفسه** ، ج 02، ص 495

3 – ابن جبير : **المصدر السابق** ، ص،ص 190-191

4 – حسن إبراهيم : **المرجع السابق** ،ج03 ،ص328

ويتضح مما سبق أن العراق كان غني بثرواته الزراعية ، و أن هذه الثروة كانت تتركز حول ضفاف نهري دجلة و الفرات حيث استغلت مياه النهرين في ري هذه المناطق و حولتها إلى بساتين عامرة بمزروعاتها، وأن الزراعة كانت نشطة و مشاريع الري كثيرة على امتداد ضفتي نهري دجلة والفرات، وأن المحاصيل على اختلاف أنواعها كانت متوفرة في العراق خاصة أيام الخليفة المستنصر بالله الذي كانت أيامه طيبة، و الدنيا في زمانه ساكنة، و الخيرات دارة و الأعمال عامرة[1].

العوامل المهمة التي أثرت على زراعة العراق قبيل الغزو المغولي نظام الإقطاع الذي كان سائدا آنذاك و الذي انتشر بقوة في العصر العباسي الأخير حيث سار الخلفاء العباسيون على المنهج السلجوقي في منح الاقطاعات للقادة و الأمراء مكافأة على دعمهم للخلافة و مساندتها في صراعها مع أعدائها.

و لقد كان هناك أسلوبين في منح الإقطاع ، إما بطريقة الضمان و فيها يتعهد الضامن بتقديم المال المتفق عليه مع الخليفة ويحتفظ بالباقي له ، أو تعطى إلى المقطع على شكل "إقطاع إداري "يكون فيها المقطع ملزم بإرسال مال الإقطاع إلى الخلافة بعد اخذ نصيبه من المبلغ[2].

و قد كان الخليفة الناصر أكثر الخلفاء العباسيين منحا للإقطاع لقواده من المماليك الذين قدموا له خدمات جليلة ، فقد استطاع الخليفة الناصر من ضم عدة أقاليم إلى أراضى الخلافة و عين عليها احد مماليكه الذي يتعهد أمامه بإرسال مال المقاطعة المتفق عليه و الأمر نفسه مع الخلفاء الذين بعده[3].

كان من نتائج هذا النظام تدهور الأرض الزراعية و تحول مساحات واسعة من الأراضي الخصبة إلى أراضي قاحلة من خلال عمليات النهب و التخريب الذي مارسه المقطعين من فرض ضرائب و عدم الاعتناء بمشاريع الري و العناية بالمحاصيل الزراعي، و انخفاض مستوى الإنتاج

1 -محمد بن علي ابن طقطقي : **الفخري في الآداب السلطانية** ، دار صادر بيروت ، د ت ،ص188

2 - محمد حسن سهيل الدليمي:**الإقطاع في الدولة العباسية(447-656هـ)**،مركز البحوث و الدراسات الإسلامية العراق، ص ص130-134

3 - ابن الفوطي : **المصدر السابق** ،ص ص30-31

الزراعي[1]، و يضاف إلى ذلك تأثر العراق في الفترة التي سبقت الغزو المغولي بالكوارث الطبيعية التي أسهمت في إضعاف الزراعة واقتصاد العراق بوجه عام ، حيث يروي ابن الفوطي أن السنوات الأخيرة من عمر الدولة العباسية تعرضت الكثير من الأراضي إلى الغرق بفعل الفيضانات ،و أتلفت المزارع والنخيل و البساتين و دمرت الثروة الحيوانية ، ورغم هذه الفيضانات إلا أنه كان هناك أراضي زراعية تموت و هلكت مزارعها بفعل العطش و عدم وصول الماء إليها[2].

و حدث أيضا انه في سنة 654هـ/1256 ارتفع منسوب نهر دجلة فغرقت البلاد وكان هذا الفيضان الأسوأ ، إذ أن المياه أحاطت ببغداد و غرق جانباها و هدم دور كبيرة ، و امتلأت أسواق الجانب الشرقي، وخرج الماء من حيطان الدور و المنافذ ، و الآبار ، وأتلفت نصف أراضي و مزارع العراق[3] .

و تبدو الصناعة أفضل حالاً من الزراعة و التجارة في العصر العباسي الأخير،حيث شهد العراق تطورا ملحوظا في نشاطه الصناعي لامتلاكه المواد الأولية المتنوعة ، فضلا عن النشاط التجاري الذي وفر ما كانت تحتاجه الصناعة من مواد أولية ،فأصبح مركزاً لكثير من الصناعات المهمة.

ونشأت بالعراق العديد من الصناعات تماشيا مع نموه الحضاري و لسد حاجيات سكانه المتزايدة،و اجتمعت في بغداد صناعات متفرقة في المحال تبعا للتنوع السكاني الموجود بها ، و أصبح يتجمع أصحاب كل حرفة و مهنة في سوق واحدة فصار هناك سوق للنحاسيين والحدادين والدباغين و الوراقين و الصاغة و غيرها.

و من أهم الصناعات التي كانت موجودة في العراق و التي تطورت و استمرت حتى بعد الغزو المغولي صناعة النسيج و الألبسة ، فالحياكة من أقدم الصناعات اليدوية ،كما اهتم الناس بالملابس

1 – حسن سهيل الدليمي:**المرجع السابق** ، ص 146

2 – ابن الفوطي : **المصدر السابق** ،ص181

3 – رشيد الدين فضل الله الهمذاني: **جامع التواريخ**، ترجمة محمد صادق نشأت و آخرون،دار إحياء الكتب العربية، مصر ، دت ج01، ص262

وأصبحت كل مناسبة تتطلب نوعا خاصا من الملابس، وهو ما جعل أهل العراق يتفوقون في صناعتها ،و اشتهرت بغداد بالثياب العتابية التي كانت تقدم في المناسبات المختلفة كهدايا للخلفاء ، وقد أشار ابن جبير إلى محلة العتابي أثناء زيارته لبغداد نهاية القرن 6هـ/12م حيث قال :"... ومن أسماء المحلات العتابية وبها تُصنع الثياب العتابية ،و هي حرير و قطن و مختلف الألوان"[1].

و لم تكن بغداد المدينة الوحيدة التي اشتهرت بإنتاج الأنواع المختلفة من الأقمشة في هذا العصر فقد كانت البصرة تنتج أقمشة كتانية و قطنية ممتازة حتى قيل:(الفصاحة في الكوفة و الصنعة في البصرة)[2] ، و في تكريت تصنع المنسوجات الصوفية ذات الجودة العالية .أما واسط فاشتهرت بصناعة الستائر[3].

ومن الصناعات التي برع فيها العراقيون صناعة الحديد حيث كان سوق السلاح الموجود في الجانب الشرقي من بغداد و كذلك صناعة السلاسل الحديدية المستخدمة في الجسور التي وصفها ابن جبير عند عبوره نهر الفرات في الحلة[4]،كما دخل الحديد في صناعة الأبواب و الأسلحة كالسيوف والدروع ، حيث كانت صناعة السلاح قد توسعت في العصر العباسي في كل من الكوفة و البصرة.

أما صناعة الأخشاب فقد دخلت في بناء السفن و المراكب و القوارب الخشبية التي صنعت في بغداد و البصرة حيث استعملت في النقل و التنزه و الحرب ، و كانت الأخشاب متوفرة بكثرة في الموصل و أن قسم منها كان يجلب إلى بعض المدن العراقية[5].

كما اشتهرت بعض المدن في بعض الصناعات بحكم توفر المواد الأولية لديها حيث اشتهرت مدينة العمارة بصناعة البسط و الستائر و الوسائد و الحسران الجيدة و المراوح ، ونشطت الكوفة بصناعة العطور، كما برع أهل واسط وبغداد و البصرة بصناعة الزجاج و تكثر المواد الأولية لصناعته

---

1 – ابن جبير : **المصدر السابق** ،ص201

2 – مج الباحثيين العراقيين : **حضارة العراق** ،بغداد 1985 ،ج 5، ص295

3 –خالد يوسف صالح: **الصناعة في العراق في العصر العباسي الاخير**،مجلة أبحاث كلية التربية بغداد ، العدد الثالث 2009، ص 7

4 – ابن جبير: **المصدر نفسه**، ص 189

5 –مجموعة من الباحثين العراقيين : **المرجع نفسه** ، ص 289

في النجف ، وكان زجاج العراق معروفا في الخارج و هو من أجود الزجاج بديع النقش[1] . و قدر عدد مصانع الزجاج في بغداد وحدها أربعة آلاف معمل[2].

ونشطت الصناعة الغذائية في مدن الخلافة الإسلامية مثل ماء الورد و ماء الليمون و خل العنب و الزيتون و التمور و العسل واخذ الناس بحفظ الفواكه و تجفيفها كما هو الحال مع التين والزبيب و حب الرمان، و كان النبيذ يصنع في بعض مدن العراق في قطربل، و هي قرية بين بغداد وعكبرا[3] و ينسب الخمر الجيد إليها[4].

و عرفت في العراق صناعات أخرى متفرقة مثل صناعة الخيام و الورق و صناعة الأواني المعدنية و دباغة الجلود و صناعة الأحذية أما صياغة الذهب و الفضة، فاشتهر بهذه الصناعة أهل الذمة وحقق أصحابها أرباحا طائلة [5].

و هناك صناعة أخرى أشار إليها ابن الفوطي و هي صناعة الساعات فقد ذكر أن نور الدين بن تغلب الساعاتي المتوفي سنة 683هـ/1275م كان يتولى تدبير الساعات التي تجاه المستنصرية ببغداد[6] .

و يبدو أن الصناعة في السنوات الأخيرة من عمر الدولة العباسية شهدت تراجعا ملموساً ، حيث تأثرت بالتجارة و الزراعة ، فلقد تعرضت الخلافة إلى استنزاف مواردها الاقتصادية ، حيث تعرضت لعدة كوارث طبيعية غرقت فيها المزارع و البساتين من فواكه و قطن وقمح و شعير و غيرها ،

---

1 – ابن جبير: **المصدر السابق** ، ص 61
2 – حسن إبراهيم حسن : **المرجع السابق** ،ج 02،ص254
3 – اسم بلدة من نواحي دجيل بينها و بين بغداد عشرة فراسخ. ياقوت الحموي : **المصر السابق** ، ج 04 ،ص 142
4 – ياقوت الحموي: **المصدر نفسه** ، ج04 ، ص371
5 – خالد يوسف صالح: **المرجع السابق**، ص10
6 – ابن الفوطي : **المصدر السابق** ، ص 305 ، ناجي معروف : **تاريخ علماء المستنصرية** ، مطبوعات دار الشعب ، القاهرة ، ج 02 ، ص324

حيث أصبحت نصف العراق خرابا ، فأثر ذلك على الصناعة سلباً فتوقفت الصناعات الغذائية كما تأثرت صناعة الألبان حيث فقدت البلاد نتصف ثروتها الحيوانية[1].

و يبدو واضحا أن الحياة الاقتصادية في هذه الفترة شبيهة بالحياة السياسية ، فقد أعقب فقدان الاستقرار السياسي ، فساد في الوضع الاقتصادي و تدهوره ، و لا أدل على ذلك سوء أحوال الناس الاقتصادية من اضطرارهم إلى أكل الجيف ،و يشير ابن الأثير إلى أنه ومنذ أوائل القرن السابع هجري/الثالث عشر ميلادي ، قد انتشر الغلاء بالموصل و ديار بكر و ديار الجزيرة جميعها فأكل الناس الميتة ، و غلا مع أسعار الطعام كل شيء[2].

كما أدى سوء الأحوال الاقتصادية إلى فقدان الأمن و الطمأنينة بسبب انتشار القتل واللصوصية و التعرض للقوافل التجارية في أنحاء البلاد الإسلامية .

الأوضاع العلمية :

لاشك أن سوء الأحوال السياسية و ضعف الروابط الاجتماعية كان لهما الأثر الكبير على الحالة العلمية .فلم يكن للعلم و أهله في بداية القرن السابع الهجري/ الثالث عشر ميلادي ما كان لأسلافهم في القرون السابقة لأن المشرق الإسلامي في تلك الفترة كان مشغولا بالمغول الذين ظهروا فيه واستولوا على بعض أقاليمه و عاثوا فيها فسادا و تخريبا.

وقد اتسمت الحياة العلمية في العراق قبيل الغزو المغولي عموما بالنشاط و الازدهار ؛فقد كانت المراكز العلمية منتشرة في أنحاء العراق يُقبل عليها طلاب العلم و العلماء من شتى البقاع وكانت هذه المراكز تعج بالعلماء و المكتبات، بفضل ما كان يلقاه العلم و العلماء من التشجيع والرعاية من الخلفاء و الوزراء ، فقد كانوا يقربون العلماء و يحبون مجالسهم ويناظرونهم و كانوا يبنون المدارس و يخصصون لها أوقافا للإنفاق على ما فيها من طلاب العلم . من مظاهر التقريب والاحترام التي أولاها الخلفاء للعلماء توزيع العطايات و الهدايا عليهم في مختلف المناسبات ، وخاصة الأعياد

1 – الفوطي : **المصدر السابق** ،ص 227،

2 – ابن الأثير: **المصدر السابق** ، ج 10، ص474

الدينية .فقد فرق الظاهر بأمر الله في ليلة عيد الأضحى من 620هـ/1022مئة ألف دينار على العلماء و الصالحين، وكذلك فعل المستنصر بالله فقد أمر بتوزيع المال في يوم عيد الفطر على الفقهاء و الصوفية و على الفقراء و أئمة المساجد[1].

فقد حرص الخليفة الناصر على التقرب من العلماء و الزهاد و رجال الصوفية في بغداد ، واظهر اهتماما بالمؤسسات الثقافية العامة كالمدارس و المكتبات حيث كلف أستاذ داره ابن الصاحب بعمارة المدرسة النظامية على نفقة ديوان الأبنية ، فأعيد ترميمها ، و فرشت بالحصير من جديد ، كما اصدر أمره في سنة 589هـ/1193م بعمارة خزانة الكتب بالمدرسة النظامية و نقل إليها من الكتب النفيسة ألوفا لا يوجد مثله ، وفي نفس كان قد فرغ من عمارة الرباط الذي أمر بإنشائه الخليفة أيضا بالحريم الظاهري غربي بغداد على دجلة ، و هو من أحسن الربط ، ونقل إليه كتبا كثيرة من أحسن الكتب[2] .

و قام ببناء المساجد والمدارس و الأربطة وأنشأ دار علمٍ عرفت "بدار المسناة" .أنشأها لتكون مقرا للمناظرات و مجالس العلم ، وجعل بها خزانة كتب ضخمة حوت نفائس الكتب ، وكلف أحد أشهر علماء عصره في الجبر و الهندسة أبو رشيد مبشر بن أحمد بن الرازي[3] بالإشراف عليها و قد تحولت هذا الدار أيام الغزو المغولي إلى رباط للصوفية[4].

و اهتم الناصر برجال الصوفية و قربهم منه و خصص لهم من ما يكفيهم حاجاتهم،و حرص على أن تضم ربطهم خزائن كتب حيث أمر في سنة 589هـ/1193م لتكون بالإضافة إلى دورها

1 – محمد عبد الله القدحات: **الاهتمامات العلمية للخلفاء العباسيين (575–656هـ/1179–1258م)** ، مجلة العصور ، لندن ، مج 14،ج2002، ص 11.

2 – ابن الأثير: **المصدر السابق** ،ج10 ، ص229

3 – أبو رشيد مبشر بن احمد بن علي ،رازي الأصل ،بغدادي المولد و الدار ،اشتغل بالرياضيات و برع فيها و لاسيما الحساب و الجبر ، اعتمده الخليفة الناصر لدين الله في اختيار الكتب لخزائن الكتب بدار الخليفة . صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي: **الوافي بالوفيات** ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت2000، ج 25،ص 58

4– ابن الفوطي: **المصدر السابق** ، ص 333

في خدمة الصوفية مراكز علم وثقافة ،و لاستمرار هذه المؤسسات في أداء أدوراها أوقف لها الخليفة الناصر أوقافا كثيرة [1].

و لمزيد من التقرب من العلماء و الفقهاء اشتغل الناصر في وسط ولايته برواية الحديث ، وجمع كتابا يحتوي على سبعين حديثا سماه روح العارفين[2] .و قد ذكر في هذا الكتاب الشيوخ الذين أجازوا له ، وأظهر الإجازة التي أخذت له منهم و ذلك سنة 607هـ/1210م، وعمل على نشر هذا الكتاب على أوسع نطاق داخل بغداد و خارجها حيث أجاز للعديد من العلماء تدريسه[3]. وقد ظهر لهذا الكتاب شرح ، وضعه سبط ابن الجوزي سماه " شرح روح العارفين"[4] ،كما ألقى الخليفة الناصر لدين الله دروسا في شرح مسند الإمام أحمد بن حنبل ، و يظهر أن الخليفة الناصر كان يهدف من وراء ذلك كله اكتساب احترام و دعم العلماء و الفقهاء له ، وتثبيت قدسية الخلافة في نفوس حكام الأطراف و الناس عامة بالإضافة إلى محاولته الحد من الخلافات المذهبية الموجودة في تلك الفترة[5].

كما عرف الخليفة المستنصر بالله بحبه للعلم و تشجيع طلابه و عنايته بالعلماء و أهل الأدب، و المعاهد العلمية ، و كان يميل شخصيا إلى العلوم الدينية و الأدبية التي اشتغل بها، عاكفا على نقل الكتب حريصا على ذلك مواظبا عليه ،حسن الخط صحيح الضبط[6].وأول من تتلمذ على يديه الشيخ هبة الله بن الحسن المعروف بان الأشقر ، فكان يدخل عليه و يقرئه القرآن، ولقد لمح به جده الخليفة الناصر الفطنة و الذكاء، فحرص على تقريبه منه ، وإحضاره مجالسه ، وكان يسميه القاضي لعقله و هديه و إنكاره المنكر.

1 – عبد الرحمن سنبط الاربلي : **خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سيرة الملوك**، مكتبة المثنى بغداد ، د ت، ص 282

2 – ظهير الدين ابن الكازَرُونى : **مختصر التاريخ** ،تحقيق مصطفى جواد، مطبعة الحكومة بغداد ، 1970، ص 244

3 – الذهبي : **سير أعلام النبلاء** ، ج22، ص197

4– أبو شامة : **الذيل على الروضتين** ، دار الجيل بيروت د ت ، ص 63

5 – محمد عبدالله القدحات : **الاهتمامات العلمية للخلفاء العباسيين (575–656هـ/1179–1258م)**، ص 8

6 – الأربلي : **المصدر نفسه** ، ص 286

و مم يدل على عنايته بالعلم كثرة ما شيد من المدارس، وأسس من دور الكتب، و ما بنى من رُبط وما أوقف من أوقاف عظيمة عليها، و أما رعايته للعلماء و إنعامه عليهم فله فيها أصول منها زيارة بعضهم و مجالسة الكثير منهم[1].

وتعد المدرسة المستنصرية من مفاخر المستنصر، فقد شرع في بنائها سنة 625هـ/1228 م وافتتحت سنة 631هـ/1234م[2]،قال ابن كثير:« لم يبن مدرسة قبلها مثلها،ووقفت على المذاهب الأربعة من كل طائفة اثنان و ستون فقيها ، و أربعة معيدين ، و مدرس لكل مذهب ، و شيخ حديث، و قارئان ،و عشرة مستمعين، وشيخ طب ، وعشرة من المسلمين يشتغلون بعلم الطب . ولما كان يوم الخميس خامس رجب حضرت الدروس بهاو حضر الخليفة المستنصر بالله بنفسه الكريمة و أهل دولته من الأمراء و الوزراء و القضاة و الفقهاء ، و لم يتخلف أحد من هؤلاء، و كان يوما مشهودا»[3].

و اشتهرت هذه المدرسة بميزة أخرى عن المدارس الإسلامية السابقة حيث جمع الخليفة المستنصر فيها المذاهب الفقهية الأربعة و علوم القرآن و السنة النبوية وعلم الطب و العربية والرياضيات و الفرائض في آن واحد...و جعلها في مكان واحد ،و لم تكن المدارس قبل المستنصرية كذلك ؛ فقد كانت مدارس الطب تبنى مستقلة عن مدارس الفقه أو دور الحديث[4] .و تم استبعاد الفقه الشيعي الإمامي من المستنصرية لطبيعة أصحاب هذا المذهب و طبيعة دراساتهم الفقهية التي كانت بعيدة عن حاجات و رغبات الحاكمين أو حتى الظروف السياسية السائدة آنذاك[5].

1 –سبط ابن الجوزي :**مرآة الزمان في تواريخ الأعيان** ، تحقيق إبراهيم الزيبق ،دار الرسالة العالمية ،دمشق 2013، ج 22 ، ص376

2 – الذهبي : **تاريخ الإسلام** ، ج46 ، ص 6

3 – ابن كثير : **المصدر السابق** ، ج 17 ، ص ص 212-213

4 – ناجي معروف : **المرجع السابق** ، ج 01 ، ص25

5 – محمد مفيد آل ياسين : **الحياة الفكرية في العراق في القرن السابع هجري** ،الدار العربية للطباعة بغداد،1979،ص 70.

وأودع الخليفة في خزانة كتبها من الكتب النفيسة المحتوية على العلوم الدينية و الأدبية، ما حمله مائة و ستون حملاً و يذكر ابن كثير أن هذه الخزانة كانت تضم كتبا نفيسة ليس لها في الدنيا نظير[1] .

لقيت هذه المدرسة المستنصرية قبولا واسعا من لدن طلبة العلم ، فوفدوا لها من مختلف الأمصار الإسلامية ، فاشتغلوا بالبحث و الدرس ونسوا الضغائن و الأحقاد المذهبية ، وأصبح يجمع طلبة المدرسة المستنصرية على اختلاف عناصرهم و طوائفهم شعور واحد هو الاعتزاز بالمدرسة المستنصرية و مكانتها و علومها[2] .

اهتم الخليفة المستنصر أيضا بسماع مناظرات العلماء ،و كان له صلات و صدقات إلى من يرد عليه العلماء و الزهاد و الأدباء و سائر الطبقات، وكان لذلك الأثر البالغ في إقبال العلماء على العلم و التأليف وقد وصف الذهبي الخليفة المستنصر ذلك بقوله:"...و بيعت كتب العلم في أيامه بأغلى الأثمان لرغبته فيها و لوقفها..."[3].

و لقد زخر عصر المستنصر بالله ، بالعلماء الذين اشتغلوا بأغلب فروع المعرفة ، التي ألفوا فيها الكتب و المعاجم و الدواوين و لم يعرف عن الخليفة المستنصر التعصب لمذهب دون أخر من المذاهب الإسلامية ،حيث أمر أستاذ الدار سنة627هـ/1229م بإعمار مساجد الكرخ الشيعية[4] ، كما قام بنفسه بزيارة مشهد موسى الكاظم، و أمر بتوزيع ثلاثة آلاف دينار على العلويين المقيمين في مشهد علي ابن أبي طالب و مع هذا فان عصره لم يخل من الفتن الطائفية بين الشيعة و السنة[5].

أما ابنه المستعصم بالله فأراد أن يقتفي أثار أبيه في تشجيع العلم وتقريب العلماء و حبه للكتب ، فسلم في السنة التي تولى فيها الخلافة خزانة كتبه الخاصة إلى شيخه العدل شمس الدين علي

1 - ابن كثير : **المصدر السابق** ،ج17، ص213

2 - محمد عبد الله القددحات :**الأوقاف ودورها في توفير مستلزمات التعليم في بغداد550-656هـ/1160-1258م**، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، العدد12 ،جوان 2018، ص242

3 - الذهبي : **سير أعلام النبلاء** ، ج 23، ص157

4 - ابن الفوطي : ا **المصدر السابق** ، ص 28

5 - ناجي معروف : **المرجع السابق** ، ص80

ابن النيار و أكرمه وأمره بالترداد و الملازمة[1].ثم أنشا خزانة أخرى كبيرة في داره سنة 641هـ/1243م و نقل إليها نفائس الكتب . كما سار على نهج والده في التقريب بين أتباع المذاهب المختلفة فأنشأت حظيته و زوجته الملقبة بباب بشير مدرسة عرفت باسم المدرسة البشيرية [2] بالجانب الغربي من بغداد ،وتم الشروع ببنائها سنة 649هـ/1251م و افتتحت في جمادى الآخرة سنة 653هـ/1255م، وحضر الافتتاح الخليفة المستعصم بالله و أبناؤه ، فجلسوا في وسطها ، و حضر خواص الخليفة و مماليكه، ثم حضر الوزير ابن العلقمي و كافة أرباب الدولة و ذوو المناصب والمدرسون. كانت هذه المدرسة قد أنشئت على قاعدة المدرسة المستنصرية لتدريس المذاهب الأربعة[3] وهي بذلك ثاني مدرسة متعددة المذاهب ، وضمت داراً للقرآن و خزانة كتب [4].

و بَنَى الخليفة المستعصم ببغداد المدرسة المستعصمية، و كانت من المدارس التي تدرس الفقه على مذهب الإمام أحمد، و بقيت إلى ما بعد سقوط بغداد على يد المغول سنة656هـ/1258م[5].

و حرص الخليفة المستعصم بالله على سماع الحديث، و سعى إلى كبار المحدثين في عصره ليُجزُوهُ مروياتهم، و تحصيل الإجازات العلمية من عدد من العلماء.

وقد تركت مظاهر الفوضى و الانحلال السياسي و الاجتماعي في عهد المستعصم بالله أثارا كبيرة على الحياة الفكرية حيث انتشر بقوة الاتجاه الصوفي في فترة آخر خلفاء العباسيين، إذ نجد اهتماماً واضحا بالمتصوفة و ربطهم ، وتقديرا كبيرا من الخليفة المستعصم لمشايخهم و زهادهم ، حيث

1 – ابن الفوطي : **المصدر السابق** ، ص132

2 – تقع بالجانب الغربي من بغداد أمرت ببنائها أم الخليفة المستعصم بالله ، تم الشروع في بنائها سنة 649هـ/1251م، جعلتها وقفا على المذاهب الأربعة ، ضمت دارا للقرآن و خزانة كتب ، ابن الفوطي : **المصدر نفسه** ، ص 221

3 – ابن الكازروني : **المصدر السابق** ، ص269

4 – الملك الأشرف الغساني: **العسجد المسبوك و الجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء و الملوك**، تحقيق شاكر محمود ، دار التراث الإسلامي ، بيروت 1975، ص 609

5 – ابن الفوطي : **المصدر نفسه** ، ص 212

وزع عليهم الأموال و الهدايا ،وأنشأ رباطا نُسْويًّا سنة 652هـ/1254م بدار الشط[1]، واسكنه النساء المتصوفات و جعل مشيخته لبنت الخليفة المهتدي[2] . و عرض منصب الوزارة بعد شغوره حين أفضت الخلافة إليه إلى شيخه شمس الدين أبو المظفر علي بن النيار الفقيه الصوفي[3] الذي اختص بخدمة الخلفاء منذ صغره فأبى ذلك وقال:"...إني عاهدت الله على أن لا أغير لبس المتصوفين ، ولا أنزع عني ما تعودته" ففوض إليه مشيخة الشيوخ ببغداد، وسلم إليه رباطا[4].

ويمكن إرجاع شدة غلبة الروح الدينية على أهل العصر، إلى المحن و الفتن التي تعرضوا لها في هذه الفترة[5]. وقد ترك التصوف الأثر السيئ على العراق و المشرق الإسلامي عموما قبيل الغزو المغولي المغولي بما مثله في كونه ابتداعا في الدين ، و انحرافا عن العقيدة الإسلامية ، و هو كما ير بعض العلماء من أسباب تسليط الكفار التتار على بلاد المسلمين ،فقد أشار ابن تيمية إلى شيوخ الصوفية بقوله:"..وكثيرا ما كنت أظن أن ظهور مثل هؤلاء أكبر أسباب ظهور التتار و اندراس شريعة الإسلام"[6].

وتظهر في هذا العهد ، قوة الشيعة الامامية ، رغم محاولات السلطة في إضعاف هذا الاتجاه والضغط على أتباعه ، و منعهم من القيام بشعائرهم الضالة و البعيدة عن الإسلام ، و يؤيد قوتهم

---

1 – تقع بالجانب الشرقي على شاطئ دجلة ، و هي دار الأمير علاء الدين الطبيرسي المعروف بالدويدار الكبير مصطفى جواد : **الرُبُط الصوفية البغدادية و أثرها في الثقافة الإسلامية**، الدار العربية للموسوعات ، بيروت 2006،ص 49

2 – عبد الله القدحات : **الحياة الاجتماعية في بغداد في العصر العباسي الأخير** ،ص130

3 – علي بن محمد بن الحسين، صدر الدين أبو الحسن بن النيار شيخ الشيوخ ببغداد ،وكان أولا مؤدبا للإمام المستعصم بالله، فلما صارت الخلافة إليه نال الشيخ رفعة عظيمة ووجاهة هائلة ،و ولاه مشيخة الشيوخ ببغداد ،وانتظمت إليه أزمة الأمور، ثم انه ذبح بدار الخلافة كما تذبح الشاة في سنة 656هـ/1258م على يد المغول ، ابن كثير ، **المصدر السابق** ، ج 17 ، ص 382.

4 – ابن الفوطي : **المصدر السابق** ،ص 154.

5 – محمد مفيد آل ياسين : **المرجع السابق** ،ص 84

6 – احمد ابن تيمية : **مجموع الفتاوي** ،جمع و ترتيب عبد الرحمان بن محمد بن قاسم ، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة2004 ،ج 13 ، ص 180

في هذه الفترة استيزار مؤيد الدين ابن العلقمي الشيعي سنة 643هـ/1245م ، و استمراره في الوزارة إلى أخر يوم من أيام الدولة العباسية[1].

وعرف عن مؤيد الدين محمد بن العلقمي وزير الخليفة المستعصم بالله ،حبه للعلم و اشتغاله به، ورعايته للعلماء و تقريبهم، حيث اشتغل في صباه في الأدب فبرع فيه، و كان يحب أهل الأدب ويقربهم، و من حبه للعلم فقد اقتنى كتبا كثيرة نفيسة، الأمر الذي استوجب أن ينشأ في سنة 644هـ/1246مكتبة خاصة في داره ضمت كتبا كثيرة في أنواع العلوم بلغت عشرة ألاف من كتابا ،و كان يشتغل بها كلما فرغ من مهام الوزارة [2].

وقد برز عدد غير قليل من علماء الامامية في هذا العهد خاصة في الحلة مركزهم الفكري، أمثال نجيب الدين محمد بن جعفر بن نما الحلي (ت645هـ/1247م) شيخ فقهاء الحلة وزعيمهم، كان من ألمع علماء عصره، و أحد رواة الحديث في الحِلة في القرن السابع هجري[3]،و كافي الدين الحسين بن علي بن نما بن حمدون الحلي (ت 618هـ/1220م)الأديب الفاضل ولد بالحلة و نشأ بها و برع في الأدب و الكتابة ، ثم قدم بغداد و استوطنها ، و كان له ديوان شعر في مختلف الفنون[4].

الفنون[4].

و كان عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن أبي حديد المدائني من أعلام الفكر في هذا العصر، فانه و إن تقلد في عهد المستعصم بالله عدة مناصب منها الإشراف على البلاد الحلية ، و النظر في البيمارستان العضدي إلا أنه كان منصرفا إلى البحث و التأليف وقد وصف بأنه كان "... من أعيان العلماء الأفاضل ، و أكابر الصدور و الأماثل ،حكيما فاضلا، كاتبا كاملا..."[5].

1 – ابن كثير: **المصدر السابق** ،ج 17،ص 273 ، مفيد آل ياسين : **المرجع السابق** ، ص90-91.
2 – الملك الاشرف الغساني : **المصدر السابق** ، ص 640
3 – ماجد عبد زيد الخزرجي : **مجلة بابل للدراسات الإنسانية**، العراق ،المجلد 04 ،العدد03 ،ص299
4 – ماجد عبد زيد الخزرجي : **المرجع نفسه** ،ص 303
5 – ابن كثير : **المصدر نفسه** ،ج17 ، ص 354– الملك الاشرف الغساني : **المصدر نفسه** ، ص 642

وزخر العباسي الأخير بالعلماء الذين اشتهروا بأغلب فروع المعرفة التي ألفوا فيها الكتب والمعاجم والدواوين والذين مثلوا مختلف الاتجاهات الفكرية التي ظلت منتشرة طيلة العصر العباسي الثاني خاصة بعد عصر السلاجقة مسيطرة على المشهد.

و أدرك الخلفاء دور الفقهاء والعلماء باعتبارهم قادة الفكر و الرأي في توجيه الناس، و ذلك من خلال اتصالهم المباشر بهم ، سواء في المساجد و الجوامع أو في دروس الوعظ . إضافة إلى أنهم جزء من المجتمع ينتمون إلى مختلف شرائحه. لذلك أولى الخلفاء اهتماما بهم و بمؤسساتهم لاستخدام ذلك في خدمة أغراض و مصالح الخليفة و مؤسسة الخلافة، والاستعانة ببعضهم ليشغلوا وظائف إدارية عليا كالقضاء و الحسبة وأستاذية الدار والسفارة و حتى الوزارة.

وممن برز من العلماء في هذا العصر الإمام محي الدين ابن الجوزي الذي قربه الخلفاء و قدموه، و رأى من العز والمكانة و الإكرام عنده مالم يبلغه أحد في عصره ، بل إن الخليفة الناصر لدين الله أوصى عند موته أن يُغَسِّله.

وقد تولى الأُسْتَاذدَارِيَّة [1] ، و أرسل في سفارات من لدن دار الخلافة إلى الملوك ، فأرسله الخليفة الظاهر بأمر الله إلى مصر كما أرسله الحليفة المستنصر بالله من بعد مرات إلى الشام و مصر وشيراز و غيرها[2]. كما جُعل مدرسا للحنابلة بالمدرسة المستنصرية ، و كان الخلفاء يحضرون دروسه ووعظه[3].

صنف ابن الجوزي تصانيف كثيرة ، قال قطب الدين اليونيني : (له عدة تصانيف في الخلاف، و الجدل ، والمذهب ، و الوعظ ، و له كتاب سماه معادن الإبريز في تفسير الكتاب العزيز)[4] ، ومن مؤلفاته كتاب "المختار في أخبار المختار" – صلى الله عليه وسلم- و "المذهب الأحمد فِي مَذْهَبِ أحمد".

---

1 -ابن الفوطي : **المصدر السابق**، ص 153

2 -قطب الدين اليونيني : **ذيل مرآة الزمان** ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ،الهند1954 ،ج 01 ، ص 334

3 -ابن كثير : **المصدر السابق** ، ج 17 ، ص 376

4 -اليونيني: **المصدر نفسه** ، ج 01 ، ص335

و أجمع كل من ترجم له أنه كان علما من أعلام الدين و بارعا و متمكنا في شتى أنواع العلوم مع الاتقان و الحفظ ، فقد ذكره الذهبي في تاريخه :(كان إماماً كبيراً ا ، و صدراُ معظماً ، عارفا بالمذهب ،كثير المحفوظ،، حسن المشاركة في العلوم ، مليح الوعظ ،حلو العبارة، ذا سمت ووقار، وجلالة، و حرمة وافرة ، درس ، وأفتى، و صنف ورُوسل به إلى الأطراف)[1].

ومن علماء هذا العصر شيخ الإسلام أبو عمرو بن عثمان ، تقي الدين ابن صلاح الكردي الشهرزوري الموصلي ، الذي تفقه و برع في المذهب الشافعي ، و الحديث و علومه و صنف التصانيف منها "علوم الحديث"،و "مشكل الوسيط"، و كتاب "أدب المفتي و المستفتي"[2].

و في علم اللغة و النحو ظهر أعلام من أشهرهم العلامة رضي الدين أبو الفضائل الحسن ابن محمد الصاغاني الهندي المولد ، نزيل بغداد، المحدث الفقيه الحنفي اللغوي، وكان اليه المنتهى في معرفة اللغة ، وله بصر في الفقه مع الدين و الأمانة، صنف كتب عدة في اللغة منها "مجمع البحرين في اللغة "،و"الشوارد في اللغة"[3] .

وظهر من أعلام التصوف في هذا العصر شهاب الدين السهروردي (539-632هـ/1133-1226م) الذي تفقه و تفنن، و صنف، وانتهت اليه تربية المريدين و مشيخة العراق، وعرف بأنه كان ناصحا للخليفة الناصر لدين الله الذي أصدر أمرا بجلوسه بباب بدر الشريف للوعظ،كما أنفذه رسولاً إلى عدة جهات[4].

1 - الذهبي : **تاريخ الإسلام** ، ج 48 ،ص 307
2- ابن العماد : **المصدر السابق** ، ج07 ، ص ص 383_385
3 - الذهبي : **سير أعلام النبلاء**، ج 23 ، ص ص 382_383
4 - ابن الفوطي: **المصدر السابق** ، ص 72

وبرز من المؤرخين صاحب الكامل في التاريخ الحافظ ابن الأثير[1] ، ومحب الدين ابن النجار[2] صاحب تاريخ بغداد ، و ابن الدبيثي[3] مؤلف تاريخ واسط، وسبط ابن الجوزي صاحب مرآة الزمان[4].

ووجد في هذا العصر أطباء خاصة بعد فتح المدرسة المستنصرية التي انفتحت على دراسة بعض العلوم منها الطب، و قد فعل الخليفة المستنصر بالله ذلك و أنشأ في بناية خاصة مدرسة للطب مقابل باب المدرسة الرئيسي بعد أن رأى أن أهل الذمة قد استولوا على الطب و استفحل أمرهم ، وأشتهر الكثير من علماء المستنصرية بالطب و التأليف فيه منهم ابن الصائغ :المبارك بن المبارك بن عمر الاواني أبو منصور المنعوت بالشمس طبيب المدرية المستنصرية ، كان عالما بالطب ، ماهرا في صناعته ، له فيه تصانيف[5]. و بخطوة مشابهة كان الخليفة الناصر قد أوعز إلى الأمير شمس الدين بتكين أمير البصرة بإنشاء مدرسة لعلم الطب و لم يقتصر العلم و التعليم على الرجال فقط ، بل وجد في هذا العصر عالمات و شيخات، روين العلم و رُوي عنهن، و درَسْن على العلماء، و جلسن للوعظ،و حدثن ، وأفتين، و نظرن في المظالم، وأجزن للنساء و الرجال، وألفن المؤلفات، وأسسن الرُبط و المستشفيات و المدارس و المساجد و الجامعات، ووقفن الوقوف على أهل العلم[6] .

ومن العالمات البغداديات اللائي اشتهرن في هذه الفترة الشيخة الأصلية أم محمد عائشة ابنة الحافظ أبي بكر الفقيه ، أبي محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلية الأصل البغدادية المولد و الدار

---

1 – أبو الحسن علي بن أبي الكرم، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، المعروف بابن الأثير الجزري الملقب عز الدين بجزيرة ابن عمر أو الجزيرة العمرية في رابع جمادى الأولى سنة555هـ/1160م. وقد جاء لقبه بالجزري نسبةً إلى هذه الجزيرة ، وأما ابن الأثير فهو نسب يعود إلى والده، =الذي كان أثيراً عند الأتابك قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي صاحب الموصل (ت 565هـ/ 1170م) ، الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج22، ص ص353-356

2 – ولد سنة 578هـ/1183م ، ورحل في البلاد ، و صنف، توفي سنة 643هـ/1245م ، ابن العماد : **المصدر السابق** ، ج 07 ، ص392

3 – ابن الدبيثي الحافظ المؤرخ المقرئ الحاذق الواسطي الشافعي (558_636هـ/1163_1239م)كان إماما متفننا ، واسع العلم، الذهبي :**العبر في خبر من عبر** ، ج 03 ، ص230

4 – سبط ابن الجوزي العلامة الواعظ ، المؤرخ التركي ثم البغدادي الهبيري الحنفي ، أسمعه جده منه، دَرس و أفتى كان حنبليا ثم صار حنفيا ، له تفسير في تسع و عشرين مجلدا ، وشرح "الجامع الكبير" و كتاب مرآة الزمان. ابن العماد : **المصدر نفسه** ، ج 07 ، ص ص 460_ 461

5 – ابن الفوطي : **المصدر السابق** ، ص 300 ، ناجي معروف : **تاريخ علماء المستنصرية** ، 279

6 – ناجي معروف : **عالمات بغداديات في العصر العباسي** ، دار الجمهورية للطباعة بغداد 1967، ص70

التي حدثت و اجازت للكثير من الطلبة توفيت ببغداد سنة 628هـ/1240م ، وهناك من النساء ممن تولين مشيخة الرُبط ببغداد كالشريفة بنت المهتدي التي تولت في خلافة المستعصم بالله سنة 652هـ/1254م مشيخة رباط النساء الذي كان الخليفة قد أوقف دار الشط المجاورة لدار الفلك وجعله رباطا للنساء[1] ، و تولت حُجاب بنت عبد الله مشيخة رباط بغداد[2].

و يبدو أن هذا العصر كان عصر ازدهار لعلوم الأوائل من فلسفة و منطق و فلك و هندسة وحساب و التي كان قد وقف منها إتباع الخط المتشدد في الدراسات الدينية موقفا ملؤه الريبة والخشية من قبل بعكس أيام الخليفة الناصر لدين الله الذي برزت في عهده اتجاهات فكرية وفرق إسلامية مخالفة للإطار النقلي الذي كان مسيطرا على الساحة، بل إن بعض المصادر أوردت أن هذا الخليفة نفسه كان يتعلم علوم الأوائل (الفلسفة)، فقد كان كامل بن الفتح (ت 596هـ/1199م) يدخل عليه و يحاضره ، و يخلو معه ، و علمه علم الأوائل ، وهون عليه علم الشرائع[3].

ضف إلى ذلك أن بناء المدرسة المستنصرية المتعددة المذاهب و البعيدة في مقرراتها عن التعصب ساهم في الانفتاح على بعض علوم الأوائل كالطب و الحساب ، وممن اشتهر بالاشتغال بهاته العلوم جعفر القطاع ، المدعو بالسديد البغدادي (ت 602هـ/1205م) الذي كان ذا معرفة تامة بالكلام و المنطق و الهندسة و اطلاع على علم الأوائل و أقوالهم و مذاهبهم ، و حفيد نظام الملك وزير السلاجقة ، الحسن بن الأمير أبي علي بن نظام الملك ، الذي أقام ببغداد و توفي بها سنة 613هـ/1216م و كانت له معرفة حسنة بالعلوم الحكمية و النجومية ، و لم يزل محترما لأجل جده ببغداد[4].

---

1 – ابن الفوطي: **المصدر السابق** ، ص 211

2 – حجاب بضم أوله و تشديد الجيم بنت عبدالله الشيخة الصالحة كانت شيخة رباط بغداد مشهورة بالصلاح و الخير ماتت في محرم من سنة 725هـ/1327م .ابن حجر العسقلاني : **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة** ، دار الجيل بيروت 1993، ج 02 ،ص 07

3 – ياقوت الحموي : **معجم الادباء** ،دار الغرب الإسلامي بيروت 1993 ، ج 01 : ص 2239

4 – جمال الدين يوسف القفطي: **أخبار العلماء باخبار الحكماء** ، دار الكتب العلمية ،بيروت 2005 ، ص130

ومن العلماء الذين اشتغلوا بعلم الأوائل في هذه الفترة ، علي بن أحمد بن علي بن محمد بن دواس القنا الواسطي أبو الحسن(ت612هـ/1215م).انفرد بمعرفة علم النجوم وأجاد في ذلك، واشتهر به و هاجر من واسط إلى بغداد وأقام بها ، أخذ عنه جماعة و عرف بهذا النوع[1].

وورد عن محمد بن مبشر بن أبي الفتوح نصر البغدادي (ت 618هـ/1221م)، أنه كان عارفا بعلوم الأوائل و الهندسة و الفلسفة و علم النجوم و الحساب و الفرائض[2] .

وخلاصة القول أن النشاط العلمي في العراق قبل الاحتلال المغولي كانت تتنازعه أطراف واتجاهات فكرية متباينة تعود جذور خلافاتها إلى القرون الأولى للدولة الإسلامية أهمها الاتجاه السلفي، والاتجاه الامامي الشيعي، والاتجاه الحنفي بالإضافة إلى الاتجاه الصوفي الذي ازدهر نشاطه بعد القرن الخامس هجري/الحادي عشر ميلادي، و قد تزداد حدة الخلاف بينها عند قيام وتظاهر بعض الخلفاء بتأييد اتجاه دون غيره.

كما أن العراق وعاصمته بغداد حافظت على مكانتها العلمية في العصور العباسية المتأخرة التي اتسمت بالضعف والانقسام من الناحية السياسية،و ظل من أهم وأكبر المراكز الحضارية في هذه الفترة، ولعبت دوراً متميزا في تطوير الحضارة والفكر الإسلامي، وظلت مدينة بغداد من أهم مراكز الإشعاع الفكري، وملاذاً لكبار العلماء على اختلاف مشاربهم وتخصصاتهم حيث لقوا الحفاوة والتكريم، فكان يخرج الموكب الشريف للقاء الوافد منهم.

أما فيما يتعلق بتأثير الضعف السياسي على النشاط العلمي فان المسائل العلمية لم ترتبط بالمشروع السياسي؛ لان العلم والسياسة لا يتمشيان جنبا إلى جنب أحيانا، فقد يتماشى الضعف السياسي مع ازدهار العلم، فكم من دولة انتهت سياسيا ولم تنته الحياة العلمية بها بل ظلت مستمرة؛ فالمشروع العلمي مشروع مستقل ارتبط بالدين والإرادة الحسنة للعلماء، والحرية التي تمتعوا بها هي التي كانت وراء التطور العلمي.

1 - القفطي : **المصدر السابق** ،ص 184

2 - القفطي : **المصدر نفسه** ، ص 218

الفصل الثاني

الغـزو المـغــولـي للعــراق

أولا- استيلاء المغول على العراق

ثانيا – موقف الخلفاء العباسيين من الغزو المغولي

ثالثا – أثر المؤمرات في سقوط الخلافة العباسية

رابعا- دور العلماء في التصدي للغزو المغولي

خامسا- سياسة المغول في العراق

بين طموحات المغول في تكوين إمبراطورية تحكم العالم و الضعف المستشري في جسم العالم الإسلامي و تهاوي قلاع الإسماعيلية الواحدة تلو الأخرى قرر هولاكو الهجوم على العراق و دك حصون عاصمتها بغداد.

أولا: احتلال المغول للعراق

وقد برز المغول كقوة عسكرية كبيرة، حيث هزموا خوارزم شاه وملكوا ما وراء النهر [1] وعبروا جيحون[2] فأبادوا أهل خراسان[3] ووصلوا إلى قزوين[4] وهمدان[5]وقصدوا توريز[6] وفرغوا من بلاد الخطا[7] والترك وما وراء النهر وخوارزم[8] وخراسان والعجم وغير ذلك، ثم دخلوا صحراء القفجاق[9] واستولوا عليها، ومضت فرقة إلى كرمان[10] وغزنة[11] ولكل الديار فتركوها خربة. وكانت جميع تلك الأحداث

1-اصطلح العرب على تسمية الأقاليم الواقعة شمال نهر جيجون ببلدان ما وراء النهر و كان هذا النهر حد فاصل بين الأقوام الناطقة بالفارسية والناطقة بالتركية من أشهر مدن ماوراء النهر سمرقند و بخارى ، يُنسب إليها عدد من العلماء . انظر ياقوت الحموي :**المصدر السابق**ج 5 ، ص ص45-47،لكي لسترنج : **بلدان الخلافة الشرقية** ،نقله إلى العربية بشير فرنسيس ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ،بيروت 1985،ط02 ، ص 476

2- اسم وادي خراسان على وسط مدينة يقال لها جيهان ،يصب في بحيرة تعرف ببحيرة خوارزم ،و يعرف بنهر بلخ مجازا لأنه يمر بأعمالها ،ياقوت الحموي :**المصدر نفسه** ، ج 02 ، ص 197

3- بلاد واسعة ، أول حدودها يلي العراق و آخر حدودها مما يلي الهند ، وتشتمل على أمهات من البلاد منها نيسابور و هراة و مرو ، وهي ،كانت قصبتهاو ما يتخلل ذلك من المدن التي دون نهر جيحون.ياقوت الحموي : **المصدر نفسه** ، ج 02 ، ص 350.

4- قزوين مدينة مشهورة بينها و بينالري سبعة وعشرون فرسخا ، وهي الإقليم الرابع وراء نهر جيحون .ياقوت الحموي : **المصدر نفسه** ، ج 04، ص 342

5- معناه المحبوبة ، وهي أكبر مدينة في الجبال ، حصينة ، كثيرة الأهل منيعة واسعة الأنهار ،شتاءها مفرط البرد. ياقوت الحموي: **المصدر نفسه** ، ج05، ص ص 410-416

6- تسمى تبريز وهي من أشهر مدن أذربيجان ،وهي مدينة عامرة حسناء،مر بها التتر لما خربوا البلاد في سنة 618هـ/1220م فصالحهم أهلها فنجت من أيديهم.ياقوت الحموي : **المصدر نفسه** ،ج02،ص 13

7- هم من جنس الترك يدينون بالبوذية و بلادهم متاخمة لبلاد الصين ، من مدنها جالق بالق التي هي قاعدة المملكة.أبي العباس أحمد القلقشندي:**صبح الأعشى**، المطبعة الأميرية 1914، ج04 ، ص ص493-494

-8إقليم يجاور خراسان ، و ماوراء النهر ،كان الفرس يسمونها شهرستان ، أي القصبة ،كي لسترنج :**المرجع نفسه** ، ص 489

9- الاراضي الواقعة شمال البحر الأسود وبحر قزوين إلى منابع نهر أرتيش ، عرفت أيضا بصحراء الغز في القرن الرابع هجري/ العاشر ميلادي، تعرضت تعرضت لغزوات المغول سنة 618هـ/1220م ، انسحبوا منها سنة621هـ/12223م بعد نهبها.محمد علي الأحمد :**إمبراطورية المغول**، ص ص 145-146

10- ولاية مشهورة بين فارس ومكران و سجستان و خراسان .ياقوت الحموي: **المصدر السابق** ، ج04 ، ص 454

11- مدينة عظيمة وولاية واسعة في طرف خراسان ، وهي الحد بين خراسان و الهند، ينسب إليها الكثير من العلماء ، وهي عاصمة الدولة الغزنوية.ياقوت الحموي: **المصدر نفسه** ،ج 04،ص 201

خلال سنة واحدة، وأمام مرأى ومسمع السلطة المركزية في بغداد المتمثلة بالخلافة ودون أن تحرك ساكن لإيقاف هذا المد الخطير، فملك جنكيز خان عدة أقاليم وبث جيوشه ودفع لكل إقليم فرقة أبادت أهلها[1]، ومما ساعد أكثر على ارتفاع معنويات جيش المغول وتواصلهم في الزحف تجاه بلاد المسلمين وفاة سلطان خوارزم علاء الدين شاه، الذي كانت تدين له الكثير من الأمم واستولى على بلاد الترك وما وراء النهر وخراسان وغيرها[2].

وبعد سنتين أي في سنة 618هـ/1220م . جمع جلال الدين بن خوارزم شاه جيوش أبيه والتقى المغول بقيادة ابن جنكيز خان فحقق انتصاراً جيداً عليهم وأسر جمع منهم، وهو أمر أدى إلى غضب جنكيز خان فجمع جيشاً من عشرة ألاف مقاتل وحمل على جيش جلال الدين ولحق به الأذى الكبير حتى أسر من الخوارزميين جمعاً كبيراً كان منهم ابن جلال الدين، أما بقية أفراد عائلته لاسيما النساء منها فقد حددن مصيرهن بالانتحار غرقاً بالماء بدل أخذهن أساري على يد المغول. وقد نجا من هذه المعركة جلال الدين ومعه أربعة ألاف مقاتل من خلال ركوب خيولهم الماء وعبورها إلى الضفة الأخرى، وقد نازل بها ملك الهند الذي أراد الغدر به وبجيوشه وحقق انتصاراً عليهم، وبذلك استقر بسجستان[3] التي أصبحت قاعدة عملياته.

وأما المغول فقد وصلوا إلى العراق وفرضوا حصاراً على بغداد، وفي الوقت نفسه استمروا في توسعهم نحو مناطق إسلامية أخرى، وكانت المدن تسقط أمامهم الواحدة تلو الأخرى على الرغم من جهود جلال الدين بن خوارزم شاه التي كانت لا توازن حجم القوى المغولية التي بدأت تتوسع أكثر[4].

1 – انظر الملحق رقم: 04 (**خريطة غزوات المغول – طريق الغزو**)، ص 211

2- حسين بن محمد الديار بكري:**تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس**، مؤسسة شعبان للنشر و التوزيع ، بيروت ، دت ،ج 02 ، ص 368.

3- سجستان : بكسر أوله و ثانيه ناحية كبيرة وولاية واسعة ، وهي جنوبي هراة ، ياقوت الحموي : **المصدر السابق** ، ج03 ، ص 190

4- الديار بكري : **المصدر السابق** ، ج 02، ص 368

وفي سنة 624هـ/1226م حصلت معركة عظيمة بين الجيش المغولي وجيش الدولة الخوارزمية بقيادة جلال الدين خوارزم شاه في أصفهان، المقر الجديد لجلال الدين ومن بقي معه من الجيش، بهدف القضاء بصورة نهائية على بقايا الدولة الخوارزمية وقتل سلطانها جلال الدين بن خوارزم شاه.

وعلى الرغم من أن الظروف لم تكن مواتية لجلال الدين في التصدي لأعدائه؛ بسبب خلاف دب بينه وبين أخيه غياث الدين بن خوارزمشاه[1] جعله ينصرف عنه، فضلاً عن فقدانه الكثير من جيشه بسبب المعارك السابقة، لكنه عوض عن ذلك باعتماده الكمائن والسرعة في المواجهة التي أضرت كثيراً بالمغول، خصوصاً أنهم لم يكونوا على دراية ومعرفة بالطبيعة الجغرافية للمنطقة التي جرت فيها المعركة، حتى مال الميزان لصالح جلال الدين الذي أوقع بأعدائه القتل وأسر الكثير منهم، وكاد أن يقضي عليهم بعد أن باتت الغلبة له لولا تغير موازين الحرب بعد ارتكابه خطأً قاتلاً تمثل بالاستماع لنصيحة احد المقربين من أمراء الجيش في متابعة فلول جيش المغول، الذين كانوا قد استخدموا خطة الخوارزميين نفسها، فكمنوا للسلطان جلال الدين وطعنوه بطعنة قوية في صدره نجا منها بأعجوبة، وأوقعوا بقادته القتل حتى بقي منهم أربعة عشر فارساً فقط، وهكذا انهزم جيش الخوارزميين وعادوا إلى اصبهان[2] بعد خسارة فادحة وردت المغول إلى خراسان[3].

وفي سنة 625هـ/1227م التقى جلال الدين والمغول بالري، وجرت بينهما جملة معارك، كانت الغلبة فيها لصالح جلال الدين، حتى انسحبوا في آخر معركة من الري سلماً دون صدام عسكري؛ لأن السلطان غياث الدين انسحب مع جمع من الجيش لخلاف مع أخيه فظن المغول انه

1- غياث الدين بن علاء الدين بن خوارزم شاه بن ارسلان ،كان سيئ السيرة ، عند انسحاب المغول من شمال فارس تمكن من الاستيلاء على قسم من خراسان و الري دخل في خلافات مع أخيه جلال الدين وتفاقمت العداوة بينهما، تعاون مع أعداء أخيه في حروبه، ابن الأثير: **المصدر السابق** ،ج 10 ،ص 47، حافظ أحمد حمدي :**الدولة الخوارزمية و المغول** ، دار الفكر العربي ، د ت ،ص ص 198-200، محمد دبير سياقي : **السلطان جلال الدين خوارزمشاه في ميزان التاريخ** ، ترجمة أحمد الخولي،المركز القومي للترجمة القاهرة،2009، ص 109.

2 – أصبهان أو أصفهان مدينة عظيمة مشهورة من أمهات المدن ، وهي من نواحي الجبل ،تعرف ببوابة التاريخ و هي من أعظم المدن الصناعية والتجارية بإيران حاليا ياقوت الحموي : **المصدر السابق** ، ج 01 ، ص 206، يحي الشامي : **المرجع السابق** ، ص 256

3- البكري : **المصدر نفسه**، ج02، ص371

قد التف عليهم فانسحبوا، ولما رأى جلال الدين أن المغول قد انسحبوا ظن أنهم يكمنون له فانسحب هو أيضا، وهكذا انتهت أحداث هذه السنة بالانسحاب السلمي[1].

شهدت سنة 628هـ/1230م إسدال الستار على دولة جلال الدين خوارزم شاه، على أثر معاركه القاسية مع المغول، إذ ضعف جيشه وانفصل عنه الكثيرون من الفرسان وأمراء الجيش، منهم أخوه غياث الدين، فاستغل المغول تلك الظروف وكثفوا هجماتهم التي سحقت جيش جلال الدين، وراح هو ضحية لخنجر رجل كردي انتقاماً لمقتل أخيه على يد جند خوارزم، وكان ذلك في نصف شوال، وبهذا انتهت هذه الدولة التي كان لها دور كبير في التصدي للمد المغولي نحو المشرق الإسلامي[2].

وبدأت مع حلول سنة 629هـ/1231م مرحلة جديدة من تاريخ المد المغولي نحو بلاد المسلمين، إذ صارت المواجهة مباشرة مع قوى الخلافة الإسلامية؛ لأن الخط الدفاعي للخلافة المتمثل بالدولة الخوارزمية تلاشى؛ لانهيار تلك الدولة ومقتل آخر رموزها جلال الدين بن خوارزم شاه. وقد توجه المغول في هذه السنة نحو أذربيجان[3] فكلف الخليفة العباسي صاحب أربل[4] الملك المعظم مظفر الدين كوبري[5] بالتصدي لهم فتحقق ذلك ورد المغول. وبعد مرور أربع سنوات، أي في سنة 633هـ عاود المغول هجومهم على أربل، وعلى الرغم من مواجهة جيش الخلافة الإسلامية لهم ومنازلتهم في

1- سبط ابن الجوزي : **المصدر السابق** ، ج22، ص 294 ، ابن كثير : **المصدر السابق** ،ج 17، ص171

2- ابن الاثير: **المصدر السابق** ، ج 10 ، ص 492

3- أذربيجان : اقليم واسع ومن مشهور مدائنها تبريز وهي قصبتها و اكبر مدنها ، وهي مملكة عظيمة ، الغالب عليها الجبال ،وفيه قلاع كثيرة ، ياقوت :**المصدر السابق**،ج01 ،ص 128

4- أربل:بالكسر ثم السكون وباء موحدة مكسورة و لام ، و الربل ضرب من الشجر ، وتعد من أعمال الموصل ، ياقوت الحموي : **المصدر نفسه**،ج01، ص137

5- مظفر الدين كوكبري صاحب أربل ،كان من أدين الملوك و أجودهم و أكثرهم برا و معروفا ،تملك بلادا كثيرة ، ولي مملكة أربل بعد موت أبيه وله أربع عشرة سنة ، اتصل بخدمة السلطان صلاح الدين.ابن العماد: **المصدر السابق** ، ج 07 ، ص 243، الذهبي : **سير أعلام النبلاء** ، ج 22، ص ص 334-335

معارك قوية، واصل فيها المغول مددهم حين وصلوا إلى أعمال الموصل فنهبوا وقتلوا وخربوا وانسحبوا منها[1].

وفي سنة 634هـ/1236م حاصر المغول أربل فأخذوها وقتلوا الكثير من أهلها، ثم خففوا بعد ذلك هجماتهم لإعادة تنظيم جيشهم، وليعاودوا بعد تسع سنوات في مواصلة زحفهم نحو مقر الخلافة الإسلامية في بغداد، ففي سنة 643هـ/1245م قصدوا بعقوبا من أعمال بغداد والتقاهم الدويدار قائد جيش الخلافة الإسلامية واستطاع ردهم[2]، وعلى الرغم من تصدي الخلافة لهجوم بعقوبا إلا أن ناقوس الخطر أصبح يسمع في شوارع بغداد لوصول المغول إلى مشارف بغداد وأعمالها.

وكان يجب على الخليفة أن يدرك انه لم يكن له سند حقيقي قوي يمكنه من الصمود أمام القوات المغولية التي استطاعت أن تتغلب على الجميع.

بدأ المغول بالإعداد لحملتهم على العراق منذ عام 655هـ/1257م ولكن هذه الحملة سبقها جملة من المراسلات[3] بدأت منذ عام 635هـ/1237م، وعندما استقر هولاكو في كيش غرب سمرقند راسل الخليفة المستعصم بالله عام 653هـ/1255م من أجل التعاون معه ضد الإسماعيلية لكن الخليفة لم يرسل إليه النجدة، بسبب أن الأمراء قد أقنعوه بأن غرض هولاكو من ذلك هو إخلاء بغداد من الجيش ليتمكنوا من الدخول إليها دون أن يكون هناك عائق يمنعهم، لذلك بعث هولاكو إلى الخليفة رسالة تهديد لعدم إرسال الجند إليهم في وقت فتحهم لقلاع الإسماعيلية مذكراً إياه بما حل بالخوارزميين والسلاجقة وملوك الديالمة والاتابكة وغيرهم مطالباً إياه بطاعة المغول[4].

1- الذهبي : :**تاريخ الاسلام** ، ج 46 ، ص 13

2- الديار بكري : **المصدر السابق** ، ج 02 ، ص 371

3 - انظر الملحق رقم :02(**نص رسالة هولاكو إلى الخليفة المستعصم بالله**)، ص208-209

4- الهمذاني : **المصدر السابق** ، ص ص 267-26

كان رد الخليفة على هذه الرسالة عنيفاً فقد هدد هولاكو بالقضاء على المغول في إيران، ثم دعاه إلى إتباع أسلوب الود والسلام[1]، أما إذا أراد الحرب فانه مستعد لذلك[2]،وكان يجب على الخليفة أن يدرك انه لم يكن له سند حقيقي قوي يمكنه من الصمود أمام القوات المغولية التي استطاعت أن تتغلب على أكبر القوى في مدة قليلة من الزمن ،وخاصة أن العالم الإسلامي في ذلك الوقت كان يسوده التفكك والانحلال فلا يمكن أن يهب احد لنجدته، فكانت هذه الرسالة ذات نتائج عكسية جعلت هولاكو يصمم على احتلال بغداد[3].

أرسل هولاكو رسالة أخرى إلى الخليفة المستعصم بالله يهدده بالمسير إلى العراق بقوله: ((فأنني متوجه إلى بغداد بجيش كالنمل والجراد))[4]، إزاء ذلك استشار الخليفة المستعصم وزيره ابن العلقمي بما يفعله فأشار عليه بإرضاء الملك بالأموال والهدايا، إلا أن الداويدار الصغير وأصحابه اقنعوا الخليفة بعدم إرسال تلك الهدايا بحجة أن الوزير كان متعاوناً مع التتار وأنه يريد تسليم البلاد لهم، فاكتفى الخليفة بإرسال شيء قليل من الهدايا مما أغضب هولاكو[5].

قبل أن يتوجه هولاكو إلى احتلال بغداد أخذ رأي بعض الفلكيين الذين نصحه أحدهم بعدم التوجه إلى بغداد مبيناً له الأخطار الناجمة عن الإساءة للعباسيين[6]، إلا أن إصرار الأمراء للسيطرة على

1 - انظر الملحق رقم: 03(**رد الخليفة المستعصم بالله على رسالة هولاكو الأولى**) ،ص 210

2- الواقع أن الخليفة اعتقد بأنه سوف يلبي نداءه الأيوبيون في الشام و المماليك في مصر ، وسوف تعلن إيران و تركستان التمرد و العصيان على المغول ، على أن هذه الآمال كانت خادعة .الباز العريني : **المغول** ،دار النهضة العربية ،بيروت 1981، ص 216

3- الصياد : **المرجع السابق** ، ص 256

4- الهمذاني : **المصدر السابق**، ص271

5- عباس إقبال : **المرجع السابق** ،ص199

6- الهمذاني : **المصدر نفسه** ، ج01 ، ص 280

على بغداد جعله يستدعي نصير الدين الطوسي[1] الذي أقره على خطته وزين لهولاكو الاستيلاء على بغداد و تملكها[2].

ويمكن إرجاع تردد هولاكو أيضاً إلى خشيته من الخليفة فعلى الرغم من أن سلطانه الزمني كان ضعيفاً إلا أن سلطته الدينية كانت ما تزال قوية.

قرر هولاكو أخيراً الزحف باتجاه بغداد، وقد أعد خطة محكمة لمحاصرتها، فأمر بأن تتحرك جيوش الميمنة إلى الموصل عن طريق إربل وتعبر جسر الموصل ثم تتوجه إلى الجانب الغربي من بغداد[3]، أما قوات الميسرة فمهمتها مهاجمة أراضي الخليفة الواقعة في الجنوب الشرقي ؛ثم أن تتقدم باتجاه بغداد من الجهة الجنوبية، وقد دمرت قوات الميسرة تلك جميع المنطقة و حملت الحديد و النار طوال أراضي إقليمي لرستان[4] وخوزستان[5].

لم تجد قوات الميسرة اية مقاومة تذكر ، فشقت طريقها باتجاه الشمال الغربي مقتربة من أسوار بغداد ،حيث نصب قائدها خيامه لمحاصرة المدينة من جنوبها الشرقي [6].

أما قوات القلب فتولى قيادتها هولاكو وسار بقواته في التاسع من المحرم عام 655هـ/ 1257م من همدان إلى دجلة، وصاحب القوات المغولية إمدادات من قبل أمير الموصل بدر الدين لؤلؤ التي أرسلها خوفاً من المغول[7].

1- هو نصير الدين محمد بن محمد الطوسي له معرفة واسعة بعلم الأوائل كان في خدمة علاء الدين محمد بن الحسن الاسماعيلي، ثم حضر بين يدي السلطان هولاكو فأصبح من المقربين عنده وجعله وزيراً له كما وزر من قبل للإسماعيلية وأقام له رصداً بمدينة مراغة عام 657هـ/1259م، وقد توفي نصير الدين ببغداد عام 672هـ/1273م ابن الفوطي: **المصدر السابق** ، ص269؛ ابن كثير، **المصدر السابق** ، ج17ص 514

2- عبد السلام عزيز فهمي :**تاريخ الدولة المغولية في إيران** ، دار المعارف ، الإسكندرية 1981، ص118

3- الهمذاني :**المصدر السابق** ، ج 01 ، ص281

4- لرستان: جيل من الأكراد في جبال بين أصبهان وخوزستان وتلك النواحي تعرف بهم فيقال بلاد اللر ويقال لها لرستان ويقال لها اللور أيضاً. ياقوت ياقوت الحموي: **المصدر السابق** ، ج5، ص16

5- اسم لجميع بلاد الخوز ، أرضها أشبه شيئ بأرض العراق و هوائها ، يتكلم عامتهم بالفارسية و العربية ، و تتصل زاوية خوزستان بالبحر ، ياقوت ياقوت الحموي: **المصدر نفسه**، ج02، ص405

6- سعد بن محمد الغامدي: **المرجع السابق** ، ص ص 304-305

7- ابن كثير : **المصدر نفسه** ، ج17، ص 356

عند وصول أخبار تقدم المغول إلى الخليفة أمر الداويدار بالخروج بعساكره من بغداد فخرج الداويدار ونزل قريباً من بعقوبة، وعندما علم أن الجيش المغولي بقيادة بايجونوين[1] نزل بالجانب الغربي ظن أن هولاكو نزل هناك فرحل عنها ونزل بجوار بايجور، ثم التقى كل من المغول وقوات الداويدار في الأنبار ودار بينهما قتال خسر فيه الداويدار ونجا هو وعدد قليل من عسكره فدخل بعضهم بغداد، فيما دخل البعض الآخر الحلة والكوفة[2].

تتبعت القوات المغولية بقيادة بايجونوين القوات المنهزمة إلى داخل بغداد ونزلت في الجانب الغربي منها وقد خلا من أهله ، وشرعوا بالرمي بالنشا بالى الجانب الشرقي ، فكانت السهام تصل إلى دار الخلافة التي كان الخليفة المستعصم بالله جالسا فيها فأصيبت جارية كانت تلعب بين يديه و تضحكه ،فأمر عند ذلك بعمل مايحول بين شبابيك الدار و الرماة، فعملت ستائر من ألواح الخشب[3].

أما هولاكو فنزلت قواته بغداد من جانبها الشرقي، وبذلك تمكن المغول من إحاطة بغداد من الجانبين وقد سهل ذلك أن جيش الخلافة في بغداد كان قليلاً وضعيفاً إذ لا يتجاوز عدده عشرة آلاف مقاتل بينما بلغ جيش هولاكو حوالي مائتي ألف مقاتل[4].

قام المغول حال دخولهم بغداد بحفر خندق وبنوا بترابه سور حول محيطها ونصبوا المناجيق ، وفي يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من المحرم بدأ المغول بالهجوم وكان اهتمامهم متجهاً نحو برج العجمي[5] الذي يعد اقصر أبراج السور حتى تمكنوا أن يحدثوا ثغرة فيه[6].

1بايجونوين:من ابرز القادة العسكريين المغول ،كلفه هولاكو خان بقيادة قوات الميمنة العامة في هجومه على بغداد،وقد سار باتجاه الجنوب حتى وصل ضواحي اربل و عبر نهر دجلة من الموصل حتى وصل تكريت، اتهمه هولاكو بالخيانة و قتله أثناء حصاره لبغداد . غريغوريوس أبي الفرج بن هارون ابن العبري : **مختصر تاريخ الدول** ،دار الرائد اللبناني ، الحازمية لبنان 1983 ،ص472

2- الهمذاني : **المصدر السابق** ، ج01 ، ص ص 286-287

3- ابن الفوطي : **المصدر السابق** ، ص 232

4- ابن كثير : **المصدر السابق** ، ج 17 ، ص ص 355-358

5- منسوب إلى الشيخ الزاهد الفقيه الواعظ عبد القادر الجيلي المعروف بالكيلاني و كان يعرف عند أهل بغداد بالعجمي ، لأنه قدم من جيلان و هي بلاد أعجمية،ابن الكازروني : **مختصر التاريخ** ، ص272

6- الهمذاني : **المصدر نفسه** ، ج01، ص 286 ،ابن الكازروني : **المصدر نفسه** ، ص272

بعد أن بدأ المغول هجومهم على بغداد حاول الخليفة المستعصم مراسلة هولاكو وأظهر له الطاعة بعد أن شعر بعجزه عن مقاومة المغول فبعث الوزير إلى هولاكو يقول له:"...إن الملك قد أمر بأن ابعث إليه الوزير وها أنا ذا قد لبيت طلبه فينبغي أن يكون الملك عند كلمته..."، فرد عليه هولاكو قائلاً:"...إن هذا الشرط وأنا على باب همدان أما الآن فنحن على باب بغداد وقد ثار بحر الاضطراب والفتنة فكيف اقنع بواحد ينبغي أن ترسل هؤلاء الثلاثة يعني الداويدار وسليمان شاه[1] والوزير..."[2]

على أثر فشل محاولة الخليفة الأولى في عقد الصلح مع هولاكو قرر إرسال صاحب الديوان فخر الدين الدامغاني وابن الدرنوس[3] مع القليل من التحف إلى هولاكو، إلا أن الأخير لم يلتفت إليه، مما جعل الخليفة يرسل إليه ابنه الأوسط أبو الفضل عبد الرحمن ولم يقنع به هولاكو أيضاً، ثم توالت الوفود من قبل الخلافة فأرسل الخليفة ابنه الأكبر ومعه الوزير إلا أن موقف هولاكو هذه المرة لم يختلف عن السابق[4].

بعد فشل جميع الوفود التي أرسلها الخليفة إلى هولاكو قرر الخليفة أخيراً الاستجابة لطلب هولاكو بإرسال سليمان شاه[5] والداويدار إليه، إلا إنهما عادا إلى المدينة لأخذ أتباعهم معهم ثم رجعوا من جديد إلى هولاكو على أساس أن ينظموا إلى جيش الشام ولكن هولاكو أمر بقتلهم جميعاً، ثم أمر بقتل الداويدار وسليمان شاه والأمير تاج الدين ابن الداويدار وأرسل رؤوسهم إلى الملك الصالح بن

1- سليمان شاه بن برجم الأبوائي مقدم الطائفة التركمانية المعروفة بالأبواء ومن أبرز قادة الخليفة المستعصم بالله. الهمداني، **المصدر السابق**، ج1، ص290

2- ابن العبري : **المصدر السابق** ، ص 372 ، الهمذاني : **المصدر نفسه** ، ص 287

3- هو عبد الغني ابن الدرنوس كان أول أمره حمالاً لدى أرباب تنانير الأجر ولع بالطيور، فعمل براجاً بدار الخليفة المستعصم بالله حتى أصبح من المقربين إليه وكان يراسل به الوزير ويستشيره في الأمور ويعمل برأيه وبعد واقعة بغداد رتب خازناً بالديوان، ثم نقل خازناً إلى الكارخانا حتى وفاته عام 677هـ/1278م.ابن الفوطي: **المصدر السابق** ،ص284

4- الهمذاني : **المصدر نفسه** ، ج 01 ، ص 289 ، محمد شعبان أيوب : **المرجع السابق**، ص 500

5- الأمير الكبير سليمان بن برجم ، قائد حرس الخليفة وعلمه الخاص ،كان رجلا في العقد الثامن من عمره و أميرا على التركمان أحد أهم فروع وأجناس الجيش العباسي ، قتله هولاكو و أرسلت رأسه للموصل حيث علقت هناك. ابن الفوطي :**المصدر نفسه** ، ص 91

بدر الدين لؤلؤ[1] إلى الموصل. و كان بدر الدين صديقاً لسليمان شاه فبكى،و لكنه علق رؤوس الثلاثة خوفاً على حياته[2].

على أثر مقتل الداويدار وسليمان شاه وجد الخليفة المستعصم انه لابد من الخروج إلى هولاكو، فخرج إليه في رابع صفر ومعه أولاده وأهله وثلاثة آلاف من أكابر واعيان المدينة فأمر هولاكو بإقامة الخيام للخليفة وأبنائه وأتباعه بباب كلواذى[3]، ثم طلب منه الخليفة بالحسنى أن يطلب من الناس تسليم أسلحتهم وفعلاً خرج الناس استجابة لأمر الخليفة والقوا أسلحتهم[4].

وفي السابع من صفر بدأت أعمال التخريب في بغداد التي شملت دار الخلافة فلم ينج إلا من كان صغيراً، وقيل أن أعمال النهب استمرت أربعين يوماً، في حين ذكرت بعض المصادر أنها استمرت اقل من ذلك[5].

وذكر أن أعمال النهب والتخريب انتهت بعد رحيل هولاكو من بغداد في يوم الأربعاء الرابع عشر من صفر بسبب سوء الأحوال الصحية في المدينة، بعد أن منح سكانها الأمان[6].

اختلف المؤرخون في عدد من قتل في واقعة بغداد فذكر ابن الفوطي أن عددهم زاد على ثمانمائة ألف نفس عدا من القي في الوحول من الأطفال، ومن هلك في القني والآبار و سراديب الموتى جوعا وخوفاً[7]، بينما أشار ابن خلدون إلى أن عددهم بلغ ألفاً وثلاثمائة ألف، في حين قدر عددهم الذهبي

1- وال الموصل انتهج سياسة موالية للمغول ، فقدم الطاعة لهم وساهم بتقديم المشورة و الرأي و السلاح، وجمع الضرائب لهم نو شاركت جيوشه معهم في حصار مدينة اربل . ابن العبري : **المصدر السابق** ، ص 483، السيد الباز العريني : **المرجع السابق** ، ص 217 ، عباس العزاوي : **العراق بين احتلالين** ،مطبعة بغداد1935، ج 01، ص227

2- الهمذاني : **المصدر السابق** ، ص 290 .مصطفى طه بدر: **محنة الإسلام الكبرى أو زوال الخلافة العباسية من بغداد على أيدي المغول** ،الهيئة المصرية للكتاب 1999،ط02، ص 175

3- كلواذى احد أبواب سُوَر بغداد القديم للعاصمة العراقية تقع عند نهاية سُوَر بغداد الجنوبي عند نهر دجلة من الجانب الشرقي للعاصمة بغداد بوابة بغداد الباب الشرق الذهبي : **تاريخ الإسلام** ، ج 48، ص 36 .محمد شعبان أيوب : **المرجع السابق** ، ص 503

4- ابن العبري : **المصدر السابق** ، ص 475 .

5- أبو الفدا: **المصدر السابق**، ج03، ص 233.

6- الهمذاني : **المصدر نفسه** ، ج01 ، ص 293

7- ابن الفوطي: **المصدر السابق** ، ص237

الذهبي بحوالي ألفي ألف قتيل، ولا شك أن هذه التقديرات مبالغ فيها حيث ذكر أحد الباحثين العراقيين [1] بأن أسوار بغداد كانت ذات مساحة صغيرة لا يمكن أن تضم الملايين من السكان، كما أن عدداً كبيراً منهم نجا بعد سماعهم باقتراب المغول، فضلاً عن عودة الازدهار إلى المدينة بعد فترة.

ويلاحظ أن اغلب الذين نجوا من هذه المذابح هم أهل الذمة من النصارى واليهود ومن التجأ إليهم وكذلك من احتمى بدار الوزير مؤيد الدين بن العلقمي وبعض التجار الذين حصلوا على الأمان مقابل أموال دفعوها إلى المغول[2].

بعد ذلك أمر هولاكو بقتل الخليفة المستعصم بالله في يوم الأربعاء رابع عشر من صفر، ثم قتل أبنائه وعدد من أفراد الأسرة العباسية، وبهذا أصبح العراق خاضعاً للاحتلال المغولي[3].

قُتل المستعصم وبدأ هولاكو في تنفيذ الجزء الأخير و النهائي من خطته و هي إحكام السيطرة على بغداد و كل العراق فاخضع المغول بعد فترة قصيرة معظم أنحاء العراق بعد أن قتلوا أعداداً كبيرة من سكانها وخربوا مساحات واسعة من المواقع التي تصدت لهم،حيث استولى قواده على الحلة[4]

و الكوفة[5] و البصرة[6] بلا أدنى حرب أو مقاومة وأظهروا الخضوع و الطاعة ؛فقد حضر أكابر من من العلويين و الفقهاء مع مجد الدين بن طاوس العلوي[7] إلى هولاكو خلال الحصار المغولي على مدينة بغداد يلتمسون منه أن يعين عليهم شحنة من قبله فأجابهم إلى طلبهم.

1- جعفر حسين خصباك: **المرجع السابق** ، ص56

2- ابن كثير: **المصدر السابق** ، ج 17، ص 360 ، ابن الفوطي : **المصدر السابق** ، ص 236

3- الملك الأشرف الغساني: **المصدر السابق** ، ص 632

4- مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد ،سكنها بنو مزيد ،و كان أشهرهم دبيس بن مزيد الذي كان من حماة الشيعة العرب،ياقوت الحموي : **المصدر السابق**، ج 02، ص 294

5- المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق ، سميت كوفة لاستدارتها ، تقع إلى جنوب غرب بغداد على شاطئ الفرات ، ياقوت : **المصدر نفسه** ،ج04 ،ص490

6- تقع على الطرف الشمالي من شط العرب، وملتقى نهري دجلة و الفرات في جنوب العراق ، وهي تعنى الأرض الغليظة أو الصلبة .يحي الشامي : **المرجع السابق** ، ص70

7- مجد الدين بن محمد بن طاوس الحلي المولود منتصف القرن السادس و المتوفي سنة 656هـ/1258م ، من أعلام الأمامية، عينه هولاكو لنقابة الطالبيين في بغداد. ابن الفوطي : **مجمع الآداب في معجم الألقاب**،تحقيق محمد كاظم ، مؤسسة الطباعة و النشر ايران 1994، ج04، ص 508.

ولما عاد الوفد إلى الحلة أرسلوا إلى أهلها في البطائح يعلموهم بما تم الاتفاق عليه وطلبوا منهم العودة وفعلاً عادت أعداداً كبيرة من السكان إليها، ثم ألحق بهم هولاكو الأمير المغولي بوقاتيمور على رأس قوة لجس نبض أهالي الحلة والكوفة و واسط، والوقوف على مدى طاعتهم، وما إن وصل الوفد المغولي إلى مشارف الحلة حتى خرج أهلها للاستقبال[1]، ولما شاهد بوقاتيمور ترحيبهم وإخلاصهم غادر الحلة في العاشر من صفر متوجهاً نحو مدينة واسط.

وعندما وصلت قوات الاحتلال المغولي إلى واسط في السابع عشرمن صفر عام 656هـ/ 1258م، قاوم أهلها قوات بوقا تيمور المغولية مقاومة شديدة، فأقام الأخير هناك واستولى على المدينة وشرع في القتل والنهب والتخريب وقتل ما يقرب من أربعين ألف شخص من أهل واسط[2].

و كان من الطبيعي بعد ذلك أن يستبقي المغول عناصر من النظام القديم يسيرون أحوال البلاد و من تبقى من العباد.فأرسل هولاكو إلى مؤيد الدين بن العلقمي وعينه وزيراً، وأسند ديوان العراق إلى فخر الدين الدامغاني صاحب ديوان الخليفة المستعصم بالله،قال ابن العبري"...وفوّض عمارة بغداد إلى صاحب الديوان و الوزير وابن درنوش.."[3].

أما أربل وفي أثناء تقدم الجيش المغولي لحصار بغداد سنة656هـ/1258م عهد هولاكو لقائده إرقيو نوبان باحتلال اربل و كان حاكمها تاج الدين بن صلايا[4] قد فضل الاستسلام للمغول وتقديم وتقديم فروض الطاعة و الولاء لهم بأمل إبقاءه في الحكم بدلا من مقاومتهم، وحاول إقناع أهل اربل بتسليم القلعة للمغول ، لكنهم دافعوا عنها ببسالة[5] فطلب القائد المغولي النجدة و المشورة من بدر

1- تؤكد هذه الأحداث مسؤولية شيعة العراق في الاتصال بالمغول و مساعدتهم للإطاحة بالخلافة العباسية ، فقد جاء كبار فقهاء الشيعة و مرجعياتهم يبايعون هولاكو و يطلبون منه تعين أميرا عليهم يوجه تحركاتهم و تصرفاتهم. سعد بن محمد الغامدي :**المرجع السابق** ، ص 330

2- الهمذاني : **المصدر السابق** ،ج01، ص296

3- ابن العبري : **المصدر السابق** ، ص 475

4- ابن صلايا ، الصاحب تاج الدين أبو المكارم محمد بن نص الهاشمي العلوي نائب الخليفة كان من رجال الدهر عقلا،و رأيا ، و هيبة ، قتله هولاكو في ربيع الأخر من سنة 656هـ/1258م بقرب تبريز بعد أن أوغر بدر الدين لؤلؤ صدر هولاكو عليه. ابن العماد : **المصدر السابق** ، ج07، ص ص490-491

5- الهمذاني : **المصدر نفسه** ، ج 01، ص299

الدين لؤلؤ أمير الموصل الذي أمده بطائفة من جنوده وأشار عليه بالاستمرار في الحصار حتى الصيف حيث يلجأ سكان المدينة إلى الجبال هربا من الحر ، واستجاب أرقيو لهذا الاقتراح و فوض أمر احتلالها إلى بدر الدين لؤلؤ الذي تمكن من تهديم أسوارها و الاستيلاء عليها بعد مرور سنة على الحصار[1]،و قد كافأ هولاكو بدر الدين لؤلؤ على جهوده بأن سلمها له[2].

و في شهر رجب من سنة656هـ/1258م ،بعد النتهاء أربعة أشهر من تدمير بغداد سير هولاكو حملة إلى مَيّافارْقِين[3]بقيادة ابنه يشموت بن هولاكو ، و كان يحكم هذه المدينة و توابعها الملك الأيوبي محمد الكامل بن شهاب الدين غازي بن الملك العادل[4]الذي كان قد أعلن الولاء للمغول في بادئ أمرهم[5]، ثم تراجع عن الولاء لهم عندما جاءوا ليقضوا على الخلافة العباسية ،وأرسل ،وأرسل كتيبة عسكرية لنجدة الخلافة في بغداد،و أصر على أن لا يأخذ المغول مدينته بتلك السهولة التي أخذوا بها بغداد[6].

و لم تستطيع القوات المغولية أن تنال من أهل المدينة أو تحرز أي تقدم في عملياتها العسكرية ، واستمرت في حصار المدينة حتى أمدها هولاكو بقوات إضافية من المغول و أتباعهم من المسلمين كبدر الدين بن لؤلؤ[7].

1- جعفر حسين خصباك: **المرجع السابق**، ص 58

2- العزاوي : **المرجع السابق** ، ج 01، ص 214

3- أشهر مدينة بديار بكر ، قالوا :سميت بميّا بِنْتٍ لأنها أول من بناها ، و فارقين هو الخلاف بالفارسية، و هي إحدى المدن القديمة الواقعة شمال العراق ياقوت الحموي : **المصدر السابق**، ج 05، ص ص235 -236

4- تولى حكم المدينة سنة 644هـ/1246م ، وقبل في البداية الخضوع للسلطة المغولية حتى هددوا بغداد ، فنبذ ولاءهم و حاربهم ، حاصره التتار عشرين شهرا حتى فني أهل البلد بالقحط و الوباء، ثم دخلوا و أسروه ، فضرب هولاكو عنقه بعد أخذ حلب.ابن العماد: **المصدر السابق** ، ج 07، ص ص510-511

5- ذكر الديار بكري في أحداث سنة 654هـ/1256م عندما توجه هولاكو نحو الإسماعيلية أن الملك الكامل محمد صاحب ميافارقين ذهب إلى هولاكو وأعلن الولاء له والاستعداد للقتال في صفوف جيشه الكافر ضد المسلمين مقابل منحه ناحية القرمان، وكان هذا من أعظم أسباب تواصل مد جيش هولاكو نحو أذربيجان دون وجود مقاومة حقيقية. الديار بكري: **المصدر السابق** ج2/ ص376

6- Peter Jackson, **The Mongols And The Islamic World From Conquest To Conversion** ,Yale University Press, London., p130.

7- ابن العبري : **المصدر السابق** ، ص 488

استطاع هذا الأمير الأيوبي أن يقف في وجه المغول لمدة تزيد على سنة ونصف ؛كبدهم فيها خسائر كبيرة مما دفع بهولاكو أن يرسل جيشا آخر لأنه أبلغ أن ابنه لم يفلح في مهمته العسكرية ضد مَيّافارْقِين ، و كانت أوامره لقائده أن يمتنع عن قتال أهل المدينة حتى لايعرض جنوده للخطر كسابقيه؛ لأنه يستحيل أخذ المدينة عنوة و يكتفوا بحصار المدينة من جميع جهاتها[1].

بعد حصار دام لأكثر من سنة و نصف نفذت المؤن و الذخائر ،و أصبح الناس يقتاتون على كل ما يقع في أيديهم ،فاستشرى المرض و دب الموت إلى مدينة الملك الأيوبي الكامل ، ولم يعد في المدينة احد قادر على القتال ، واستباح المغول المدينة، و قبضوا على محمد الكامل.

و قد عنّف هولاگو الملكَ الكامل، ثم أمر بتقطيعه إرْباً إرْباً، وكان المغول يضعون أعضاء جسده المقطوعة في فمه حتى هلك، وكان ذلك سنة (658 هـ/1260 م)، ثم قطعوا رأسه وحملوه على رمح، وطافوا به في البلاد، حتى وصل دمشق، فعلَّقوه على باب الفَراديس، فأنزله الأهالي ودفنوه. وقتل المغول كلَّ من وجدوه في مَيّافارْقِين وهدّموها، وهذا يدل على شدة حنقهم على الملك الكامل وأهل مَيّافارْقِين[2].

وامتدت غارات المغول إلى ماردين[3] ، فسير هولاكو جيشا إليها سنة657هـ/1259م غير أن أميرها الملك السعيد[4] تحصن في القلعة وأرسل القائد المغولي إليه يحذره من التمادي في المقاومة ، لكن لكن الملك السعيد، رفض الاستسلام[5] ، لما عرفه من غدر المغول الذين ظلوا يشددون الحصار على

1- الهمذاني : **المصدر السابق** ، ج 01، ص 321

2- الهمذاني : **المصدر نفسه** ، ج01، ص323 . الباز العريني: **المرجع السابق** ، ص225

3- من بلاد الجزيرة الفراتية، وهي قلعة مشهورة على قنّة جبل الجزيرة مشرفة على دُنَيسر و دارا و نصيبين، وقدامها ربض عظيم فيه أسواق كثيرة و خانات و مدارس و ربط و خانقاهات .ياقوت الحموي : **المصدر السابق** ، ج 05، ص 39

4- الملك السعيد الارتقى نجم الدين غازي بن المنصور ناصر الدين بن أرتق آرسلان صاحب ماردين سابع ملوك الأسرة الارتقية في ماردين، رفض الاستسلام لهولاكو وظل صامدا في القلعة .عز الدين بن محمد ابن شداد: **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء بلاد الشام و الجزيرة**،منشورات وزارة الثقافة السورية ،دمشق1991، ج03، ق 01 ،ص139

5-LEBARON C.D'OHSSON:**Histoire Des Mongol Depuis Tchinguis-Khan Jusqu'a Timour Bey**, La Haye Et Amesterdam, Les Freres Van Cleef, 1834 P.308

القلعة، حتى اجتاحها الغلاء و الوباء و القحط، فثار مظفر الدين [1]على أبيه الملك السعيد ، وانتزع منه القلعة و أرسل إلى المغول يطلب منهم الكف عن القتال مقابل نزوله عن القلعة ،فاستجاب له، وأقره هولاكو على حكم ماردين[2].

أصبحت إمارة ماردين ولاية تابعة للمغول يحكمها مظفر الدين ، وقد أضاف له هولاكو نصيبين[3] و الخابور[4] و الجزء الأكبر من ديار بكر التي كان هولاكو قد استولى عليها أثناء حصار مَيّافارقين ،وظل ملكاً عليها حتى سنة695هـ/1296م[5] .

أما الموصل فبعد وفاة بدر الدين لؤلؤ سنة 657هـ/1259م، و الذي عرف بأنه اتبع سياسة الخضوع و الولاء و التبعية للمغول . تولى الحكم من بعده ابنه الملك الصالح إسماعيل[6]،و سرعان ما حرر إسماعيل الموصل ، و ذهب إلى الظاهر بيبرس[7] بدعوة من أخيه الذي كان في مصر .فأعطاه بيبرس عددا من الفرسان للتوجه إلى الموصل و العودة بخزائنه و نفائسه[8] . و بعد عودته إلى الموصل

1-قرا آرسلان المظفر بن غازي ثامن ملوك الأسرة الارتقية في ماردين ، حبسه ابوه الملك السعيد بسبب ميله الاستسلام لهولاكو،وهو الذي عجل بوفاة أبيه باسقائه السم وتسليم القلعة للغول .الهمذاني : **المصدر السابق** 325

2- الهمذاني : **المصدر نفسه** ، ج01 ، ص ص 324-326

3- قصبة مدن ديار ربيعة في الجزيرة ، وهي مدينة في مستوى من الأرض بقربها جبل ماردين، استولى عليها المغول سنة 658هـ/1260م، ضمها الملك المظفر ابن الملك سعيد الغازي صاحب ماردين إلى ملكه سنة 661هـ/1263م .عزالدين بن محمد ابن شداد: **المصدر السابق**، ج03، ق01 ،ص139

4- من أعمال الموصل في شرقي دجلة ، وهو نهر من الجبال عليه عمل واسع و قرى في شمالي الموصل . ياقوت : **المصدر السابق** ، ج 01 ، ص335

5- اليونيني : **المصدر السابق** ، ج 01 ، ص ص 457-458 ،علاء الدين محمود قداوي: **الموصل و الجزيرة الفراتية في عهد دولة المغول الايلخانية** ،دار غيداء للنشر الأردن، 2014 ، ص92-93

6- الملك الصالح ركن الدين إسماعيل ابن الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل. عزالدين بن محمد ابن شداد: **المصدر نفسه**،ج03 ، ق01 ق01 ،ص244

7- بيبرس العلائي ، ركن الدين ، الملك الظاهر (625-676هـ-1228-1277م)، كان اتابك العساكر بمصر في أيام الملك المظفر قطز ،قاتل معه معه التتار في فلسطين، ثم قتله و تولى حكم مصر و بلاد الشام، وتلقب بالملك القاهر.ثم بالظاهر.خير الدين الزركلي :**الأعلام** ،دار العلم للملايين ، بيروت 2002،ط15، ج01، ص79

8- الهمذاني : **المصدر نفسه** ، ج 01، ص 327

حاصرها المغول ، و خاض الملك الصالح الحرب ضدهم على أمل وصول إمدادات من بيبرس، وأبدى أهلها مقاومة كبيرة و الحقوا بالمغول خسائر جسيمة[1] .

و حين بلغ خبر القتال بين أهل الموصل و المغول لهولاكو في أذربيجان و بيبرس في مصر أرسل كل منهما إمدادات إلى طرفي القتال .إلا أن المغول كانوا على علم بوصول جيش مصر و الشام ، فقطعوا عليه الطريق و هزموه و دخلوا بزي أهل الشام و اتجهوا نحو الموصل[2] . وظن أهل الموصل أنهم من أهل الشام و قد آتوا لنجدتهم فخرجوا من المدينة لاستقبالهم فأطبق عليهم المغول عليهم وقتلوا أعدادا كبيرة منهم[3].

و مع ذلك لم يفلح المغول في الاستيلاء على قلعة الموصل . وطال حصارها حتى عم القحط المدينة و طلب الملك الصالح الأمان . و استولى المغول على الموصل في رمضان 660هـ/1262م وذبحوا أهلها.و قتلوا الملك الصالح إسماعيل و ولده علاء الدين ، وخربوا أسوار البلد، و تركوها [4].

بإتمام السيطرة على الموصل يكون المغول قد أحكموا سيطرتهم على العراق ، وتجسد مشروع حفيد جنكيز خان منكوخان[5] في تأسيس إمبراطورية واحدة تحكم العالم ،حيث عبر عنه بوضوح بقوله:"...إن العالم سيكون في سلام و أمان في حالة واحدة فقط هي خضوعه تحت إمرة الخاقان المغولي وسيد العالم.."و قد حقق هولاكو لأخيه ذلك حين سيطر على غرب إيران و العراق[6] .

1- ابن الفوطي: **الحوادث الجامعة** ، ص 248

2- الهمذاني : **المصدر السابق** ، ج01، ص 329

3-ابن العبري : **المصدر السابق** ، ص 496

4- ابن كثير: **المصدر السابق** ، ج17، 439

5- منكو خان (648-657 هـ/1248-1259م) ،و يكتب مانجو أو مونكا و الأشهر هو منكو خان بن تولوي بن جنكيز خان الخان الأكبر الرابع من الذين جلسوا على كرسي الخانية الكبرى ببلاد منغوليا.عباس إقبال : **المرجع السابق**، ص ص 175-176، الصياد: **المرجع السابق** ص ص 205-209

6 - انظر الملحق رقم: 05 (**إمبراطورية المغول في أقصى اتساعها**)، ص 212

إن ما وقع للمسلمين في العراق وفي باقي أراضي الدولة العباسية من مصائب و محن وما تعرضوا له من قتل و ما لحق بأراضيهم من خراب على يد المغول لا يعفيهم من مسؤولية ما حدث ، لان الكثير منهم كان له دورا بارزاً و فعالاً في نجاح العمليات العسكرية المغولية ، بالإضافة إلى عناصر أخرى من غير المسلمين من داخل و خارج أراضي الخلافة العباسية والذين كان لمؤامراتهم اثر مهم في سقوط الخلافة العباسية.

ثانيا: موقف الخلفاء العباسيين من الغزو المغولي

تعرض شرق الدولة الإسلامية إلى الغزو المغولي مطلع القرن السابع هجري/ الثالث عشر ميلادي، و مع ذلك فان الخليفة الناصر لدين الله لم تظهر منه أية محاولة لصد هذا الغزو ،كما لم يستمع إلى الرسل الذين قدموا من البلاد التي نكبها المغول ،و قد حمل موقف الخليفة السلبي من هذه البلاد ، وعدم الإسهام في نجدتها بعض المؤرخين إلى اتهامه بالاتصال بالمغول و تحريضهم على غزو الدولة الخوارزمية[1]، لكن عندما زحفوا غربا و هاجمت قواتهم مدينة اربل بدأ الخليفة يشعر بخطرهم فأثار بعض الأمراء المسلمين التابعين له و أرسل رسل تحمل أوامره إليهم يأمرهم بالتصدي للمغول عند مدينة داقوقا ، غير أن حكام المسلمين عجزوا عن أعداد القوة اللازمة لمواجهة المغول الذين انسحبوا من داقوقا نظراً لبعدهم من جهة وخوفهم من تجمع جيوش المسلمين عليهم من جهة أخربو أخذت قواتهم الغنائم دون أن تخسر رجل واحد.ويتضح من هذا الهجوم الذي تعرضت له اربل مدى عجز الخليفة عن تجهيز القوات اللازمة لصد الهجمة المغولية التي ربما لو لم ترجع وقامت بتنفيذ هجومها لتمكنت من احتلالها.

ويرى بعض المؤرخين أن ردة فعل الخليفة الناصر لدين الله تجاه التحرش المغولي على ارض الإسلام لا تعدو الانزعاج ، و الطلب من الناس اللجوء إلى القنوت في الصلاة و تحصين بغداد

1- ابن الأثير ذكر ذلك مموهاً "...وقيل في سبب خروجهم إلى بلاد الإسلام غير ذلك مما لايذكر في بطون الدفاتر.." ، **المصدر السابق** ، ج 10، ص 453.

وزيادة عدد عساكرها[1]، و لذلك يتحمل الخليفة الناصر الذي عاصر بدايات الغزو المغولي المسؤولية الكاملة في عدم الجدية في مواجهة المغول بسبب ضعف عزيمته و لشعوره بعدم المسؤولية أو بسبب الظروف المحيطة به من تكتل رجال البلاط و الخيانة من بعض الرجالات في الإدارة ، أو لسوء تقديره حيث كان يرى أن هجمات المغول مجرد هجمات متقطعة غرضها النهب و السلب في أراضي العراق و الخلافة العباسية و ليس بقصد الاحتلال و السيطرة[2].

لقد تيسرت للخليفة الناصر فرصة كبيرة بعد انتعاش الخلافة و تخلصها من النفوذ السلجوقي ، وفترة حكمه الطويلة (575-622هـ/1179-1225م) نسبيا قياسا بمن سبقه ، ولم يبن جيشا يواجه به التحديات و خاصة التحدي المغولي لهذا بقي جيش الخلافة قليل العدد لم يستطيع أن يحسم الأحداث السياسية المهمة التي وقعت في البلاد.

كان من المتوقع من الناصر لدين الله الخليفة العباسي في ذلك الوقت أن يساعد الدولة الخوارزمية في تثبيت سيطرتها على هذه المناطق، وكان المفروض عليه أن يتناسى الخلافات القديمة بينه وبين ملوكها، لأنهم كانوا يواجهون عدواً مشتركاً هو المغول، كان ذلك فرض الوقت عليه، إن لم يكن بسبب دوافع الدين والأخوة والنصرة للمسلمين ، فليكن بسبب الأبعاد الإستراتيجية الهامة.

لكن الخليفة العباسي الناصر لدين الله لم يكن يدرك كل هذه الأبعاد، لقد كان يعاني من قصر النظر ومن أمراض النفوس، كحب الانتقام، والمكر بالمسلمين، ولم ينس خلافاته القديمة مع المملكة الخوارزمية وأراد أن يقوض أركان السلطان هناك، ناسياً أنهم بينه وبين التتار[3].

أما الخليفة المستنصر بالله فقد شعر بتهديدات المغول المستمرة فأمر باتخاذ بعض الإجراءات لمواجهته مثل إصلاح سور بغداد و حفر الخنادق[4] ،وواضح أن هذه الاستعدادات كانت دفاعية فقط

1- شهاب الدين أبو شامة: **المصدر السابق** ، ص 128.

2- أبي بكر بن عبدالله الدواداري: **كنز الدرر و جامع الغرر**، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور،مطبعة عيسى الحلبي و شركاؤه ، القاهرة 1972، ج07، ص ص253-254.

3- محمد علي الصلابي : **دولة المغول و التتار بين الانتشار و الانكسار** ،دار المعرفة ،بيروت2009 ، ص ص 168-169

4- الغساني : **المصدر السابق** ، ص480.

.و أرسل إلى ملوك الأطراف يستنجد بهم ويطلب منهم الإمدادات ؛ وهي مساعدات لم تكن كافية مقارنة بجيوش المغول الضخمة،وفكر في الاستعانة بالأيوبيين في مصر و الشام غير أن البيت الأيوبي كان يعاني من التمزق و الصراعات الداخلية [1].

ورغم العناية الكبيرة التي وجهها الخليفة المستنصر إلى الأمور العسكرية حيث اهتم بالجيش وزيادة عدده حيث وصل العدد في بعض الروايات إلى مائة ألف فارس استخدمها للتصدي للمغول والدفاع عن أراضي الخلافة[2]؛إلا أن الخلافة بقيت ضعيفة لافتقادها للقائد العسكري حيث أمر المستنصر على جيوشه مولاه ومملوكه شرف الدين أبا الفضائل إقبال الخادم الشرابي الحبشي المستنصري[3] الذي أصبح هدفه هو وغيره من قادة الجيش من المماليك الأتراك إبقاء نفوذهم في البلاد و إكثار أموالهم واقتطاعاتهم من جهة وتكرر غزوات المغول في عهده و تغلغلهم في مملكته من جهة أخرى.

و يبدو أن سياسة المستنصر العسكرية في معالجة الخطر المغولي لم تكن تختلف عن سياسة جده الناصر فقد ظل هذا الخليفة يصانع التتار و يهادنهم و يسترضيهم[4]، ولم يذكر أي من المؤرخين أن هذا الخليفة قاد جيشا أو حاول التصدي لهجمات المغول المتتالية التي بلغت أوج قوتها سنة 635هـ/1237م عندما هجمت على سامراء و نهبوها و غادروا دون أن يعترضهم احد[5] ،و الحقوا الهزيمة بجيش الخلافة في منطقة خانقين شمال شرقي بغداد، و قتلوا و اسروا عددا جما من المسلمين، ووكان على رأس القتلى أمراء الجيش في شهر ذي القعدة من نفس السنة[6].

وكان أخر خلفاء بني العباس المستعصم بالله (640-656هـ/1242-1258م) أضعفهم عزيمة و أكثرهم تهاونا بل كانت صفاته ابعد من أن تجعل منه رجل الساعة في الظروف الحالكة التي

1- إيناس سعدي عبد الله:**تاريخ العراق الحديث1258– 1918** ،دار عدنان للطباعة و النشر،بغداد2014، ص60

2- قطب الدين اليونيني: **المصدر السابق** ، ج01 ،ص ص86.

3- جمال الدولة أمير الجيوش شرفُ الدين أبو الفضائل الحبشي المستنصري الشرابي ، جعل في سنة 626هـ/1228م مقدم جيوش العراق ، صار من أكابر الملوك بعد هزمه التتار سنة 643هـ /1245م ، توفي سنة 653هـ /1255م ، الذهبي : **سير اعلام النبلاء** ، ج 23 ، ص 370.

4- السيوطي : **المصدر السابق** ، ص366.

5- ابن العبري : **المصدر السابق** ، ص 438 .الغامدي: **المرجع السابق** ، ص 218

6- ابن الفوطي: **المصدر السابق** ، ص98.

مرت بها الخلافة و قد أشرنا فيما سبق إلى أن اختياره لتولي الخلافة من قبل المتنفذين من رجال الإدارة و البلاط كان بسبب ضعفه وعدم هيبته و انقياده[1] .

و لعل من مفارقات ما يذكره المؤرخون عنه تعليق صاحب الموصل حين وصله رسولان الأول من هولاكو يطلب آلات الحصار العسكرية و الثاني من الخليفة المستعصم بالله يطلب جماعة من مطربي الموصل فقال:"...انظروا إلى و ابكوا على الإسلام و أهله..."[2].

وقد اشتد في عهده الخطر المغولي ،وكانت الأخبار عن اقتراب جيوشهم تصله تباعاً دون أن يدرك جسامة الخطر ، وكان إذا ما نبه على ما ينبغي أن يفعله في أمر التتار، يرد قائلا :"...أنا بغداد تكفيني ولا يستكثرونها علي إذا نزلت لهم عن باقي البلاد..."[3]

ورغم تزايد التهديدات و الهجمات من قبل المغول خلال فتره حكمه إلا أن نفس السياسة استمرت و هي التجنيد كلما دعت الحاجة إلى ذلك ثم تسريحهم بعد زوال الخطر وقد دفع ذلك الجند إلى الهرب من جيش الخلافة و الخروج إلى بلاد الشام ، و إلى ذلك أشار ابن الفوطي قائلا:"...أن كثير من الجند فارقوا بغداد سنة (650هـ/1252م)لانقطاع أرزاقهم و لحقوا ببلاد الشام لان الخليفة أهمل حالهم و قطع أرزاقهم..."[4]بل إن بعضهم من الذين سرحوا و لم يجدوا عملا انضموا إلى جيش المغول[5].

و على الرغم مما ينسب للخليفة المستعصم من إهمال شؤون الجيش و قطع أرزاقهم متهمين وزيره مؤيد الدين ابن العلقمي بأنه هو الذي حرض الخليفة على فعل ذلك ليوفر أموالا لخزينة الدولة ، فإن الذي تؤكده بعض الكتابات التاريخية هو أن قادة الجيش من المماليك كالشرابي والدويدار الصغير ، و الذين كانت زعامة المماليك بأيديهم هم الذين قاموا بتصفية جيش الخلافة

1- انظر الفصل الأول من هذا البحث ،ص04.

2- ابن الطقطقي : **المصدر السابق** ، ص 47.

3- ابن العبري : **المصدر السابق** ، ص446.

4- ابن الفوطي : **المصدر السابق** ، ص 202.

5- فاروق عمر فوزي :**الخلافة العباسية السقوط و الانهيار (الجزء الثاني)**، دار الشروق للنشر و التوزيع ، عمان ،الأردن 2009، ص 255.

العباسية في العقود الثلاثة الأخيرة من عمرها من جميع العناصر الأخرى ، وبذلك اقتصرت قوات المستعصم على المماليك من جنسهم ، ليكون لهم القول الفصل في كل أمور الدولة[1].كما أن ابن العلقمي لم يتمكن من السلطة بسبب تغلغل أمراء الجيش و سلطتهم على الخليفة.

وعجزت هذه الحاشية المحيطة به والمنقسمة على نفسها عن إمداده بالرأي الصالح و العمل الايجابي بسبب الصراع القائم على أشده بين الوزير ابن العلقمي وقائد الجيش الدويدار الصغير ، وكان ابن العلقمي يوافي المغول بأخبار المسلمين و يمنع وصوا أخبارهم إلى الخليفة المستعصم في محاولة منه لتسهيل مهمة الهجوم المغولي و تمهيدا لدخولهم بغداد،يقول الذهبي :"...و ابن العلقمي يلعب به كيف أراد ، و لايطلعه على الأخبار ، وإذا جاءته نصيحة في السر اطلع عليها ابن العلقمي، ليقضي الله أمرا كان مفعولا..."[2].

ظل المستعصم بالله غارقا في غفوته ،يعيش في وهم القدسية التي سترعى الخلافة و تلحق المكر السيء بمن يبتغي الشر لها ، وبملوك الأرض الذين سيهبون من الشرق و الغرب للدفاع عنه في أول إشارة منه، حتى أفاق على أنباء هزيمة قائد جيشه الدويدار الصغير وسقوط بغداد، فاستسلم لمصيره وساق معه جميع أفراد الأسرة العباسية الذين احتجزهم في قصره إلى حيث لاقوا ربهم[3].

ثالثا: أثر المؤمرات في سقوط الخلافة العباسية:

لم يكن سبب سقوط بغداد و نهاية الخلافة العباسية على أيدي المغول فقط ، و إنما تعاونت مظاهر الضعف و القلق و العناصر الأخرى غير المغولية من الطائفية الموجودة بين الشيعة و السنة و بعض حكام الأطراف من المسلمين الذين تعاونوا مع هولاكو،و الشلل الكبير الذي أصاب الجهاز الإداري بسبب النزاع المستمر بين كبار موظفي بلاط الدولة العباسية و قوادها .

1- الغامدي : **المرجع السابق** ، ص223 ، فاروق عمر فوزي: **المرجع السابق** ، ص254.

2- الذهبي : **تاريخ الاسلام** ، ج 48 ، ص 260 .

3- القزاز: **الحياة السياسية في العصر العباسي الأخير** ،ص 74

و من الأسباب المهمة التي أدت إلى سقوط الخلافة العباسية خيانة وزير الخليفة ابن العلقمي ، حيث تؤكد الكثير من المصادر على أنه قد راسل المغول و شجعهم على احتلال بغداد و إسقاط الخلافة العباسية [1]،و لكي يهيء النصر للمغول فقد لعب دورا كبيراً في إضعاف الجبهة الداخلية من خلال إضعاف الجيش ، فقد اتخذ ابن العلقمي سياسة خبيثة في إضعاف جيش الخلافة ساهمت في دخول المغول لبغداد دون مقاومة تذكر، إذ اجتهد قبل مجيء المغول في صرف الجيوش وصرفهم عن أقطاعاتهم، ونجح في ذلك، إذ كانت العساكر في آخر أيام الخليفة المستنصر بالله قريباً من مائة ألف، فلم يزل ابن العلقمي مجتهداً في تقليلهم إلى أن لم يبق سوى عشرة آلاف في أواخر أيام المستعصم. فلما تحقق لابن العلقمي ما أراد كاتب التتار وأطمعهم في أخذ البلاد وسهل عليهم ذلك[2].

كما كان ابن العلقمي و أتباعه في أثناء حصار بغداد من قبل المغول ينهون المدافعين عن بغداد عن الرمي بالنشاب و يقولون :"..سوف يقع الصلح إن شاء الله فلا تحاربوا .هذا و عساكر المغول يبالغون في الرمي" ثم خرج في جماعة من أصحابه و اجتمع بهولاكو ثم عاد إلى بغداد،فأشار إلى الخليفة بالخروج إليه والمثول بين يديه لتقع المصالحة على أن يكون نصف خراج العراق لهم ونصفه للخليفة[3]، فخرج الخليفة في سبعمائة راكب من القضاة والفقهاء والصوفية ورؤساء الأمراء والدولة والأعيان، فلما اقتربوا من منزل هولاكو حجبوا عن الخليفة إلا سبعة عشر نفساً خلص بهم الخليفة، وأنزل الباقون عن مراكبهم ونهبت وقتلوا عن آخرهم، وأحضر الخليفة بين هولاكو فسأله عن أشياء كثيرة، ويقال إنه اضطرب في كلامه من هول ما رأى من الإهانات والجبروت، ثم أعيد إلى بغداد يحيط به نصر الدين الطوسي وابن العلقمي ونهب من دار الخلافة أشياء كثيرة من الذهب والحلي والأشياء النفسية، ثم أشار هؤلاء على هولاكو بعدم مصالحة الخليفة، وقال الوزير: متى وقع الصلح على المناصفة لا يستمر هذا إلا عاماً أو عامين، ثم يعود الأمر إلى ما كان قبل ذلك، وحسنوا له قتله،

1- الذهبي : **المصدر السابق** ، ج 48 ، ص 34

2- اليونيني: **المصدر السابق** ، ج 01 ، ص 87

3- السيوطي : **المصدر السابق** ، ص 369

ويقال إن الذي أشار بقتله الوزير ابن العلقمي ونصير الدين الطوسي، فلما عاد الخليفة إلى هولاكو أمر بقتله[1].

إن موقف ابن العلقمي لم يكن سليماً على الإطلاق ولكن لا يمكن تحميله المسؤولية كلها، بل نشرك معه الخليفة ورجال حاشيته الآخرين وعوامل أخرى ساهمت في زوال الدولة العباسية[2].

ومما ساعد المغول على نجاح حملتهم و دخولهم بغداد التساهل الذي وجدوه من بعض حكام الأطراف عندما تعاونوا معهم لسقوط الخلافة العباسية ، فقد أشارت المصادر إلى حاكم الموصل بدر الدين بن لؤلؤ الذي انفرد بمصالحة المغول و شراء سلامهم بالمال و التظاهر بالطاعة لهم فجعلوا منه عميلا رسميا لهم ، يوجه باسمهم الرسائل إلى أهل البلاد و يجمع لهم الضرائب وإعادة حتى ضرب ألقابهم على عملته بعد حذف اسم الخليفة[3].

كان المغول قد كاتبوه وطلبوا منه أن يبعث إليهم ما يطلبون من السلاح ،فأمدهم أثناء حصارهم لبغداد بالأموال و السلاح و الرجال ، و كان ابنه الملك الصالح قائدا لجيشه في أثناء ذلك[4].

و استمر هذا الحاكم في تعاونه مع المغول حتى بعد احتلال بغداد سنة 656هـ/1258م حيث قدم إلى السلطان المغولي هولاكو في بغداد و انعم عليه و أعاده[5]،و تتهم بعض المصادر حاكم الموصل بأنه هو من كان وراء مقتل الخليفة على أيدي المغول.

أما الحكام المسلمون في القسم الغربي من العالم الإسلامي ، و خاصة الأيوبيين فإنهم لم يقفوا مع الخلافة في أثناء صراعها مع المغول رغم أنهم كانوا على اتصال دائم معها،و العلاقات بين

1- ابن كثير : **المصدر السابق** ، ج 17 ، ص 359
2-الصياد: **المرجع السابق** ،ص278
3- القزاز : **الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية** ، ص 77
4- اليونيني : **المصدر السابق** ، ج 01، ص88 . ابن كثير: **المصدر نفسه** ، ج 17 ، ص 356
5- ابن العبري: **المصدر السابق** ، ص 483

الطرفين حسنة و يسودها احترام متبادل منذ عهد صلاح الدين، كما أنهم كانوا بحاجة إلى مساندتها لهم في صراعهم مع الصليبيين.

وكان السبب الرئيسي في عدم مساعدتهم الخلافة هو الخلافات البينية بين الأيوبيين التي كثيرا ما أدت إلى نشوب حروب داخلية بينهم و غرقوا فيها ووصل الأمر إلى حد التحالف مع الصليبيين و هان عليهم تسليم القدس سنة 626هـ/1228م إلى الفرنجة و أضاعوا بذلك المجد الذي بناه لهم صلاح الدين.

و لم يكن الغزو المغولي خافيا على الأيوبيين فقد وصلت شرارة المغول أطراف البلاد الأيوبية أول مرة سنة 618هـ/1220م ثم توغلوا إلى أعماق بلادهم سنة 628هـ/1230م ، لكنهم كانوا مشغولين في خصوماتهم .

ولعل المرة الوحيدة التي اظهر فيها الأيوبيون النية لمواجهة الغزو المغولي كانت سنة 629هـ/1231م عندما استجاب الملك الكامل الأيوبي[1] لنداء الخليفة العباسي المستنصر بالله فجهز جيش قاده ابن أخيه الناصر[2] من أجل التصدي للمغول الذين وصلوا إلى الجزيرة و خلاط[3].

وبقي الأمر على حاله حتى داهم المغول بلاد الشام بعد سقوط الخلافة العباسية في بغداد ، بل إن بعضهم كالأشرف موسى، والملك السعيد انضموا إلى المغول و قاتلوا إلى جانبهم.

ومما سبق يتبين أن نجاح المغول في القضاء على الدولة العباسية و الخلافة الإسلامية لا يتحمله الخلفاء العباسيون لوحدهم كما تذكر بعض الكتابات التاريخية و الباحثين ، إنما القسط

1- الكامل محمد بن العادل (576هـ-635/1180هـ/1237م) كان سلطان عظيم القدر ، ملك الديار المصرية عشرين سنة في حياة والده، و عشرين سنة بعد وفاته ، له مواقف مشهودة ،كان صحيح الإسلام معظما للسنة و أهلها ومحبا لمجالس العلماء. ابن العماد : **المصدر السابق** ، ج 07 ، ص ص301-303

2- الناصر الأيوبي :600-635هـ/1203-1237م قِليج أرسلان (الملك الناصر)ابن الملك المنصور صاحب حماة، جرت بينه و بين الملك الكامل حوادث ، اعتقله الملك الكامل ، فتوفي في السجن ، و كانت وفاته قبل موت الكامل بأيام. الزركلي : **الأعلام** ،ج 05، ص 203

3- خِلاطُ أو أخلاط البلدة العامرة المشهورة من أجل مدن أرمينية ، ياقوت الحموي : **المصدر السابق** ، ج 02 ، ص 380

الأكبر من المسؤولية يعود إلى الأجانب و بالأخص القادة العسكريين الأتراك و المماليك الذين كانوا سببا في شلل مؤسسة الخلافة وضعف المؤسسة العسكرية ، كما أن حكام الأطراف لم يساعدوا الخلافة أثناء تصديها للخطر المغولي .بل إن البعض منهم ساعد المغول ،أما الوزير ابن العلقمي والخواجة نصر الدين الطوسي فكانا من أعظم الأسباب في دخول المغول إلى العراق ثم بلاد الشام، ومن أكثر الناس معاونة لهم على أخذ بلاد الإسلام وقتل المسلمين وسبي حريمهم[1].

رابعا: دور العلماء في التصدي للغزو المغولي

في الوقت الذي خلا فيه العراق من القيادة السياسية القادرة على مواجهة الغزو المغولي نهض العلماء للقيام بهذا الدور فكانوا بحق قادة للمجتمع ، و لقد أدرك هولاكو ذلك أثناء حصاره لبغداد سنة 656هـ/1258م مكانة العلماء فأمر بكتابة مناشير تفيد بأن القضاة و العلماء و السادات وكل من لم لا يحاربنا لهم الأمان منا[2].

وقد جسد هذا الدور قبل الهجوم على بغداد الفقيه شرف الدين عبد الله ابن الجوزي حين أرسله الخليفة المستعصم كسفير للتفاوض مع هولاكو ومحاولة ثنيه عن دخول بغداد بعدما رفض الوزير ابن العلقمي و الدويدار و سليمان شاه الاستجابة لطلب الخليفة في الخروج لهولاكو، وكان شجاعا عالما، فاضلا في فنون من العلم ، موصوفا بالعقل و السداد ، يستشار في الأمور ويطلع على الأسرار[3].

ولم تجد محاولاته شيئا في رد هولاكو عما أراد ، وكان ممن قتلهم هولاكو هو وأولاده الثلاثة جمال الدين ،وشرف الدين ،وتاج الدين المحتسب[4].

1- محمد علي الصلابي : **المرجع السابق** ، ص 244
2 - الهمذاني : **المصدر السابق** ،ج 01، ص 287
3- الغساني : **المصدر السابق** ، ص 635
4- ابن العماد : **المصدر السابق** ،ج 07، ص485

وكان علماء الأمة مدركين لمجريات الأحداث في عصرهم حاولوا بذل كل ما يستطيعون في سبيل تجنيب الأمة الكوارث و المخاطر المحدقة بهم كل حسب قدرته و استطاعته .و من هذه المواقف التي تحسب للعلماء تجاه الغزو المغولي للعراق قيام احد أهل العلم و هو العلامة موفق الدين أبو العباس احمد بن يوسف الكواشي نزيل الموصل كان يبذل كل ما في استطاعته في نصح صاحب الموصل بدر الدين بن لؤلؤ الذي كان ممن خضع للمغول و أعانهم في غزوهم للعراق ، فكان هذا الشيخ ينكر عليه ذلك منبها إياه إلى خطأ مسلكه و سوء عمله[1].

أما الفقيه الضرير يحي بن يوسف بن يحي الأنصاري الصرصري وعند دخول المغول إلى بغداد كان الشيخ بها فلما دخلوا عليه قاتلهم و قتل منهم بعكازه نحو اثني عشرا نفسا، ثم قتلوه شهيدا برباط الشيخ علي الخبّاز، و حمل إلى صرصر[2] فدفن بها[3].

كما قتل في موقعة بغداد على يد التتار محمود بن أحمد بن محمود بن بختيار ، أبو الثناء الزنجاني الفقيه الإمام الشافعي ، كان رئيس الشافعية ببغداد اشتغل في العلوم ،و أفتى ، و درس بالنظامية و المستنصرية [4].

وممن تذكر المصادر استشهادهم على أيدي المغول في وقعة بغداد شيخ الشيوخ بن النيّار ، فقد ذبحه المغول كما تذبح الشاة في دار الخلافة مع ابنه عبد الرحمن[5] وابن أخيه شرف الدين عبدالله [6]،و فخر الدين بن جعفر الآمدي الصوفي وكان معيدا بالمدرسة المستنصرية ، و له أشعار حسنة مدح بها

1- تاج الدين السبكي : **المصدر السابق** ، ج08، ص 42.

2- قرية على فرسخين من بغداد ،كانت تسمى قديما قصر الدير. ياقوت الحموي : **المصدر السابق** ، ج03، ص 401.

3- ابن كثير : **المصدر السابق** ، ج 07، ص 377.

4-تاج الدين السبكي : **المصدر نفسه** ، ج 08، ص368

5- الغساني : **المصدر السابق** ، ص 637

6- ابن الفوطي: ا **المصدر السابق** ، ص235

الخليفة المستعصم بالله[1]. أما الإمام شرف الدين محمد بن محمد بن الشيخ عبد الوهاب بن سكينة فقد قاتل المغول حتى قتلوه[2].

إن العدد الكبير من العلماء الذين قضوا نحبهم في التصدي لهمجية المغول[3]يظهر بصورة جلية ما قدمته هذه الطائفة ، و تؤكد على الدور الايجابي للعلماء تجاه الغزو و المتمثل في إنكارهم للغزو كلية ، و العمل على مقاومته ،و رفض التعاون مع الغزاة و إن كلفهم ذلك الإيذاء أو القتل[4].

وقد عبر بعض الشعراء على ماحل بالعلماء من قتل على يد المغول ومن ذلك القصيدة المشهورة في بغداد لتقي الدين بن أبي اليسر و الذي شبه العلماء بالبدور الذين يهدون الناس للخير :

وكم بدور على البدرية انخسفت　　　و لم يعد لبدور منه إبدار

وكم ذخائر أضحت و هي شائعة　　　من النهاب و قد حازته كفار[5]

لقد كان موقف العلماء من المغول موقفا طبيعيا متوقعا من فئة واعية مدركة لحقيقة المعركة مع الأعداء ومكانتهم في المجتمع لذلك لم يتأخروا عن الجهاد و نصرة الحق و الدفاع عن الأوطان و الصمود فقرنوا بذلك شرف الكلمة ، وكرامة العلم بشرف البلاد و حرية أبنائه[6].

1- ناجي معروف : **تاريخ المدرسة المستنصرية** ، ج 02 ، 299

2- الذهبي : **تاريخ الإسلام** ، ج 48، ص 322

3- هناك اختلاف كبير في المصادر التاريخية حول عدد العلماء الذين قتلوا على ايدى المغول ، فابن الفوطي ذكر عشرة من رجال العلم ، استشهدوا في هذه الواقعة ، في حين يذكر الهمذاني أن كل من خرج مع الخليفة قتل ، ابن الفوطي : **المصدر السابق** ، ص 235 ، الهمذاني : **المصدر السابق** ، ص 294

4- تذكر بعض المصادر أن هناك بعض العلماء قد تعاونوا مع السلطة المغولية و استعانت بهم في معرفة من كان يوالي الخليفة المستعصم ومن كان يعاديهم. ابن الفوطي : **مجمع الآداب في مجمع الألقاب**،ج 03، ص38

5- السيوطي : **المصدر السابق** ، ص 370

6 - انظر الملحق رقم : 08 (**أسماء بعض العلماء الذين قتلوا على يد المغول في بغداد سنة656هـ/1258م**)، ص215

خامسا: سياسة المغول في العراق

بعد نجاح المغول في السيطرة على العراق وإسقاط الخلافة العباسية العتيدة سنة 656هـ/1258م، عملوا على تثبيت سلطانهم في هذه البلاد، وإحكام السيطرة على الأمور والنواحي. وقد عرف الحكم المغولي الذي حل محل الخلافة العباسية في هذه المناطق بالإيلخانية[1] نسبة إلى اللقب الذي اتخذه مؤسسها هولاكو لنفسه، وهو الأيلخان[2] الذي أصبح علما مميزا لحكم أسرته التي توارثت الحكم من بعده.

قرر هولاكو أن يؤسس إدارة العراق في يوم قتل الخليفة المستعصم بالله فأرسل إلى مؤيد الدين ابن العلقمي وعينه وزيراً، واسند ديوان العراق إلى فخر الدين الدامغاني (صاحب ديوان الخليفة المستعصم بالله) ومنصب الشحنة[3] إلى علي بهادر[4]. وقد أبقى المغول التقسيمات الإدارية في العراق على ما كانت عليه الدولة العباسية في أواخر عهدها، ثم قام السلاطين المغول بدمج الوحدات الإدارية إلى وحدات رئيسة اكبر تسمى (أعمال) ماعدا بغداد فإنها بقيت على حالها السابق فمنها الإشراف على العراق وصولاً إلى تحقيق سيطرة مركزية قوية، لهذا قسم العراق إلى خمس وحدات إدارية بدل سبعة[5] هي الأعمال الشرقية وتشمل الخالص وطريق خراسان والبنديجين[6] والأعمال الفراتية وتشكل حوض

1 – انظر الملحق رقم :09 (**الدولة الأيلخانية**)، ص 216

2– مصطلح مغولي مكون من مقطعين هما :أيل ومعناها تابع و خاضع و خان معناها ملك و حاكم ، أي الملك التابع ، وهو زعيم إقطاعي تابع للخاقان المغولي ، وقيل أيضا سيد القبيلة . ،وبهذا المعنى لم يكن هولاكو حاكما مستقلا بهذه الدولة و إنما كان يحكمها باسم الخاقان كنائب عنه ، وهو بذلك لم يضرب نقودا باسمه و إنما كانت تضرب باسم منكوخان.القلقشندي : **صبح الأعشى**،ج 04 ، ص 419 ، رغد عبد الكريم احمد النجار : **امبراطورية المغول** ، دار غيداء للنشر و التوزيع ، عمان 2012 ،ص 212

3– وظيفة جديدة استحدثها السلاجقة أثناء حكمهم للعراق، كان يتولاها احد الأمراء العسكريين الأتراك المقربين من السلطان السلجوقي وهذه 3 الوظيفة هي اقرب ما تكون إلى منصب الحاكم العسكري أو صاحب الشرطة ومهمته حفظ الأمن والنظام في المدينة المعين عليه.عبد الهادي نايف القعدة: **الادارة السلجوقية في بغداد**، مجلة دراسات للعلوم الانسانية ، الجامعة الأردنية المجلد 42، ملحق1 ، 2015 ، ص ص 1208-1209

4–الهمداني: **المصدر السابق** ، ج1، ص 295، ابن الفوطي: **المصدر السابق** ، ص 237.

5 – انظر الملحق رقم :07 (**خريطة تقريبية للأقسام الإدارية في العراق في عهد المغول الايلخانين**) ، ص214

6–وهي بلدة مشهورة في طرف النهروان من ناحية الجبل من أعمال بغداد ، و قد تطور اسمها إلى البندنيج ثم المندليج ثم مندلي ، وهي بلدة مندلي الحالية في محافظة ديالى. ياقوت الحموي : **المصدر السابق** ، ج 01 ، ص499

الفرات من الأنبار جنوباً إلى عانة والقائم شمالاً ،وأعمال دجيل و المستنصرية والأعمال الكوفية والحلية والأعمال الواسطية والبصرية، ثم أضيفت إليهما فيما بعد الموصل و اربل
وكثيراً ما تدمج في إدارة واحدة[1]، ويتولى إدارة هذه الأعمال مسؤول يقال له صدر[2] وكان تعيينه يتم من صاحب الديوان في بغداد و الذي كان بمثابة الحاكم الأعلى على العراق وإليه حق عزلهم ومحاسبتهم،و قد اختار هولاكو لذلك المنصب علاء الدين عطا الجويني[3] ،وعهد إليه بإدارة دفة الأمور في ممالك العراق و خراسان و استمر حكمه في فترة حكم هولاكو حوالي ست سنوات و سبعة عشر عاما في حكومة أباقا[4] إلى سنة 680ھ/1281م و السنة الأخيرة كانت في عهد تكودار[5] ،و هو صاحب الديوان الوحيد الذي امتد حكمه من سنة 657ھ/1269م إلى 681ھ/1282م قلما بقي شخص في منصبه مدة طويلة ، ففي السنة الواحدة كان يستبدل أحيانا أكثر من صاحب ديوان[6].

أما الوظائف الدينية فكان على رأسها منصب قاضي القضاة ، فقد أحضر القاضي عبد المنعم البندنيجي عند هولاكو ،فأقره على منصب قاضي القضاة[7] ،وأما الأوقاف فإن جميع الأوقاف

1-ابن الفوطي، **المصدر السابق**، ص 238

2- هي إحدى وظائف الدرجات العليا في العصر العباسي الأخير، وقد استمرت محافظة على درجتها ومستواها بعد احتلال المغول لبغداد عام 656ھ/1258م فهي توازي وظيفة المحافظ او المتصرف او المدير العام باختلاف اختصاص الصدرية ومهامها وطبيعة صلاحيتها. محمد مفيد آل ياسين: **دراسات في تاريخ العراق في الايلخاني** ، ص 41

3- علاء الدين عطا الملك الجويني أول حاكم في العراق بعد احتلال المغول لبغداد تولى حكم بغداد سنة 657 أي بعد سنة من احتلال المغول لبغداد وسقوط الخلافة العباسية، حتى سنة وفاته سنة 681ھ، أي أنه حكم العراق 24 سنة.بذل علاء الدين عطا ملك جهودا كبيرة في تعمير العراق ترك مؤلفات منها (تسلية الأخوان) و (تاريخ جهانكشاه) كتبه بالفارسية ، كما كان أديبا شاعرا له شعر بالعربية و التركية.عبد الرحمان ابن خلدون : **الخبر عن دولة التتر** ، دراسة و تحقيق أحمد عمراني، دار الفارابي ،بيروت 2013، ص 58

4- أباقا خان بن هولاكو (631-680ھ /1234-1282م) حكم في الفترة 1264-1282م و هو ثاني ملوك المغول في العراق، كانت مدة حياته تسعا وأربعين سنة ، ومدة حكمه سبعة عشر سنة. الهمذاني : **المصدر السابق** ، ج02 ، ص ص 3- 4

5- تكودار خان بن هولاكو الابن السابع لهولاكو تسلم العرش سنة 681ھ/1282م ،هو الذي اسلم و سمى نفسه السلطان احمد ، انقلب عليه أمراء المغول بعد إسلامه، قُتل سنة 683ھ/1284م ، الهمذاني : **المصدر نفسه** ،ص88/ ص121

6-ايمان محمد زكي: **الأسرة الجوينية في زمن المغول**، دار الآفاق العربية،القاهرة 2014، ص33

-7ابن الفوطي : **المصدر نفسه** ، ص238

الإسلامية وضعت تحت إشراف نصير الدين الطوسي و كان جميع هؤلاء باستثناء الشحنة من أهل العراق والعارفين بشؤونه و المشتغلين بإدارته في زمن الخليفة الأخير وقد فوض إليهم هولاكو أمر تنظيم إدارة العراق فاجتمعوا و قرروا أحواله و نظموها و عينوا حكامه و كبار موظفيه[1].

و كانت هذه الإجراءات فورية لكي يستتب الأمن في العراق و تهدأ الخواطر و النفوس ، وذلك بسبب الفوضى التي عمت البلاد في أعقاب الغزو ، فضلا عن أن هولاكو لم يكن قد انتهى من فرض سلطانه على البلاد التي خضعت له،وأخذت الطمأنينة تعود شيئا فشيئا إلى البلاد، واستطاع من بقي من الناس أن يفتشوا عن أموالهم وأعمالهم، وشرع الموظفون ورجال الإدارة الجدد بترميم ما يمكن ترميمه من المساجد والمدارس والربط والقصور والدور والجسور والشوارع والأسواق. كما أن سلطة الاحتلال لم تبدل نظام الحكم، بل استبقت الحالة على ما هي عليه، وتم الاحتفاظ بالترتيبات الإدارية الموجودة من العهد السابق، إلا أنها جعلت السلطة مرتبطة دائما بأمراء المغول، يرجع إليهم الوزير في كافة الأمور الذين يتصرفون بالبلاد كما يشاءون.

و اخذ الحكم في عهد هولاكو طابعا مركزيا يدل على ارتباط موظفيه به شخصيا ، فقد كان الوزير وصاحب الديوان يفدان إليه مصطحبين معهما صدور البلاد ليعرضوا عليه حالة البلاد و تطورها الاقتصادي و العمراني ، و نفس العمل كان يقوم به شحنة بغداد ليرفع له تقريرا عن البلد و عن صاحب الديوان نفسه[2].

وعمد المغول إلى تعيين أكثر من موظف على رأس كل إدارة فقد جعلوا علاء الدين عطا ملك الجويني صاحب ديوان يشاركه فيه عماد الدين عمر بن محمد القزويني بمثابة رقيب عليه و ذلك سنة

1- جعفر حسين خصباك : **المرجع السابق** ، ص 66

2- القزاز: **المرجع السابق** ، ص 144

657هـ/1259م[1] ، و في عهد الايلخان أرغون[2] كان هناك ثلاثة موظفين يتولون مسؤولية صاحب الديوان[3].

و قد أدى ذلك إلى كثرة المؤامرات و الوشايات بين حكام العراق لدى السلطان وأمرائه و وزرائه ، ففي سنة 657هـ/1259م حينما توجه فخر الدين بن الدامغاني صاحب الديوان إلى السلطان ومعه صدور أعمال العراق لتقديم تقرير عن أحوال العراق ، قابلهم السلطان مقابلة حسنة و أراد أن يفوض أمر العراق إلى فخر الدين لولا وشاية احد صدور العراق الذي اتهمه بأنه أطلق سراح رجل من انساب الخليفة المستعصم من السجن وتوجه إلى الشام ، فانتفض السلطان وقبض عليه ومات سجينا، و كان من جملة من توجه إلى هولاكو صدر واسط و البصرة فأثبت عليه أنه أخربها و أهمل مصالحها فأمر بقتله فقتل[4].

و كانت وسائل بقاء الولاة في مناصبهم هي حبك المؤامرات و الدسائس و ابتزاز الأموال من الرعية للدفع من اجل البقاء،وهو ما ذكره ابن الفوطي في تدبير شمس الدين الجويني مقتل شحنة بغداد علي بهادر و عماد الدين القزويني انتقاما لما حدث لاخيه منهم[5] .

وتعود كثرة هذه التغيرات الإدارية إلى رغبة الايلخان في الحصول على اكبر قدر ممكن من المال عن طريق هؤلاء الولاة مع الخدمة المتواصلة و الانقياد الأعمى، فلم يكن للدين أو الخبرة أو النزاهة إي اعتبار يومئذ في اختيار الولاة و الموظفين .و قد أكد ذلك ابن العبري الذي عاصر الايلخانيين وعاش في كنفهم قائلا:"...لم يخصوا بالكرام من يستحق الإكرام ، بل لم يولوا المدن التي احتلوها من

1- ابن الفوطي : **المصدر السابق** ، ص 238

2- أرغون خان الابن الأكبر لأباقا خان ثار على عمه السلطان احمد و قتله ثم تولى العرش بعده سنة683هـ/1284م توفي سنة 690هـ/1291م . الهمذاني : **المصدر السابق** ،ج02 ، ص124/ ص 162

3- جعفر حسين خصباك : **المرجع السابق** ، ص 69

4- ابن الفوطي : **المصدر نفسه** ، ص ص 242-243

5-ابن الفوطي : **المصدر نفسه** ، ص 246/ ص248

تسلسل الأسر الملكية ، إذ لا فرق عندهم بين العبد و الحر و المؤمن و الكافر و المسيحي و اليهودي فهم يسوسونهم بصولجان واحد..."[1].

وقد تكاملت صورة الجهاز الإداري و توضحت اختصاصاته سنة 657هـ/1259م عندما تولى مسؤولياته علاء الدين عطا ملك الجويني[2]،الذي استطاع إعادة الأمن و الاستقرار للبلاد ،فتوفرت خيراته وزاد رخاؤه حتى قيل أن بغداد في عهده أصبحت أجود مما كانت عليه في أيام الخلافة العباسية[3].

عمل علاء الدين عطا على تعمير الديار الإسلامية التي كان يتولى حكمها واستطاع أن يسترد لبغداد شهرتها بين البلاد؛فالخراب الذي أصاب بغداد والعراق بسبب حروب المغول سرعان ما دبت الحياة فيها من جديد وارتد إليها العمارة واشتغل الناس بالزراعة وتضاعف دخل العراق وعمرت البلاد حتى أصبحت أكثر رخاء خلال حكم الأسرة الجوينية[4].

وبذل علاء الدين عطا جهودا في إصلاح المزارع وشق القنوات وبذل كل ما في وسعه في سبيل إصلاح إقليم العراق العربي وتعمير الخراب التي أحدثه المغول. وأجرى الأنهار من أجل الزراعة وحول الأراضي البور إلى مناطق زراعية خصبة ووفق في هذا السبيل توفيقا كبيرا[5].

وعمل علاء الدين عطا على تخفيف الضرائب التي كانت تجني من الفلاحين واطمأن الناس فعادوا إلى أعمالهم وزراعاتهم فتضاعفت عائدات بغداد حتى قيل إن أيام عطا ملك في بغداد فاقت أيام العباسيين في الخير والعطاء.

1- ابن العبري : **المصدر السابق** ، ص 398.

2- الهمذاني : **المصدر السابق** ، ص 338.

3- الذهبي : **تاريخ الإسلام** ، ج 50، ص 80 ، القزاز : **المرجع السابق** ، ص 222.

4- الذهبي : **المصدر نفسه** ، ج 51 ، ص 81.

5- عباس العزاوي:**المرجع السابق**، ج01 ، ص 210.

أما الصناعة فتابعت نشاطاتها في عهد الايلخانيين بصفة الاستمرار عما كانت عليه في الفترة السابقة لاحتلالهم بغداد ،خاصة و أن مناطق عديدة من العراق قد دخلت تحت السيطرة المغولية دون قتال أو إباحة و تدمير كما حدث في المناطق التي تعرضت لغزوهم ، فكانت مدن مثل البصرة و الكوفة والنجف و غيرها التي دخلت في طاعتهم قد بقيت فيها الصناعات على حالها ملم يتعرض أصحابها لأذى ، وظلت موردا هاما يمد الصناعات في المدن الأخرى بما تحتاجه[1].

وسعى المغول إلى محاولة إصلاح الجانب الصناعي في ظل الإدارة الجديدة للبلاد فعملوا على المحافظة على أرواح الصناع للاستفادة منهم و أظهروا اهتمام بالصناعة و الفنون[2] ، وذكر الهمذاني أن المغول عند احتلالهم الموصل سنة 660هـ/1262م أسروا بعض أرباب الحرف و الصناعات لغرض الاستفادة من هؤلاء كلا حسب صنعته و حرفته ونقلها إلى شعبهم[3].

ولجأ علاء الدين الجويني إلى حل مشكلة الضرائب التي طالما كانت من بين أهم الأسباب في تدهور الأوضاع الاقتصادية و كثرة الأزمات الخانقة التي واجهت العراق ، لذلك سعى الجويني إلى إلغاء جزء كبير من الضرائب التي كانت مفروضة دون أساس[4] ، وأبقى على بعضها كضريبة الخراج و العشر مع مراعاة حالة الضعف المالي الذي ألم بالناس و إلغاء غير الضروري منها[5].

و لم تقف إصلاحات حكام المغول عند هذا الحد بل اظهروا اهتماما بالنشاط التجاري لإدراكهم أهمية التجارة في الحصول على الأشياء التي يحتاحونها و كونها موردا من موارد ثراء البلاد في الوقت

1- جعفر خصباك: **المرجع السابق** ، ص 129

2- أحمد مختار عبادي و ابراهيم محمد علي مرجونة: **المغول و الحضارة الإسلامية** ،مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية2010 ، ص 144

3- الهمذاني : **المصدر السابق** ، ج 01 ، ص 330

4- محمد سهيل طقوش :**تاريخ المغول العظام و الايلخانيين** ،دار النفائس ، بيروت 2007، ص 290

5- إيناس سعدي عبد الله: **تاريخ العراق الحديث1258-1918م** ،دار و مكتبة عدنان ،بغداد2014، ص79

الذي كان العراق في حاجة ماسة إلى الأموال بعد أن تأثرت جوانب الحياة المختلفة جراء الغزو المغولي[1].

وقد كان لموقع العراق الجغرافي بين القارات أثره في نجاح هذا النشاط حتى أن التجار أصبحوا مجتمعا ماليا قويا يستدعي الحكومة الايلخانية الاقتراض منهم بعض الأحيان فنشطت التجارة مع الصين و الهند و إفريقيا ، في حين كانت التجارة الداخلية بين المدن نشيطة بسبب وجود الأنهار، وشبكة طرق المواصلات البرية ، ولعل أشهر تلك المدن التي ذاع صيتها في الجانب التجاري خلال فترة الدراسة هي كلا البصرة و واسط و الكوفة ،أما بغداد فكانت هي محور ومركز النشاط التجاري[2].

واستطاع المغول بعد سيطرتهم على أجزاء واسعة من العالم الإسلامي و غيره من تنشيط التجارة و المحافظة على طرقها من السلب و النهب و توفير الحماية الكاملة لها مما وفر لهم أموالا كثيرة كانت كافية لمعالجة المشاكل الاقتصادية التي عانى منها العراق عقب الغزو[3].

ويمكن القول أن حكام المغول الايلخانيين[4] شعروا أن القوة العسكرية وحدها غير كافية لإدارة العراق و تحقيق ما يسعون إليه لذلك قرروا الاستعانة بأصحاب الدراية و الخبرة لإدارة البلاد سياسيا وإداريا من أهل العراق و من غيره ، فتم تعيين الجويني كحاكم لبغداد و أطلقت يده في إدارة العراق ، و أصبح اليد التي لا تعلوها يد في كل ما يقوم به من إصلاحات حتى وصف عصره بأنه أكثر العصور الزاهية[5] .

1- محمد مفيد آل ياسين : **دراسات في تاريخ العراق الايلخاني** ، ص ص109-110

2- جعفر خصباك : **المرجع السابق** ، ص 135

3- عباس إقبال :**المرجع السابق**، ص 549

4 - انظر الملحق رقم:06 (**سلاطين الدولة الإيلخانية**)، ص213

5- عبد العزيز الدوري ،السيد عبد الرزاق الحسني: **دائرة المعارف الإسلامية،الكتاب 15(بغداد)**، دار الكتاب اللبناني، بيروت1984 ، ص119

وعلى الرغم من الجهود التي بذلها الجوينيون في خدمة هذه الدولة وتوطيد أسسها، ودعم أركانها،وثناء المؤرخين على علاء الدين عطا ملك الجويني لحسن إدارته و كفاءته ، و أنه استطاع إعادة الأمن و الاستقرار إلى البلاد. فإنهم تعرضوا في نهاية الأمر لنكبة تشبه نكبة البرامكة[1] عندما تكاثر عليهم الأعداء والخصوم، وقُتل الجوينيون جميعًا في عهد الايلخان "أرغون" سنة 683هـ/1284م الذي قضى على جميع أفراد هذه الأسرة[2].

اجتماعيا فرغم تعرض المجتمع العراقي المسلم لإحدى أكبر عمليات الإبادة التي شهدها التاريخ، وتدمير أشهر معالم عاصمته فإن الغزو المغولي من أيام هولاكو لم يؤد إلى تغيير في تركيب سكان العراق بل اقتصر على وضع حاميات مغولية كان مجموعها في أول حكم هولاكو ثلاثة ألف فارس، لكن الايلخانيين اعتمدوا على الكثير من الفرس في حكم العراق[3]، وطردوا عماله العرب خوفاً من حميتهم الإسلامية التي اشتهر بها العرب في تحرير أرضهم ،كما أعجب المغول ببراعة أهل الذّمّة في المجالات الإدارية وغيرها، فأنيطت بهم مهمّات كثيرة، وأسندوا لهم مراكز مهمّة في إدارة الدولة المغوليّة حُرِم غيرهم من المسلمين من القيام بها.

وتمكن النصارى الذين غمرهم هولاكو بأفضاله ولقوا في عهده عطفًا غير محدود، ولعلّ مردّ ذلك إرضاء زوجته النصرانيّة، والّتي صحبت هولاكو عند هجومه على بغدادمن إدارة بعض شؤون العراق،وسيطر جاثليق[4]النصارى على دار الدويدار الكبير ودار الفلك التي كانت رباطا للنساء في بغداد، و تحويلهما إلى مركز مسيحي ، كما سلط على أوقاف المسلمين الكثير من المرتزقة من الأطباء

1 – البرامكة أسرة فارسية عريقة ينتسبون إلى جدهم برمك ، ازداد نفوذ هذه الأسرة خلال فترة حكم الرشيد حينما احتكروا المناصب الهامة في الدولة لصالحهم ، وقد مكنتهم سلطتهم من تسخير إمكانيات الدولة لمصلحتهم الخاصة ، وكان ذلك من أهم العوامل التي عجلت بدنو أجلهم و نكبتهم على يد الخليفة هارون الرشيد. هولو جودت فرج: **البرامكة سلبياتهم و ايجابياتهم**،دار الفكر اللبناني ،بيروت 1990، ص ص 97-99.

2– إيمان محمد زكي : **المرجع السابق**، ص122

3 – جعفر خصباك : **المرجع السابق** ، ص 151

4– الجاثليق: تعني الرئيس الديني الأعلى لبعض طوائف المسحيين ، أو الرئيس الأكبر للنَّصارى في المشرق، انظر: آدم متز، **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، ترجمة : عبد الهادي أبو ريدة،دار الكتاب العربي، بيروت.ج1، ص: 79.

و المنجمين من اليهود و النصارى يتقاضون من مواردها حقوقهم [1].و استمر هذا الدعم و التأييد للمسيحيين في عهد خليفته أباقا و يستثنى من هؤلاء احمد تكو دار الذي دخل في الإسلام.

أما اليهود فكانوا ممَّن كاتب المغول في إسقاط الخلافة العباسيَّة والهجوم على بغداد؛ حيث دلّوهم على عورات المدينة، وشاركوا مشاركة فعليَّة في هذه الكارثة، واستقبلوا التتار الوثنيِّين بالترحاب؛ ليقضوا لهم على المسلمين الذين أعطوْهم ذمَّتهم ووفَّروا لهم الأمن والحماية،وكانت دُورهم بِمثابة دار أمْن لمن التجأ إليها من المسلمين، كما يُشيرُ ابن كثير [2]،ووجد اليهود معاملة طيبة لا نظير لها في عهد السلطان المغولي أرغون بن أباقا، الذي ارتقى عرش الدولة الإيلخانية بعد مقتل السلطان أحمد تكدار، وذلك عام 683هـ/1284م الذي اشتهر بسياسته المعادية للمسلمين وميْله إلى اليهود والنَّصارى، فخصهم بالوظائف الأساسية في الإدارة المدنية[3].

وأظهر المغول اهتمامهم بالعلويين لاستمالة الشيعة إليهم،أما الصوفية فقد نالت مكانة كبيرة في المجتمع فاقت مكانة القوى الدينية الأخرى خاصة بعد أفول نجم النظام السني وبالأخص تيار الفقهاء السلفي الذي كان يضايق الكثير من التيارات.

وقد أدى سقوط الخلافة العباسية ى إلى نشاط المذاهب الأخرى غير المذهب السني بعد تولي أبنائها الوظائف المغولية السلطانية المهمة وبناء الدور لنشر دعوتهم،فكثر الموالي خاصة من الفرس والترك في بلاط الحاكم، كما فرض الايلخان المغولي خدابندا (اولجايتو)[4]المذهب الشيعي بالقوة على المجتمع البغدادي[5].

1- جعفر خصباك: **المرجع السابق** ، ص 189

2- ابن كثير : **المصدر السابق** ، ج 17، ص 360

3- الباز العريني: **المرجع السابق**، ص 305

4- السلطان المغولي السلطان خدابندا (اولجايتو) ثامن الايلخانات المغول الذين حكموا الدولة المغولية، تولى عرش السلطة المغولية عام (703-716هـ/ 1303-1316م) كان له دور كبير في الأحداث السياسية وغيرها التي شهدها العراق خلال مدة حكمه، اسلم قبل توليه السلطة وذلك عندما كان والياً على خراسان في عهد أخيه محمود غازان (694-703هـ/ 1295-1304م) على المذهب السني، تحول السلطان اولجاتيو إلى المذهب الشيعي وأصدر مرسوماً يقضي بجعله المذهب الرسمي للدولة ثم أتخذ مجموعة من الإجراءات من أجل إشاعة العقائد الشيعية الأمر الذي أدى إلى وقوع الاضطرابات.ابن كثير: **المصدر السابق** ،ج18، ص153

5- ابن بطوطة : **تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار**: تحقيق و تقديم الشيخ محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم ، بيروت1987 ،ص 215

إن تفضيل المغول للمسلمين الشيعة على المسلمين السنة أحدث خللا اجتماعيا من الناحية الدينية حيث خلفت الكثير من الضغائن و الحسد بين صفوف الناس وبالتالي تفتيت التركيبة الداخلية للمجتمع وهذا سهل لهم السيطرة و التحكم بهذه البلاد وذلك لعدم تكون الجبهة المتينة القادرة على صد هؤلاء المغول و ذلك على مبدأ فرق تسد.

وبرغم الهزة العنيفة التي أصابت المجتمع في الصميم،إلا أن العنصر العربي بقي يمثل الصفة الأبرز للتركيبة السكانية لمدينة بغداد،ولم يستمر الواقع الذي فرضه المغول على المدينة طويلا،ويظهر ذلك في تولي عطا ملك الجويني حكم ولاية بغداد وإقامة المشاريع التشجيعية للسكان الأصليين على العودة لمدينتهم بعد الفوضى التي أحدثتها العناصر الوافدة الجديدة الأمر الذي أقره الأيلخان المغولي خصوصاً بعد أن أدت تجربة الجويني في عودة السكان العرب الأصليين إلى زيادة كبيرة في خراج المدينة[1] .

لم يكن الحكم الايلخاني للعراق سائرا على وتيرة واحدة في إدارة البلاد بل كان يتغير من حين إلى أخر فتارة يتولى الإدارة من هو للإصلاح ناشرا لواء العدل حسن السيرة فيزيل عن رعيته ثقل الضرائب وتارة أخرى يتولى الأمر من هو شديد على رعاياه فيظلم ويضطهد ويجور ويثقل على عاتق الأمة بزيادة الضرائب طمعا بالأموال ولقد كان منهم من يعطي المدن بالضمان مبلغ معين من المال إلى اجل مسمى ومنهم من كان يرسل الجباة في كل سنة إلى المدن فيجمعون له المال ومنهم من استعمل الأمرين في آن واحد .وخلاصة القول أن هذه الدولة لم يكن لها نظام خاص تسير عليه في إدارة البلاد بل كانت إدارة البلاد تابعة لإرادة من يتولى كرسي الدولة فالعراق في عهد أحمد تكودار[2] غير عراق عهد أرغون .

1- محمد صالح القزاز : **المرجع السابق**، ص 232

2 - انظر الملحق رقم:10(**رسالة تكودار إلى أهل بغداد**)، ص 217

الفصل الثالث

أثر الغزو المغولي على الحياة العلمية في العراق

أولا– المؤسسات التعليمية

ثانيا – المكتبات

ثالثا – العمـران

رابعا – انحسار حركـة التأليف

خامسا: انتشار التصوف

تركت إدارة المغول أثارها السلبية على الوضع الاقتصادي و السياسي في العراق و انعكس هذا الوضع على الثقافة و الحياة العلمية في العراق ، لاسيما أن عمليات التخريب و الهدم التي كانت الصفة المرافقة لهجمات المغول على العراق منذ سنة 618هـ/1220م حتى احتلاله سنة 656هـ/1258م كانت بداية ضعف إشعاعه الحضاري الذي أنار بنوره على العالم الإسلامي بوجه خاص و العالم ككل بوجه عام.

لقد رافق الغزو المغولي فوضى كبيرة تجلت في أعمال الحرق والتدمير، فبعد أحكام الحصار حول مدينة بغداد و الاستيلاء عليها أمر هولاكو، قادته وجيوشه بعد القتل والذبح، نهب بغداد فعاث جند المغول فساداً في المدينة التي ما كفوا عن ضربها بالمجانيق إلا بعد أن رأوا أكثر مساكنها وأسواقها أصبحت ركاماً، حتى المساجد والجوامع والمدارس والمكتبات وأشعلوا النيران فيها أيضاً، بحيث ظلت النيران تتأجج ليالي عديدة ، وقد نهب المغول كل التراث الذي امتلكه الخلفاء العباسيون وأهالي بغداد من أثاث وسجاد وأقمشة من حرير وأقطان وكتان، وسروج الخيل وأفرشة وبسط، ودام القتل والنهب أربعين يوماً[1].

وبعد هذه الأربعين يوماً من التخريب والتمزيق أصبحت بغداد في حالة من الدمار والخراب لا تصدقها العيون، حيث يذكر أحد العلماء الذين زاروها بعد تلك الكارثة الكبرى فقال:"... وافيتها بلدة خالية، وأمة بالية، ودمنة حائلة، ومحنة جائلة، وقصوراً خاوية، وعراصاً باكية، وقد رحل عنها سكانها وبات عنها قطانها وتمزقوا في البلاد، ونزلوا بكل وادٍ، وقصورها المشيدة مهدومة، ونعماؤها مسلوبة معدومة، موحشة لفقد قطانها، باكية بلسان الحال على سكانها.عظام العظام بالية تسفي عليها الرياح السافية. فهل نرى لهم من باقية..."[2].

1 – القلقشندي : **مآثر الأنافة في معالم الخلافة** ،تحقيق عبد الستار احمد فراج،عالم الكتب ، بيروت د ت ، ج 02 ، ص92

2 – الكازروني:**مقامة في قواعد بغداد في الدولة العباسية**،تحقيق كوركيس عواد ، مطبعة الرشاد بغداد1962 ، ص 15

أما صاحب مراصد الاطلاع فيذكر أن المغول قد خرب بغداد بعد أن كانت سيدة البلاد "...بغداد كانت أم الدنيا وسيدة البلاد ، جاء التتر إليها فخرب أكثرها و قتلوا أهلها كلهم، فلم يبق منهم غير آحاد ..."[1]

و تذكر بعض المصادر أن الحضارة الإسلامية لم تتعرض إلى تخريب مثل الذي و قع عليها من قبل المغول، فقد تحولت الكثير من المعالم الإسلامية إلى مجرد أكوام من الخراب نتيجة قسوة المغول ووحشيتهم التي تتنافى مع جميع الأديان، في حين ترى مصادر أخرى أن عبارات التخريب التي أوردها المؤرخون عما جرى للمدينة أيام الغزو المغولي مبالغ فيها لان معالم المدينة الرئيسية للمدينة كقصور الخلفاء و المدارس و الأسواق و غالب المحلات بقيت دون أن يصيبها غير تخريب محدود أمكن إصلاحه في وقت قصير.

ومما يدعم هذا الطرح هو موقف هولاكو من المدينة فقد كان ينوي حرقها وتدميرها، و لكنه نُصح بالإبقاء عليها لأنها ستكون مركزا لحكمه، لذلك أبقى على ما بقي منها من بناء، بل وأمر بإعادة ترميم بعض بنياتها.

و يبدو أن التخريب الذي طال بغداد و المناطق الأخرى لم يكن من مخلفات الغزو المغولي فقط ، فبغداد كانت خربة قبل أن يفد إليها جيش هولاكو ، إذ أنها تعرضت في أيام الخلافة الأخيرة إلى جملة ثورات من نهر دجلة كان أخرها فيضان 653هـ/1255م الذي هدم أكثر من اثني عشر ألف دار ، و تهدمت الجوامع و المساجد و الكثير من الربط وكان ارتفاع الماء في المدرسة النظامية أكثر من أربعة اذرع[2].

---

1 - صفي الدين عبد المؤمن البغدادي : **المصدر السابق،** ص209.

2 - ابن الفوطي : ا **المصدر السابق** ، ص220.

و عليه فان الكوارث المدمرة التي حلت ببغداد قبيل الغزو المغولي جلبت إلى العمران الكثير من التخريب و التدمير من تهديم المدارس والمشاهد و المساجد و المحلات إلى تهديم الدور و المنازل ، لذلك من الضروري علينا و نحن ندرس تأثير الغزو المغولي على مختلف المنشآت العلمية أن نأخذ بعين الاعتبار وضعها الذي كانت عليه قبل الفترة محل الدراسة.

أولا: على المؤسسات العلمية:

1- المدارس :

كانت بغداد تعج بالمدارس في نهاية القرن السادس هجري/الثاني عشر ميلادي حيث يذكر ابن جبير في رحلته: "...و المدارس بها نحو الثلاثين ، وهي كلها بالشرقية ، وما منها مدرسة إلا و هي يقصر القصر البديع عنه ، و أعظمها و أشهرها النظامية..."[1] . وتعددت دوافع و أسباب إنشاء هذه المدارس بين ما هو ديني و سياسي و ثقافي و حتى شخصي.

وقد تضررت مدارس بغداد بالنكبة التي حلت ببغداد و تعرض بعضها إلى التخريب[2] و البعض الآخر أغلقت أبوابه ، و لم يبق منها سوى العدد القليل ، و من بين المدارس التي كانت عرضة للتخريب مدرسة المخرمي و هي من مدارس بغداد الحنبلية ،بناها القاضي أبو سعد المبارك المخرمي[3] قاضي باب الازج (ت513هـ/1119م) درس بها الفقيه الشهير الشيخ عبد القادر بن أبي صالح الجيلي تلميذه ووسعها فعرفت به[4] ،كما درس بها ابن القدوة و هو من كبار فقهاء الحنابلة والشيء

1- ابن جبير:**المصدر السابق** ، ص 205

2 - الصياد : **المرجع السابق،** ص 264

3 - المخرمي نسبة إلى مخرم محلة بالجانب الشرقي من بغداد. المبارك بن علي بن الحسين بن بندار البغدادي المخرمي الفقيه القاضي (446-513هـ) ، أفتى و درس ثم ناب في القضاء وبنى مدرسة بباب الأزج ولأبي سعد المخرمي مع ابن عقيل مناظرة في مسألة بيع الوقف- عبد الرحمان بن أحمد ابن رجب: **الذيل على طبقات الحنابلة** تحقيق عبد الرحمان بن سليمان ،مكتبة العبيكان ، الرياض ،2005،ج01 ،ص ص362-366 ، الذهبي:**سير أعلام النبلاء** ،ج 19 ،ص428

4 - الذهبي: **تاريخ الإسلام** ،ج 35، ص 359

نفسه تعرضت له مكتبة المدرسة.ومن المصادفات انه أثناء تخريب هذه المدرسة أن احد طلبتها انتشل من نهر دجلة كتابا (المفردات في غريب القران) ألقى به المغول في النهر لإتلافه و أعاده إلى مكتبة المدرسة كشاهد إثبات على هذه الجريمة[1]. وخربت المدرسة التاجية[2] على أيدي المغول الغزاة ، وانقطع ذكرها و انتهت أخبارها ، و مدرسة بنفشا[3] و هي من المدارس الضخمة و المشهورة في بغداد.

أما المدرسة المستنصرية فتجمع اغلب المصادر أنها لم تتعرض للتخريب و إنما توقفت بها الدراسة لمدة يسيرة لم تزد عن السنتين ، و قد ذكر ابن الفوطي وهو مؤرخ معاصر للغزو المغولي و احد الذين تعرضوا للأسر من قبل المغول أن التدريس استؤنف في المستنصرية سنة 657هـ/1259م بعد أن انقطع في سنة 656هـ/1258م قال :"...و لما فتحت المستنصرية بعد الواقعة سنة سبع وخمسين.."[4] .و ذكر أيضا أن التدريس قد تعطل في المدرسة النظامية[5] بعد واقعة بغداد ثم

1 – ميعاد شرف الدين الكيلاني : **مدارس بغداد القديمة** ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص ص 19-22

2 – بناها تاج الملك أبو الغنائم مستوفى مملكة السلطان ملكشاه و أوقفها سنة (482 هـ/1089م) على أتباع المذهب الشافعي ، وتقع هذه المدرسة بباب أبرز من بغداد عند قبر الشيخ أبي إسحاق الشيرازي و قد درس بها أبوبكر محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر الشاشي. ابن الأثير: **المصدر السابق** ،ج 08 ،ص 462

3– أنشأت هذه المدرسة السيدة بنفشة (ت598هـ/ 1201م)،زوجة الخليفة المستضيء،وسلمت السيدة هذه المدرسة إلى ابن الجوزي سنة 570هـ/1174م، حيث تولى التدريس والوعظ بها في شعبان سنة 570هـ/1175م وجعلتها خاصة للفقهاء الحنابلة وعرفت السيدة بنفشة بصلاحها و حبها للخير و إنشاء المؤسسات الخيرية ،وقد أوقفت لهذه المدرسة خراج قرية بأكملها لسد نفقاتها العامة و متطلبات المكتبة الملحق بها.ابن الجوزي : **المنتظم** ، ج18 ، ص 21.

4 – ابن الفوطي: **تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب**،تحقيق مصطفى جواد ، المطبعة الهاشمية ،دمشق 1963،ج 04 ،القسم 3 ،ص 819

5 – أول مدرسة نظامية في العالم الإسلامي بناها نظام الملك وزير السلطان السلجوقي ألب أرسلان ببغداد بدء في بنائها عام457هـ/1065م و انتهى في عام459هـ/1067م نالت المدرسة النظامية صيتا ذائعا في كل أنحاء العالم الإسلامي ، و تولى فيها التدريس أكابر العلماء الذين كان لهم دورا في تطوير الحركة العلمية بما خرجوا من طلبة نجباء كان للنظامية فضل كبير على تكوينهم الفكري ، و علو منزلتهم العلمية ، و بما تركوا من مؤلفات نفيسة. حسين أمين :**المدارس الإسلامية في العصر العباسي** ،مجلة بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية ،ص ص:103-111

استؤنفت الدراسة فيها عندما استدعي أبو العز عز الدين محمد بن عبد الله ابن جعفر البصري[1] من البصرة ودرس بها[2].

أما في الموصل فقد ترك الغزو المغولي تأثيرات سلبية بالغة على المؤسسات التعليمية نتيجة إصرار سكانها على الصمود في وجه الغزاة المغول لأكثر من تسعة أشهر قدموا خلالها تضحيات كبيرة انتهت باحتلال المدينة و تهديم أسوارها و قتل الكثير من أبنائها و فعلوا بالمدينة كما فعلوا ببغداد .

و عرف النشاط العلمي بالموصل تراجعا كبيرا بعد الغزو المغولي حيث تناقصت إعداد المدارس من 28 مدرسة في النصف الأول من القرن السابع هجري زمن بدر الدين لؤلؤ إلى أربع مدارس فحسب، و هي المدرسة النظامية[3] ، و النورية[4] ،ومدرسة الجامع النوري[5]، و المدرسة البدرية[6] ، ويبدو ويبدو أنها كانت مدارس كبيرة فقد وصفها ابن جبير في رحلته بقوله : "كأنها القصور المشرفة "[7].

وطبيعي أن يؤدي هذا النقص في المدارس والمؤسسات العلمية الأخرى في الموصل إلى انخفاض الإنتاج العلمي بنسبة كبيرة قياسا على ما كانت عليه في الفترة السابقة للغزو المغولي وخاصة عهد بدر الدين لؤلؤ، و يرتبط ذلك بلا شك بالواقع السيء الذي عاشت الموصل فيه تحت وطأة الغزو

1 – عز الدين محمد بن عبد الله بن ابي السعود بن جعفر البصري القاضي كان فاضلا فصيح العبارة ، عارفا بالمذهب و الأصول و الخلاف و كان متبحرا في علم التفسير، صاحب التصانيف. الذهبي : **تاريخ الاسلام** ، ج 50 ، ص 108

2 – ابن الفوطي : **المصدر السابق** ، ض 266

3 –بناها نظام الملك الوزير السلجوقي للقاضي ابي بكر محمد بي علي بن الحسن الخالدي المعروف بالسديد ، درس بها العديد من أئمة الشافعية ككمال الدين الشهرزوري . السبكي : **المصدر السابق** ، ج 06 ، ص 185

4 – بناها نور الدين آرسلان شاه الأول بن عز الدين مسعود و فد أشاد به ابن الأثير و ذكر أن من أحسن أعماله المدرسة التي بناها بباطن الموصل ، و هي من أحسن المدارس ،ووقف عليها وقوف كثيرة. ابن الاثير: **التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية**،دار الكتب الحديثة ،القاهرة ،د ت ، ص197

5 – مدرسة بجانب الجامع النوري الذي بناه نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي ،وجعل الهدف من إنشائها تدريس ودعم المذهب الشافعي ، تعطلت الدراسة بها لسنين بسبب الاحتلال المغولي . أبي شامة : **أخبار الدولتين النورية و الصلاحية** ،مؤسسة الرسالة ،بيروت 1997 ، ج 01،ص 45.

6 – شيدت هذه المدرسة على أنقاض مسجد بناه الحمدانيون في عهد بدر الدين لؤلؤ ،و نسبت إليه ، لم تحدد سنة بناءها ، حظيت بأهمية خاصة من طرف بدر الدين لؤلؤ حيث نشطت به الحركة العلمية ، دفن لها سنة 657هـ/1259م، ابن الفوطي : **المصدر نفسه**، ص 242

7 – ابن جبير : **المصدر السابق** ، ص211.

المغولي ،من حصار للمدينة ثم استباحتها بعد الغزو، وصولا إلى الإدارة المتسلطة التي أشرفت على شؤونه فيما بعد ، و هو ما أدى إلى فقدان الكثير من رجال العلم الذين قتلوا على يد المغول ، كما أن شخصيات علمية أخرى كثيرة هاجرت و فرت من الموصل بعد فشل ثورتها ضد المغول ، و هناك حتى من ترك المدينة مع بروز تهديدات المغول للمدينة[1].

و لم تسلم مدن أخرى في العراق من همجية المغول فعندما وصلت قوات الاحتلال المغولي إلى واسط في السابع عشر من صفر عام 656هـ/ 1258م، قاوم أهلها القوات المغولية مقاومة شديدة مما جعل قائدها بوقا تيمور يشن هجوماً واسعاً عليها و يستولى على المدينة ويشرع في القتل والنهب والتخريب ، و تذكر المصادر أن المدارس بها تعرضت للتخريب منها المدرسة الشرابية أو الشرقية التي أمر بتأسيسها إقبال الشرابي و افتتحت سنة 632هـ/1234م بالجانب الشرقي من واسط على دجلة و عمر إلى جانبها جامعا[2]، ويؤكد ذلك أن الفقيه الشافعي عماد الدين المرندي رتبه شرف الدين إقبال الشرابي مدرسا بهذه المدرسة سنة 648هـ/1250م ، لكن بعد واقعة بغداد عندما فتحت المدرسة المستنصرية سنة 657هـ/1259م رتب مدرسا بها[3]. وهو ما يعني ضمنيا أن المدرسة المدرسة الشرابية بواسط لم يعد لها نشاط.

بالمقابل لم يتعرض المحتل المغولي للمؤسسات العلمية بمدن أخرى بالعراق مثل ماردين وبالأخص المدارس ،و استمرت الدراسة بها و يرجع ذلك إلى ملكها المظفر بن السعيد نجم الدين غازي الذي كان قد استسلم للمغول بموجب معاهدة تضمنت عدم التعرض للمدينة بأي اعتداء سنة 659هـ/1261م ، و قد نفذ المغول ذلك[4]. و أيضا مدن الكوفة و الحلة و كانتا مركزين للعلم

1 – علاء الدين محمود قداوي: **المرجع السابق** ، ص98.

2 – ابن الفوطي: **المصدر السابق** ، ص 74.

3 – ابن الفوطي : **تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب** ، ج 04 ، القسم 02 ، ص ص 818-819 .

4 – عزالدين بن محمد ابن شداد : **المصدر السابق** ،ج03، ق 01 ،ص139. الهمذاني : **المصدر السابق**، ج01 ، ص ص 324-326 .أنظر أيضا الفصل الثاني ص46.

آنذاك حيث استجاب هولاكو لطلب أكابر علماءها وفقهاءها بحقن دمائهم و تعيين شحنة لهم ، وأنهم قابلوا قائد القوات المغولية بغا تيمور بالترحاب و أقاموا على الفرات جسرا عبر عليه هو و من معه إلى بلدهم ،و هو ما جنب المدينتين التخريب و الدمار الذي لحق بالمدن الأخرى، و حافظت على ما كان متواجدا بها من مؤسسات تعليمية[1].

وقد اقتنص هذا القائد هذه الفرصة ليخضع جنوب العراق لسلطان المغول فسار إلى واسط و فتحها بالقوة و قتل الكثيرين من أهلها و دمر الكثير من منشآتها العمرانية و مراكزها العلمية ، وبعد ذلك استولى على البصرة و غيرها من البلاد.

2– الرُبط[2]:

لم تسلم المؤسسات الأخرى المخصصة للتعليم من همجية المغول القائمة على السلب والنهب والحرق و التدمير ومنها الرُبط التي تعد من أهم مراكز الصوفية ، إذ يمارس فيها التصوف سلوكا كمهمة أساسية إضافة إلى قيامها بدور التعليم ؛حيث شاركت في تعليم العلوم الشرعية ، و هذا لأنها كانت توفر أسباب الراحة و العيش للصوفية حتى يتفرغوا للعبادة و طلب العلم بعيدا عن مشاغل الحياة .

و يذكر ابن الفوطي أن الربط تعطلت "و تعطلت المساجد و الربط و المدارس"[3]، و قال أيضا :"..لما أنفذ الله قضاءه و قدره ، و قتل الخليفة ، و خربت بغداد ، و احرق الجامع ، و عطلت بيوت

1 – مصطفى طه بدر: **المرجع السابق** ص 186

2 – الربط : أماكن اتخذت ملجأ للفقراء ، و إيواء النساك و الزهاد ، و مكانا للتدريس و تعليم الناس القران و الحديث و اللغة و أمور الدين .ناجي معروف : **مدارس واسط** ، مطبعة الإرشاد ، بغداد 1966، ص21

3 – ابن الفوطي: **المصدر السابق** ، ص 236

العبادات ، تداركهم الله بلطفهم ، فأتاح لهم عناية (عماد الدين) فقدمها و عمر المساجد و المدارس و رمم المشاهد و الربط.."[1] .

لقد تعطلت ثم رممت و في هذا إثبات لما تعرضت له هذه المؤسسات على يد المغول،و تعرضت ترب الرصافة في بغداد إلى نبش من طرف المغول ، وأحرقوها ، وأبرزت العظام و الرؤوس ، وهذا ما عبر عنه الشاعر شمس الدين الكوفي الواعظ حين كتب على بعض الحيطان:

إن ترد عبرة فتلك بنو العبـــ ـــاس حلت عليهم الآفـــات

استبيح الحريم إذ قتل الأحيـــ ـــاء منهم و أحرق الأموات[2]

ويصور ظهير الدين الكازروني النشاط العلمي الذي كانت تزخر به ترب الرصافة قبل الغزو المغولي لبغداد ، فيقول في مقامته واصفاً مواسم تلك المدينة: " ومنها موسم الترب ، وإليها المنقلب ، فيركب الوزير في أرباب الدولة والأمراء والصدور والكبراء في موكب مُشَهَّر إلى الرصافة، وهي مدفن ولاة الخلافة ، فيجتمعون بها للقراءة والدعاء ، وإهداء الثواب للخلفاء ، كذلك أياماً يشرق فيها ويغرب ، وقراء المواكب تشوق وتطرب ، فإذا كان الليل اجتمع المتصوفة والفقهاء، وأوقدت الشموع ، وقرأ القراء، وشرع الوعاظ في الكلام والإحياء إلى آخر الظلام..."[3]

و الواقع أن هذا الحكم لا يصدق على كل الأربطة فهناك منها من كان لها دور في ازدهار النشاط العلمي ببغداد و تأثرت بالغزو المغولي ، و هناك في المقابل من كان أصلا نشاطها العلمي ضعيف وغلبت عليها المظاهر السلبية و لم تكن عرضة لهجمات المغول[4].و سنرى من خلال هذه الدراسة كيف ستعلو مكانة التيار الصوفي بعد اجتياح المغول للعراق و إسقاطه للخلافة لان هذا الحدث

---

1 – ابن الفوطي : **تلخيص مجمع الآداب** ، ج 04 ص 801

2– ابن الفوطي : **الحوادث**، ص 240

3 – الكازروني : **مقامة في قواعد بغداد في الدولة العباسية**، ص26

4 – خالد علال كبير: **الحركة الحنبلية في المشرق الإسلامي** ، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي ، جامعة الجزائر 2003،ص 269

تسبب في تراجع النظام السني في ظل النظام الجديد ، و خلو الساحة الدينية من أي منافس قوي أمام التيار الصوفي .

ثانيا: على المكتبات

بعد سقوط عاصمة الخلافة العباسية بغداد، استهدفت مكتبة بغداد العظيمة مرة أخرى بعد الحرق الذي كان قد وقع في اغلبها في منتصف القرن الخامس هجري /الحادي عشر ميلادي حين هاجم البساسيري[1] بغداد سنة 451هـ/1060م مستغلا ضعف الخلافة، وهى أعظم مكتبة على وجه الأرض في ذلك الزمان، وهى الدار التي كانت تحوى عصارة فكر المسلمين لأكثر من ستمائة عام، جمعت فيها كل العلوم والآداب والفنون وعلوم شرعية كتفسير القرآن و الحديث والفقه والعقيدة، والأخلاق ومن العلوم الأخرى الطب والفلك والهندسة والكيمياء والفيزياء والجغرافيا، حتى جاء الغزو المغولي وحملوا ملايين الكتب القيمة وألقوا بها جميعا في نهر دجلة وألقى المغول بمجهود القرون الماضية في النهر، كما ابتلعت أمواج دجلة العدد الكبير منها حتى قيل أن لون مائه قد تحول إلى الأسود من أثر مداد الكتب، و قيل أيضا أن الفارس المغولي كان يعبر فوق المجلدات الضخمة من ضفة إلى ضفة أخرى، و القليل الذي حفظ بعد الوقعة، و هو ما بيع لأهل الحلة والكوفة و السيب[2] الذين كانوا يجلبون الأطعمة إلى بغداد و يبتاعون بأثمانها الكتب النفيسة بأوهى قيمة[3].

قال ابن خلدون في حديثه عن غزو المغول للعراق:"استولوا على قصور الخلفاء وذخائرها على ما لا يبلغه الوصف، و لا يحصره الضبط والعد وأُلقيت كتب العلم التي كانت بخزائنهم جميعاً في

1 – أبو الحارث أرسلان المظفر البساسيري مقدم تركي و قائد حامية بغداد أيام حكم البويهيين الأخير للعراق ،كان وزير القائم بأمر الله .وكان لنفوذه و استقلاليته و دعمه للمجموعات الشيعية في بغداد أن ولد استياء لدى الخليفة و الوزير الأول فأرسل هؤلاء إلى السلطان طغرلبك يطلبون منه التوجه إلى بغداد لتحريرها .ابن الأثير: **المصدر السابق** ،ج 08 ،ص 347 ،ابن خلكان : **المصدر السابق** ، ج 01 ،ص 192

2 – هي كورة من سواد الكوفة و هما سيبان الأعلى و الأسفل ، ياقوت الحموي: **المصدر السابق** ، ج 03، ص 273

3 – ابن الفوطي : **الحوادث** ، ص 237

دجلة،وكانت شيئاً لايعبر عنه..." [1] و أعاد ابن خلدون قوله في موطن أخر من تاريخه و زاد عليه " أنهم رموها في دجلة مقابلة بزعمهم لما فعله المسلمون بكتب الفرس عند فتح المدائن ..."[2]. وقال ابن الساعي : " يقال إن المغول بنوا إسطبلات الخيول وطاولات المعالف بكتب العلماء عوضًا عن اللبن"[3]، أما القلقشندي فيذكر:".. أنّ أعظم خزائن الكتب في الإسلام ثلاث خزائن، إحداها خزانة الخلفاء العباسيين ببغداد، كان فيها من الكتب ما لا يُحصى كثرة ولا يقوم عليها نفاسة، ولم تزل على ذلك إلى أن دهمت التتار بغداد، وقتل ملكهم هولاكو المستعصم آخر خلفائهم ببغداد، فذهبت خزانة الكتب فيما ذهب، وذهبت معالمها وأعفيت آثارها "[4] ونفس الشيء قاله ابن تغري بردي عن كتب بغداد:"... خربت بغداد الخراب العظيم، وأُحرِقت كتب العلم التي كانت بها من سائر العلوم والفنون التي ما كانت في الدنيا قيل: إنّهم بنوا بها جسراً من الطين والماء عوضاً عن الآجُر، وقيل غير ذلك.."[5]

وتبدو الصورة التي نقلتها هذه المصادر مهولة وصادمة و فيها الكثير من المبالغة تحتاج إلى مناقشة ذلك أن البحث يكشف أن المؤرخين أنفسهم ليسوا على يقين بما جرى لتلك المكتبة وكتبها، ولذا اختلفت رواياتهم، وتناقضت فالمغول فعلا أغرقوا العديد من الكتب، لكن ليس بهذه الصورة المهولة التي نقلها لنا المؤرخون، فهناك زاوية أخرى لم يسلط عليها الضوء بما يكفى، وتجاهلها المؤرخون؛ وهي أن المغول كما هو معروف عنهم احتلوا فارس من قبل ودمشق من بعد وتوجهوا إلى مصر ولم يقوموا بحرق مكتباتها كما جرى في بغداد ألا توجد مكتبات كبيرة في فارس ودمشق؟ هل هناك مكتبات تستحق الحرق والغرق وأخرى لا تستحق؟ الأمر الأخر هو ما ذكرته مصادر أخرى

1 – ابن خلدون : **المصدر السابق** ، ج 05، ص 613.
2 – ابن خلدون :**الخبر عن دولة التتر**، دراسة و تحقيق احمد عمراني،دار الفارابي لبنان، 2013، ص 265.
3 – ابن الساعي : **مختصر تاريخ الخلفاء** ، المطبعة الاميرية بولاق ، مصر ،د ت ،ص 127.
4- القلقشندي : **صبح الأعشى** ، ج 01 ، ص 466.
5 – ابن تغري بردي: **المصدر السابق** ، ج 07 ، ص 48.

قريبة جدا من واقعة بغداد فشيخ الإسلام ابن تيمية (661-728هـ/1263-1328م) مثلا وهو شاهد عيان على الغزو المغولي وأحد أكبر المحرضين على مقاومته، يذكر أن الطوسي كان قد استولى على معظم المخطوطات العراقية ونقلها معه إلى طوس:"... لما استولى التتار على بغداد، وكان الطوسي منجّماً لهولاكو، استولى على كتب الناس والوقف والملك، فكان كتب الإسلام مثل التفسير والحديث والفقه والرقائق يعدمها، وأخذ كتب الطب والنجوم والفلسفة والعربية، فهذه عنده هي الكتب المعظمة..."[1]،ويؤكد ماذهب إليه شيخ الإسلام المؤرخ الصفدي في ترجمة نصير الدين الطوسي بقوله"... فابتنى نصير الدين الطوسي بمدينة مراغة[2] قبة ورصدًا عظيمًا واتّخذ في ذلك خزانة عظيمة فسيحة الأرجاء، وملأها من الكتب التي نهبت من بغداد والشام والجزيرة، حتى تجمع فيها زيادة على أربع مائة ألف مجلد.."[3].

أما صاحب الحوادث فأشار إلى ذلك أيضا :"...و جمع (نصر الدين الطوسي)من العراق كتبا كثيرة لأجل الرصد"[4]، و ذكر ابن كثير ضمن أحداث سنة 657هـ/1259م أن : الخواجة نصر الدين الطوسي عمل الرصد بمراغة و نقل إليه شيئا كثيرا من كتب الأوقاف التي كانت ببغداد "[5]، وقال ضمن أحداث سنة662م /1264م أن المشار إليه :" قدم...إلى بغداد من جهة هولاكو فنظر في الأوقاف و أحوال البلد ، واخذ كتبا كثيرة من سائر المدارس ، و حولها إلى رصده الذي بناه في مراغة" [6] .

1 - ابن تيمية: **المصدر السابق**، ج 13 ، ص 207

2 - بلدة مشهورة من اعظم بلاد أذربيجان تقع على مسافة سبعين ميلا جنوب تبريز ، و هي مدينة محصنة و ذات قلاع، عسكر فيها مروان بن محمد بن مروان ، و كانت دوابه و دواب أصحابه تتمرغ فيها فسميت مراغة .ياقوت الحموي : **المصدر السابق** ،ج 05، ص 93

3 - الصفدي : **المصدر السابق** ، ج01 ، ص 179

4- ابن الفوطي : **الحوادث الجامعة** ، ص 252

5 - ابن كثير : **المصدر السابق** ، ج 17، ص 387

6 - ابن كثير : **المصدر نفسه**، ج17،ص 454

إذن معظم الكتب أخذت من بغداد ونقلت إلى طوس بإشراف الشيخ الطوسي نفسه، وإذا علمنا أن بيت الحكمة كان يحوي (300000) كتابا، وان ما سرقه الطوسي أكثر من (400000) كتابا، فهذا العدد يقدم تصورا شاملا عن حجم الكتب المسروقة من مكتبات العراق الأخرى.

الخلاصة أن معظم كتب العراق سرقت خلال الغزو المغولي، ونقلت إلى مراغة ، وما يتعلق بالعلوم الدينية منها أحرق أو أغرق وكلاهما تم بإشراف نصير الدين الطوسي، فلا ماء دجلة تحول إلى ازرق أو أسود ولا غيرها من الافتراءات التي يراد منها طمس الحقيقة، وإخفاء دلائل الجريمة، مثلما حاول البعض أن يبرأ ابن العلقمي وزير هولاكو من خيانة الخليفة العباسي والتمهيد لاحتلال المغول بغداد.

أما الدراسات الحديثة فأسلوب مؤرخيها في وصف حادثة استيلاء المغول على بغداد وموقفهم من مكتباتها كان اعنف ،فهذا كوركيس عواد يقول:"...و لقد انحل أمر هذه الخزائن بانحلال الخلافة ، و تبعثرت كتبها ؛ و لاشك أن مجيء المغول إلى بغداد كان من اشد الضربات عليها ، فبعضها نُقل، وبعضها أغرق"[1].

في حين كان وصف مؤرخ أخر مشوبا بأقصى عواطف البغض للمغول حين يذكر:"...تمادى هولاكو حفيد جنكيز خان التتري في العسف و التخريب و التدمير أثناء زحفه إلى بغداد ،فلم يُبق فيها أثرا للمخطوطات القديمة ، و الذخائر الثمينة التي كانت مكنوزة منذ قرون في قصور الخلفاء ، وبيوتات الأمراء ، و اقترف مثل تلك الفظائع في دار الحكمة ..و في غيرها من خزائن الكتب العامة والخاصة ، فألقى بعضها في نهر دجلة، فسد مجراه، و جاز الناس على الكتب من الجانب إلى جانب

1 – كوركيس عواد: **خزائن الكتب القديمة في العراق** ، مطبعة المعارف بغداد، 1948، ص102

كأنها جسر معقود ، و بعضها الأخر استنفد عزم النار الآكلة مدة غير قصيرة من الزمن حتى قضت قضاءها فيه" [1]

ومما لا شك فيه أن التدمير الذي أصاب الكتب في بغداد أو انتهى بها في أثناء الغزو المغولي إنما أريد به تدمير خزائن كتب الخلفاء .أما خزائن المساجد والمدارس نجد إنها لم تتأثر كثيراً في العهد المغولي بدليل وجود دور الكتب في اغلب المدارس التي استأنفت الدراسة فيها بعد الغزو المغولي لبغداد كخزانة الكتب في المستنصرية والنظامية و البشيرية ومدرسة مشهد أبي حنيفة.

فقد فوض نصر الدين الطوسي أمر خزائن الكتب ببغداد إلى موفق الدين بن أبي الحديد وأخيه عز الدين وان جل ما أصاب هذه الخزائن من تدمير وتخريب إنما كان في عهد تيمور لنك الذي خرب بغداد من بعد مرتين في سنة 795 -803هـ /1392-1400 م أي بعد هولاكو بنحو قرن ونصف القرن.

ثالثا: خراب العمران

اجتاح الغزو المغولي في زحفهم الذي بدأ سنة 617هـ/1220م كثيرا من المدن الإسلامية الكبرى في شرق العالم الإسلامي، وأعملوا فيها أسباب التخريب والتدمير، وكان لما فعلوه فيها صدى عميق من الحزن في نفوس المسلمين، وقد وصف البعض أثر هذا الغزو على المدن الإسلامية فقال: "جاءوا وخربوا، وحرقوا وقتلوا، وسلبوا وذهبوا"[2]

قام المغول خلال غزوهم هذا بتدمير الشجر والحجر والبشر في المناطق التي احتلوها من العالم الإسلامي، وقد دمروا المدن واحدة تلو الأخرى، فلما دخلوا إلى بخارى أمروا أهلها بالخروج من البلد،

1 - فيليب دي طرازي : **خزائن الكتب العربية** ، وزارة التربية الوطنية و الفنون الجميلة ، لبنان 1947، ص 107

2 - بشار عواد معروف : **الغزو المغولي كما صوره ياقوت الحموي**، مجلة الأقلام ، السنة الأولى ربيع الثاني 1385هـ، ج 12 ، ص52

فخرجوا مجردين من أموالهم، ليس مع أحد منهم غير ثيابه التي عليه، ودخل الكفار البلد و عاثوا فيه تدميرا و فسادا فنهبوه، وقتلوا من وجدوا فيه،ثم سقطت قلعة المدينة بعد أن صمدت اثني عشر يوما ثم احرقوا المدينة [1]. "...ثم ألقت التتار النار في دور بخارى و مدارسها و مساجدها ، فاحترقت حتى صارت بلا قع خاوية على عروشها"[2].

أما في سمرقند فان المغول لما دخلوها سنة 617هـ/1220م ارتكبوا من القتل والسبي والفساد، ونهبوا ما في البلد و احرقوا الجامع، وقد عاب المغول عدة أشياء منها الغلظة و الوحشة ،و في حروبهم لم يبقوا على أحد بل قتلوا النساء و الرجال و الأطفال وشقوا بطون الحوامل و قتلوا الأجنة[3].

لقد مال معظم المغول في سياستهم الحربية إلى القتل والتدمير والخراب والشراسة والقوة والعنف وعدم الوفاء بالعهود التي يقطعونها على أنفسهم، وعاش بعضهم على قطع الطريق والسلب والنهب فلم يكن لديهم قيم روحية أو أخلاقية رفيعة فعرف عنهم سوء أخلاقهم وافتراسهم لكل شيء غير مبالين ولا مقدرين للآخرين[4].

ويصف المؤرخ الغربي توماس أرنولد الهمجية المغولية قائل: "...لا يعرف، الإسلام من بينما نزلت به من الخطوب والويلات خطبًا أشد هولًا من غزوات المغول، فقد انسابت جيوش جنكيز خان انسياب الثلوج من قنن الجبال، واكتسحت في طريقها المراكز الإسلامية، فأتت على كل ما كان من

1 - ابن ابي الحديد المدائني: **حملات الغزو المغولي للشرق، فصل من "شرح نهج البلاغة"**،دار لامارتون باريس 1995، ص33، أحمد حطيط : **حروب المغول**،دار الفكر اللبناني،بيروت 1999،ص33.

2 - ابن كثير : **المصدر السابق** ، ج 17 ، ص 80.

3 - ابن الاثير: **المصدر السابق** ،ج 10، ص399.

4 - محمد ماهر حمادة: **وثائق الحروب الصليبية و الغزو المغولي**، بيروت 1977، ص65.

مدنية وثقافة فتركوا تاركين وراءهم تلك البلاد صحروات خالية وأطلالًا دارسة، وكانت تقوم فيها قبل ذلك القصور الملكية الفخمة المحاطة بالحدائق الغناء والمروج الخضراء.."[1].

وعندما درات رحى الحرب بين المسلمين والمغول أكثر المغول من التنكيل بالمسلمين ووضعهم أحيانا في الخنادق لردمها، وقتلوا أهل المدن جميعا و لم يبقوا منهم إلا القليل وأذاقوا الأسرى اشد أنواع العذاب و دمروا المدن و المساجد و المدارس ما عجزوا عن تخريبه احرقوه ، وأكثر ما كانوا يحرقون المساجد و الجوامع[2] و لم تأخذهم رحمة مع الأطفال و النساء و الشيوخ، فهم بذلك قد افتقدوا أخلاق الفرسان و أصبحوا مجرمي حرب[3]. لقد استخدم المغول نفس أساليبهم في كل المدن التي احتلوها سواء سَلَّم أهلها سلماً أو دخلها المغول عنوة من قتل و تدمير و عدم الإبقاء على أي شيء، وقتل حتى الأسرى.

أما في بغداد فكانت الكارثة الكبرى على المسلمين ؛فعند نزولهم بالجانب الشرقي من نهر دجلة ، حاصرها الجيش المغولي من كل ناحية ، و أخذ المغول في دك المدينة بالحجارة و قذائف النار من كل جانب ، و لما لم يبق أحجار حول بغداد حملوا الأحجار من جبال حمرين و جلولاء[4] ، و شرعوا في تخريب المدينة فدمروا عمائرها و أبنيتها و مساجدها و قصورها و –حدائقها التاريخية — التي أقامها الخلفاء العباسيون خلال خمسة قرون ، وقد سجل رشيد الدين أفعالهم في بغداد و هو مؤرخهم فقال:"...اندفع الجنود مرة واحدة إلى بغداد و اخذوا يحرقون الأخضر و اليابس ماعدا قليلا من

---

1 – توماس أرنولد : **الدعوة إلى الإسلام** ،ترجمة حسن إبراهيم حسن مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1970، ص ،ص 248-249

2 – ابن كثير: **المصدر السابق** ،ج 17، ص 88

3 – أحمد مختار العبادي: **المرجع السابق** ،ص 236

4 – طوج من طاسيج السواد في طريق خراسان، وبينها و بين خانقين سبعة فراسيخ ، و هو نهر عظيم يمتد إلى بعقوبا. ياقوت الحموي: **المصدر السابق** ، ج 02 ، ص 156.

منازل الرعاة و بعض الغرباء .. و قد احترق أكثر الأماكن المقدسة مثل جامع الخليفة و مشهد موسى و قبور الخلفاء[1].

وعلى الرغم ما أصاب بغداد من دمار وخراب إلا أن بعض المصادر التاريخية لا تكاد تتفق مع هذه الرواية ذلك أن بغداد في نظرهم كانت تعاني من خراب العمران بالإضافة إلى الفوضى السياسية والإهمال الاقتصادي قبل دخول المغول إليها، ولم يكن دخول المغول إلا عاملا من جملة العوامل التي زادت من حالات الخراب و الدمار التي حلت بعاصمة الخلافة.

و يدعم هذه الرأي ابن الفوطي صاحب كتاب الحوادث الجامعة حيث وضع عنوانا خاصا لسنة 654هـ/1256م سماه "غرق بغداد" قبل سنتين عن الغزو المغولي ، حيث تعرضت بغداد لفيضان مدمر بسبب زيادة منسوب مياه نهر دجلة زيادة عظيمة تسببت في هدم الكثير من معالم المدينة ،زيادة على كوارث أخرى حلت بعاصمة الخلافة كالزلازل جلبت الدمار و التخريب إلى الكثير من عمران المدينة وخططها العمرانية من تهديم الدور إلى تهديم المدارس و المشاهد و المساجد. وهو تأكيد أن بغداد كانت تعاني من الدمار قبل الغزو المغولي[2].

ويؤكد ذلك ابن بطوطة في زيارته لبغداد عام 727 هـ/1329 م، وقد أورد أن الجانب الغربي من بغداد أثناء زيارته " هو الآن خراب أكثره"، أما الجهة الشرقية من بغداد فيذكر" :حافلة الأسواق عظيمة الترتيب، ويتحدث عن المدرسة النظامية والمستنصرية التي بقيت كما هي.."[3]

إن التمييز بين عصر وفعل جنكيز خان وعصر وفعل هولاكو ضروري، فجنكيز خان عُرف بالبطش وبالتخريب والتدمير والحرق لما كان يقع تحت يديه من مدن وضياع المسلمين وغير المسلمين،

1 – الهمذاني: **المصدر السابق** ، ج 01 ، ص ص 292-293.

2- ابن الفوطي : **المصدر السابق** ، ص 227

3 – ابن بطوطة : **المصدر السابق** ، ص135.

أما هولاكو فلا توجد روايات تؤكد بأنه كان على نفس طباع جده، أو استخدم نفس الأسلوب في اقتحامه للمدن الإسلامية وإن فعل ما فعل بجزء من بغداد، بل نجده يتواصل مع الحكام المسلمين ويقف العديد منهم معه إما خوفًا منه أو تقربًا وطمعًا في جاه أو سلطان، لذلك كان جيش هولاكو حول بغداد خليطًا من مغول ومسلمين من مدن كالموصل مثلاً. وهو على ما يدل أن الأرض كانت خصبة للمغول هذه المرة المدعومين من حكام المنطقة ضد الخلافة العباسية الضعيفة والمهترئة، وإن علاقة المغول بالسلطات المحلية كانت جيدة مما ساهم بانتصارهم الساحق هذا.

ومهما يكن فان دخول المغول في النهاية إلى بغداد رافقه شيء من الدمار والخراب بحكم كونه جيشا حاصر المدينة ثم دخل إليها ،وان هولاكو في عنفه وبطشه كان مثل غيره من قادة المغول الذين لا يدخلون بلدا إلا خربوه.

ورغم أن ماحل ببغداد قد يكون مشابها لمدن كثيرة من العالم الإسلامي، إلا أن ما ميز الحزن عليها أنها عاصمة الخلافة الإسلامية، لذلك كثر رثاء الشعراء لها ولأهلها ومن ذلك قول أحد الشعراء:

يا نكبة مانجا من صرفها أحد   من الورى فاستوى المملوك والملك

تمكنت بعد عزّ في أحـــبتنا   يدي الأعادي فما أبقوا ولا تركوا[1]

ويصور شاعر آخر ما حل ببغداد من تدمير و كأن القيامة حلت بها :

إن القيامة في بغداد قد وجدت   وحدها حين للإقبال إدبار[2]

1 – ابن الفوطي : **المصدر السابق** ، ص 239.

2 – الذهبي : **تاريخ الإسلام** ، ج 48، ص 38.

لم يترك المغول بغداد إلا أطلالا يلفها الخراب و تملاها العظام البشرية ، و مع كل هذا التدمير والخراب الذي جلبه هولاكو فقد قيل عنه انه كان واحد من ملوك المغول الذين يحبون العمران[1] ، وان ما أحدثه المغول من حرق و تدمير و تشريد و مذابح جماعية هي من سمات ذلك العصر ،فالطابع الدموي البربري و الكراهية مشاعر تملكت معظم مجتمعات العصور الوسطى ولاسيما المغول و الصليبيين ،واستخدموا القوة و العنف لتحقيق هدفهم التوسعي[2].

رابعا: تراجع حركة التأليف

أدى الغزو المغولي الهمجي للعراق إلى انحسار حركة التأليف عند علماء المسلمين ، في المناطق التي اجتاحها المغول ، وبغداد بشكل خاص بوصفها مركزاً فريدا للعلم و العلماء رغم منافسة المراكز الأخرى لها سواء بإقليم العراق أو خارجه يقول المقدسي في كتابه أحسن التقاسيم عنها :" و بغداد لأهلها الخصائص و الظرافة ، والقرائح و اللطافة ، هواء رقيق ،و علم دقيق ،و كل حسن فيها ،وكل حاذق منها ،وكل قلب إليها ،هي أشهر من أن توصف وأحسن من أن تنعت "[3] . فالعالم و الشاعر و الفقيه لا يظهر اسمه إلا إذا رحل إلى بغداد ؛ إذ أن العلماء بشكل عام كان همهم حينئذ الحصول على ملاذ آمن قبل التفكير في التأليف.

ويرتبط هذا الانحسار بشكل كبير بالواقع السيئ الذي عاش فيه العراق تحت وطأة الغزو المغولي سواء من خلال الإدارة المغولية السيئة اعتبارا من سنة 656هـ/1258م ، أو نتيجة لما سبق من حصار لمدينة بغداد ، ومن استباحة لها بعد استسلام الخليفة المستعصم بالله وفشل جيش الخلافة في الدفاع عن المدينة وطلب الأمان .

1 – يقول د. الصياد" يخطئ من يظن أن المغول كانوا مجرد شعب همجي مغير..." انظر **المغول في التاريخ** للمؤلف ، ص14.

2 – احمد مختار العبادي وإبراهيم محمد علي مرجونة: **المرجع السابق** ، ص 388.

3 – شمس الدين أبي عبد الله محمد المقدسي: **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** ، دار صادر ،بيروت ، د ت ، ص 119.

لقد أدت هذه الحالة إلى فقدان الكثير من رجال العلم و الفكر في المدينة كعز الدين أبو الفضل عبد العزيز بن محمد بن أحمد بن جعفر الناسخ ، وعفيف الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن جعفر يعرف بابن البديع البغدادي تكريتي الأصل الفقيه المجلد و عفيف الدين أبو العز يوسف بن عبد الكريم بن الحسن البغدادي الفقيه يعرف بابن القصاب . و عماد الدين أبو الفوارس طغرل بن عبد الله المستعصي الأمير يعرف بالبقجه دار .وعماد الدين أبو الحسن علي بن عبد الملك بن أبي الغنائم بن بصلا البندنيجي الكاتب الفقيه و غيرهم ممن استشهدوا على يد المغول[1] .

ويكفي القول أن ما ألف في السنوات الأولى للغزو المغولي ببغداد لايساوي ما ألفه بعض العلماء في شتى التخصصات في نهاية القرن السادس هجري/ الثاني عشر ميلادي ،كأبي حامد الغزالي الذي خلف أثاراً علمية خالدة . وقد قيل أنه وضع نحواً من مائتين و ثمان و عشرين مؤلفا أكثرها في الدين و الفلسفة و التصوف و الذي قال فيه ابن خلكان : "ما صنف في الإسلام مثله"[2]، وعبد الرحمن ابن الجوزي الذي ناهزت مؤلفاته ثلاث مئة كتاب في مختلف العلوم على نحو ما قاله الزركلي في الأعلام:" له نحو ثلاث مئة مصنف"[3].

لقد كان المغول من بداية إدارته للعراق حريص على أن يحد من نشاط و حرية العلماء الذين قد يشكلون خطرا على وجوده من خلال مؤلفاتهم التي قد يتضمن بعضها دعوة للنهوض و المقاومة .فالشعر مثلاً تراجع بدرجة كبيرة و أصبحت نُظمه لا تساير الواقع المعيش ، و لم يعد مرآة تعكس ما يعانيه المجتمع من ظلم و قهر من طرف المحتل المغولي.

1- انظر أيضا الملحق رقم :08 (**أسماء بعض العلماء الذين قتلوا على يد المغول في بغداد سنة 656هـ/1258م**)، ص215

2 - ابن خلكان : **المصدر السابق** ، ج04، ص217

3 - الزركلي : **الاعلام** ،ج 03، ص316

ومما زاد من انحسار ظاهرة التأليف هجرة و فرار الكثير من العلماء العراقيين و البغداديين بوجه خاص نحو بلاد الشام ثم مصر بعد نجاح المماليك في قهر المغول في عين جالوت و وقف زحفهم وإعادة بعث الخلافة العباسية هناك حيث أصبحت القاهرة ملاذا لهم نتيجة الأمن و الاستقرار وتشجيع سلاطين المماليك للنشاط العلمي آنذاك[1].

خامسا: انتشار التصوف

برز التيار الصوفي بعد اجتياح المغول لبلدان العالم الإسلامي و إسقاطهم للخلافة الإسلامية بقوة ؛ لأن هذا الحدث تسبب في تراجع النظام السني في ظل نظام الحكم الجديد الطارئ لكون الخلافة العباسية كانت تمثل هذا النظام و ترعاه ، و بنهايته خلت الساحة الدينية من أي منافس قوي أمام التيار الصوفي ، و نتيجة للدمار و الإحباط الذي خلفه الغزو المغولي على المجتمع الإسلامي ، تطلع المسلمون إلى منقذ لحل المشكلات التي افرزها هذا الغزو ، و نظرا لما يمتلكه التيار الصوفي من قدرات كبيرة في حل المشكلات الاجتماعية[2]، تمكن من ملء الفراغ الموجود في الساحة الدينية والاضطلاع بمهمة الحفاظ على وحدة المجتمع و قيمه الروحية التي تصدعت بسبب الغزو المغولي فألقى ضلاله بذلك على مختلف مناحي الحياة و خاصة الحياة العلمية التي اصطبغت بصبغته.

ومعلوم أن التيار الصوفي نال مكانة كبيرة في المجتمع الإسلامي أواخر أيام الحكم العباسي سواء أكان في حقبة السيطرة السلجوقية (447 – 590هـ /1049-1192م) أم الحقبة التي حكم فيها خلفاء بني العباس الأواخر بدءا من الناصر لدين الله (570 – 622هـ/1172-1224م) وانتهاء بالمستعصم (640 - 656هـ/1242-1258م)، وكان تأثيره السلبي واضحاً ،فقد اعتبر هذا التيار في عمومه أن غزو المغول للبلاد الإسلامية قضاء و قدر يجب الرضى به و عدم مدافعته ورده ، وقد

[1] – سيخصص الفصل الخامس من هذا العمل للحديث عن انتعاش النشاط العلمي خارج العراق في مصر و بلاد الشام.

[2] – عمر سليم عبد القادر التل : **متصوفة بغداد في القرن السادس هجري**، دار المأمون للنشر و التوزيع ، عمان 2009،ص ص 244-245

حكى أحد شيوخ الصوفية عفيف الدين يوسف بن إقبال[1] عن نفسه عندما بلغه ما حصل من قتل و نهب و فتك و أسر قال : فأنكرت ذلك بقلبي مردداً مارأه في الكتاب الذي جاءه في المنام :

دع الاعتراض فما الأمر لك   و لا الحكم في حركات الفلك

و لا تسأل الله عن فعله   فمن خاض لجة بحرٍ هلك

واستغفرت الله وهو ما يبين المعتقد الخاطئ لهذا التيار[2] .

واستحوذ التصوف على مكانة كبيرة و عالية على المستويين الشعبي والرسمي فاق بها التيارات الدينية والمذهبية على اختلاف منابعها في مجتمع ما بعد العباسيين، و لم يكتف المغول برعاية الصوفية وزواياهم التي كانت موجودة في العصر العباسي السابق ، بل أنشئوا ربطاً و زوايا جدد ، فقد عرف السلطان هولاكو (654 - 663هـ/1256-1265م) مؤسس الدولة الايلخانية بفارس والعراق، بأنه: "كان يحب العلماء والفضلاء ويحسن إليهم ويجزل صلاتهم، ويشفق على رعيته ويأمر بالإحسان إليهم والتخفيف عنهم ولم يثقل عليهم ولا كلفهم بما جرت به عادة الملوك من التكليفات والتوزيعات وغير ذلك "[3]، ومن المؤكد أن الصوفيين كانوا من بين تلك الفئات التي نالت رعاية السلطان هولاكو، وهذا ما تؤكده أوامره التي أصدرها إلى الأمير قراغا التي تقضي بان يعيد فتح الربط، ويعين فيها الشيوخ ويخصص لهم الأوقاف، ويجرى لهم المرتبات الشهرية، وقيل حتى أن هولاكو قد اسلم قبل وفاته على يد الصوفيين و كف عن أذية المسلمين بتأثير من هذه الطائفة ، لتأثره بما شاهده من

1 - عفيف الدين، أبو عبد الله يوسف بن علي بن أحمد البغدادي المقرئ ، يعرف بابن البقال ، كان من محاسن الصوفية و أعيانهم ، له تصانيف منها " سلوك الخواص" ، سافر إلى مصر فكان بها أثناء احتلال المغول بغداد فرتب شيخاً برباط المرزبانية وتوفي سنة 666هـ/1268م .ابن الفوطي : **تلخيص مجمع الآداب في مجمع الالقاب** ، ج 04، ق 01، ص 552.

2- ابن الفوطي : **الحوادث** ، ص 257. السيوطي :**حسن المحاضرة في تاريخ مصر و القاهرة**،دار إحياء الكتب العربية، د ت ، ج 02، ص 50.

3 - ابن الفوطي : **المصدر نفسه** ، ص 253.

شربهما السم و دخولهما النار العظيمة و خروجهما منها بسلام ،وكانت تلك الأعمال طبقا لرواية ابن الساعي مثار إعجاب للسلطان ، هذا إذا ما افترضنا أن المغول بطبيعتهم ميالون إلى الأمور الروحانية التي تؤمن بالخوارق والكرامات ، ولعل ذلك اللقاء كان له تأثيره في تبني السلطان المغولي سياسة خاصة ورعاية مميزة للتيار الصوفي، وربما كانت انعكاسات ذلك اللقاء على السلطان[1] .

و لم يكتف العهد الايلخاني برعاية المتصوفة وربطهم و زواياهم التي كانت في العهد العباسي السابق، و لكنه أنشأ ربطا جديدة ، فقد أمر علاء الدين الجويني بإنشاء رباط في مشهد علي ، ليسكنه المقيمون هناك ، و وقف عليه وقوفا كثيرة وأدر لمن يسكنه ما يحتاج إليه[2] ، و أنشأ نائبه مجد الدين محمد بن علي المعروف بابن الأثير القصري (ت685هـ/1287م) الرباط المجدي ببغداد و جعل فيه خزانة كتب جامعةً[3] ، وجدد الشيخ ضياء الدين الجاجرمي (ت666هـ/1268م) رباط الشونيزية[4].

أما زوجة الصاحب علاء الدين العصمة شمس الضحى شاه لبنى فقد أنشأت رباطاً للصوفية بجانب مدرستها العصمتية سنة 671هـ/1272م [5]، و كانت كثيرة الصدقات و الإحسان و المبرات ، وتحب أهل بغداد و ترعى مصالحهم و تقوم في حوائجهم و تساعدهم . كما عمر ناصر الدين قتلغ شاه الصاحبي أحد حكام بغداد رباطا للفقراء في مشهد سلمان الفارسي ، وأسكن فيه جماعة

---

1 – علي بن أنجب ابن الساعي : **مختصر أخبار الخلفاء، ،** المطبعة الأميرية بولاق ، مصر ،د ت، ص ص128-129

2 – ابن الفوطي: **المصدر السابق** ،ص 256

3 – ابن الفوطي :**مجمع الادآب في معجم الألقاب** ، ج 04 ، ص 520

4 – رباط الشونيزية يراد به الموضع المجاور لمحلة التوثة بالجانب الغربي من بغداد ، ويذكر أن السيدة بنفشة حضية الخليفة المستضئ بأمر الله هي التي أنشئت هذا الرباط .مصطفى جواد: **الربط الصوفية البغدادية** ، ص ص 69-70

5 – المدرسة العصمتية هي إحدى المدارس التي ظهرت بعد الغزو المغولي لبغداد ، سيرد الكلام عنها في الفصل الرابع.

وأوقف عليه نواحٍ بواسط وعدة مواضع بغداد و كان يحب الفقراء و يواصلهم [1] ، و بنى رباطا آخر و حماما ووقف الحمام و غيره عليه بالبصرة لما كان واليا عليها[2].

و أنشأ الشيخ العارف الزاهد منتجب الدين أبو الفقراء محمد بن المجاهد يعقوب المصري الشهروزري (ت715هـ/1316م) نزيل بغداد زاوية ظاهرة سور مدينة السلام يرد عليه بها الخاص و العام ،وهو من أعيان الصوفية العارفين ، و رجال الله الصالحين ، كان له قبول في القلوب ، و حصل له إدرار سُلطاني ينفقه على الوارد و الصادر و المقيم و المسافر[3].

و كان مشايخ الصوفية يتمتعون باحترام الناس و الإدارة المغولية معاً ، يدل على ذلك أن السلطة المغولية جعلت منصب شيخ الشيوخ وشيخ الرباط في عداد المناصب الرسمية للدولة ، وقد قامت الإدارة المغولية بإجراءات معينة من اجل إسباغ الصفة الرسمية على هذين المنصبين المذكورين ؛بان جعلت التعيين بموجب مرسوم تصدره الدولة ويتم تسلم المنصب باحتفال رسمي يحضره كبار رجالاتها أيضا. وعلى ضوء تلك الإجراءات والرؤية، جرى تعيين كثير من شيوخ الربط مثل: تعيين عفيف الدين يوسف بن علي بن احمد البقال (ت 666هـ) شيخا لرباط المرزبانية بعيد الاجتياح المغولي لبغداد في سنة 656 هـ/1258م ، وتعيين كل من: عماد الدين أبي احمد عبد الغني بن عبد الرحمن بن عبد الله بن يوسف بن مكي البغدادي (ت 672هـ/1274م) على مشيخة رباط البسطامي[4] ، وعماد الدين أبي المعالي عمر بن عمر بن عبد الرشيد الهاشمي القزويني (ت 674 هـ1276م) شيخا على رباط بهروز[5].

---

1 – ابن الفوطي: **الحوادث الجامعة** ،ص 290

2 – ابن الفوطي: **المصدر نفسه**،ص 314

3 – ابن الفوطي :**مجمع الادآب في معجم الألقاب** ، ج 05 ، ص 523

4 – ابن الفوطي :**المصدر نفسه** ، ج 02 ، ص ص 99-100

5 – ابن الفوطي: **المصدر نفسه** ، ج02 ، ص ص 124-125

كما قامت الإدارة المغولية بتكليف شيوخ من الصوفية بمهمات رسمية إضافة إلى عملهم الرئيسي الروحي مثل: تكليف محيي الدين أبي الفضل محمد بن شرف الدين يحي بن هبة الله المحيّا العباسي الكوفي البغدادي (ت703هـ/1304م) شيخ رباط الشونيزي ، بمهمات إدارية مثل: تولي مهمة إدارة نيابة القضاء بالجانب الغربي من بغداد، وتولى مهمة إدارة النقابة على من تخلف بالعراق من بني العباس، إضافة إلى قيامه بتدريس المذهب الحنفي بالمدرسة المستنصرية[1] ، وفي السياق نفسه تم تعيين الشيخ عز الدين أبي عبد الله محمد بن علي التتماجي التركماني الصوفي (ت 674 هـ/1276م) في احد وظائف الوقف في العراق[2] ، كما جرى تكليف الشيخ منتجب الدين أبي الفضل عثمان بن نجيب الخوافي الكاتب الصوفي عنده قدومه بغداد سنة 679هـ/1281م أيام الصاحب علاء الدين عطا ملك بن محمد الجويني وولي بها الأعمال الجليلة [3] ، وكلف أيضا ضياء الدين الجاجرمي الفقيه الشافعي (ت 666هـ/1268م)[4] شيخ رباط الشونيزي بالإشراف على أعمال الترميمات التي أجرتها الدولة على بناية ذلك الرباط[5].

و حرصت الإدارة المغولية في العراق أيضا على إبقاء بعض الوظائف متداولة في اسر الصوفية، مثل ما جرى مع أسرة الصوفي محب الدين أبي البركات عبد الرحيم بن شمس الدين محمد بن محب الدين سعيد البغدادي الحدادي (ت 741هـ/1341م) الذي كان يعمل مناولا لكتب خزانة المدرسة المستنصرية والمدرسة النظامية، وتلك الوظيفة كان يتولاها والده في السابق، ولما توفي سنة711هـ/1311م رتب الابن مكانه في الوظيفة نفسها[6]، كما التزمت الإدارة المغولية

1 – ابن الفوطي : **المصدر السابق** ، ج05 ، ص 108
2 – ابن الفوطي : **المصدر نفسه** ، ج01 ، ص 322
3 – ابن الفوطي : **المصدر نفسه** ، ج05 ، ص 512
4 – ابن خلكان : **المصدر السابق** ، ج 04 ، ص 256
5 – ابن الفوطي : **الحوادث** ، ص ص 257 -258
6 – ابن الفوطي :**مجمع الادآب في معجم الألقاب** ، ج 05 ، ص 21

بالوصايا التي يتركها شيوخ التصوف بشأن تولي مشيخة بعض الربط، ولما كانت الوصية الخاصة برباط البسطامي تقضي بان تكون مشيخة الرباط في عائلة الشيخ عماد الدين عبد الغني بن مكي البغدادي، فبعد وفاة الشيخ عماد الدين، نفذ هذا الأمر من غير تجاوز ، وأعطيت مشيخة الرباط لابنه عز الدين أبي الفضل عبد السلام عام 671 هـ/1273م وجرت مراسيم تسليم المشيخة بحضور قاضي القضاة[1]، و الأمر نفسه، حدث عند وصية الشيخ نجم الدين احمد بن القش (ت 682 هـ/1284م) الذي كان يتولى مشيخة رباط جهير ورباط الشيخ علي بن إدريس في بعقوبا في آن واحد، تقضي بان تبقى المشيخة للرباطين تحت إدارة شيخ واحد مثلما كانت في حياته، وان تعهد من بعد وفاته للشيخ عفيف الدين عبد الرحمن بن النجح الباجسري ، و كان زاهداً ورعاً، له اعمال مشهودة وتلك الوصية نفذت من غير تلاعب او تدخل من الادارة المغولية[2]

كما سعت أيضا إلى الرفع من شان مرتبة مشيخة الرباط في نظر المجتمع، بدلالة أن الوصول إليها صار يتم عن طريق الوساطة والشفاعة عند ممثلي السلطة، وبهذه الطريقة نال الشيخ عماد الدين محمد الحسن بن محمد الأبهري في عام 672هـ/1274م مشيخة رباط الأخلاطية اثر وساطته عند زوج السلطان هولاكو اولجاي خاتون، والتي أوعزت بدورها إلى الخواجة نصير الدين الطوسي بمنحه مشيخة ذلك الرباط وتم ذلك الأمر وصدر به مرسوم من الدولة سلم إلى الشيخ عماد الدين، وكان يعلقه متباهيا به على رأسه حين يجلس على سجادته في الرباط[3].

1 - ابن الفوطي : **المصدر السابق** ، ج 01 ، ص 223

2 - ابن الفوطي : **الحوادث الجامعة** ، ص 300

3 - ابن الفوطي : **مجمع الادآب في معجم الألقاب** ، ج02 ، ص ص 135-136

وتصف بعض المصادر التاريخية شيوخ الصوفية بأوصاف تدل على علو منزلتهم و تقديرهم في هذا العهد من العامة و السلطة على حد السواء و من ذلك وصف العديد منهم بالورع والكياسة، وحسن المحاضرة ، و التميز و البروز ، و المعرفة بكلام السلف ، و علو الهمة ، و النفوس الشريفة الأبية، و أهل العلم و الدراية و غيرها من الأوصاف[1]، وهو ما جعل التصوف ينتشر بقوة في هذا العصر و يوجد تنافس بين شيوخه و أتباعه و قبول من العامة و السلطة على حد السواء، كما انه لم يعد مقتصرا على طائفة واحدة كما بدأ أول مرة في نهاية العصر العباسي الأخير [2] بل نجده شمل مختلف الطوائف الإسلامية[3]. لقد ترافق خروج التصوف إلى العلن مع نشاط بناء الربط الصوفية والمدارس ومع تيار تصوف الفقهاء الذي أسهم بدوره في تهدئة التوترات المذهبية وتخفيف حدّة العلاقة بين الصوفية والفقهاء، وهو أمر مهد لانتشار التصوف بين جماهير الناس بعد أن كان محصوراً في فئات قليلة منهم. ولئن كانت النظرة إلى بعض المتصوفة في فترة سابقة سلبيةً فإن النظرة في هذه الفترة كانت كما يبدو إيجابيةً، بل إن الحركة شملت شيوخاً وصوفية من مذاهب متنافرة، بل ولعلها كانت عوناً على تخفيف أثر الاختلاف[4].

و أبدت الإدارة المغولية أيضا اهتماما وعناية بالناحية الفكرية للتيار الصوفي، وسعت إلى نشره بين أبناء المجتمع، والعمل على صياغة المجتمع في ضوء أفكاره، وهذا ما حرص عليه صاحب ديوان العراق

1 – ابن الفوطي : **المصدر السابق**، ج 04، ص 32/ص72/ص77/ص85/ص 1/95ص 105/ص312/ص424

2 – الشائع أن التصوف كان أكثر ارتباطاً بالطائفة الشافعية عند بداية ظهوره أواخر القرن الخامس هجري /الحادي عشر ميلادي و بدرجة أقل الطائفة الحنبلية ، أنظر عمر سليم عبد القادر التل : **المرجع السابق** ، ص 122

3 – محمد مفيد آل ياسين : **المرجع السابق** ، ص 187

4 – عمر سليم عبد القادر التل : **المرجع نفسه** ، ص20

علاء الدين عطا الله ملك الجويني حين طلب من الشيخ ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت679هـ/1281م)[1]، أحد متكلمي الشيعة الامامية أن يشرح له كتاب " نهج البلاغة" لنقيب الطالبين الشريف الرضي برؤية صوفية، وهو من أهم الكتب الإسلامية في نظر الشيعة ، وتلك الأهمية تزداد مكانة وقدسية عند الشيعة لكون الشريف الرضي يمثل أحد رموزهم الروحيين ،أما المنهج الذي شرح به ذلك الكتاب فكان وفق المنهج الصوفي وهذا يحمل دلالة مهمة ألا وهي أن الإدارة المغولية في العراق أعطت خصوصية للتيار الصوفي عن بقية القوى الدينية الأخرى في المجتمع ، أما استجابة العالم الشيعي لطلب صاحب ديوان العراق وهي أن التيار الصوفي كان يتمتع بحظوة وقبول عند بقية القوى الدينية في المجتمع وهذا أمر في غاية من الأهمية إذا ما وضعنا في الاعتبار أن الغالبية العظمى التي تمثل التيار الصوفي هم من أهل السنة، ومعروف أن بين أهل السنة والشيعة خلافة سياسية تقليديا[2].

وتؤكد التسهيلات التي تمتع بها الفكر الصوفي والحماية الكافية التي وفرت لهم ، أن القيد الفكري عن التصوف ورجالاته انكسر،ففي ظل هذه السياسة اخذ علماء التصوف يدرسون ويجيزون بمروياتهم ومسموعاتهم بعد أن كانوا يعانون حجرا فكريا، ومضايقات من تيارات أخرى و بخاصة التيار الحنبلي في الحقب السابقة للاجتياح المغولي، كما أخذت كتبهم بالانتشار بين أبناء المجتمع في العلن بعد أن كانت تعاني حظرا على تداولها بينهم، كل هذا يبين أن الحياة العلمية في هذه الفترة غلب على أتباعها الصبغة الصوفية ، و يكفي الاطلاع على ما أرخه الموظف في بلاط تلك الدولة والمعاصر

1 - كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (636-679هـ/1238-1281م) محدث و فقيه و متكلم شيعي في القرن السابع هجري ، عاصر ابن ميثم الخواجة نصير الدين الطوسي، وكان الطوسي يدرس عنده الفقه، وهو يدرس عنده الكلام، واشتهر ابن ميثم في الكلام، وله مؤلفات كثيرة منها :اختيار مصباح السالكين، وقواعد المرام في علم الكلام، وشرح المائة كلمة لنهج البلاغة. كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني:**أصول البلاغة** ، نشر مؤسسة الإمام الصادق ،قم 2012، ص ص23-34

2 - رياض عبد الحسين راضي البدراوي: **مكانة التصوف في مجتمع دولة مغول فارس و العراق**، مجلة لارك للفلسفة و اللسانيات و العلوم الاجتماعية ، العدد 23، السنة2016، جامعة واسط العراق ، ص 141-142

لأحداث الغزو المغولي ابن الفوطي(ت723هـ/1323م) في اثنين من أشهر مصنفاته التاريخية، الأول هو " مجمع الآداب في معجم الألقاب" والثاني" تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب "، من تراجم لشخصيات علمية و دينية اغلبها من تيار الصوفية وهذا فيه دلالة على علو مكانة التصوف في الدولة المغولية لاسيما أن ابن الفوطي يمثل أحد موظفيها البارزين[1].

لقد كانت هذه الأوضاع التي خلفها الغزو المغولي في بغداد و باقي مدن العراق التي مسها التخريب المغولي دافعاً لترك الكثير من العلماء البلاد وأن تتعثر الحياة العلمية ، و يغير العلم مركزه نحو أماكن أخرى أكثر أمنا و استقرارا ، الأمر الذي مكن مصر و حاضرتها القاهرة أن تصبح مركزا جديدا للنشاط العلمي لعلماء الإسلام.

1- اغلب التراجم الخاصة بفترة الدراسة كانت تتضمن " الفقيه الصوفي "، "العالم الصوفي " ،"العلامة الصوفي"، ابن الفوطي : **مجمع الادآب في معجم الألقاب** ، ج05 ، ص ص 655-688

الفصل الرابع

الحياة العلمية في العراق أيام الغزو المغولي

أولا– مراكز الحياة العلمية في العراق بعد الغزو المغولي

ثانيا– المؤسسات العلمية

ثالثا– مظاهر النشاط العلمي

رابعا – الإنتاج العلمي في العراق بعد الغزو المغولي

على الرغم من مما أحدثه المغول من قتل وتدمير وحرق، إلا أن الناحية العلمية والفكرية قد استمرت في العراق بعد أن هدأت الأحوال في بغداد و صارت الحياة تدب فيها متحدية في ذلك أساليب حكمهم معبرة عن روح الإسلام القوية و عزيمة المسلمين التي لا تنهار وهذا مما يغير ما علق في الأذهان من مبالغة الناس في تسمية الفترة التي أعقبت سقوط الخلافة العباسية بالفترة المظلمة.

وعان النشاط العلمي لكنه لم يتوقف ولم يقتلع من جذوره، ولعل أسباب استمراره تكمن في أن المغول لم يكونوا يكترثون إلا بإحكام سيطرتهم على ما بأيديهم من بلاد. لذا فإنهم لم يتدخلوا في شؤون العلم مما جعل أولئك الذين خضعوا لحكم المغول من أهل العراق أمام مجال مفتوح للتعبير عن هويتهم الدينية والقومية ، وهذا ما جعلهم ينغمرون في حركة العلم بعد أن فقدوا دولة الخلافة ، وخضعوا لحكم أجنبي غريب.

وتعتبر بعض الدراسات أن الغزو المغولي للعراق صفحة جديدة في تاريخه، و في تاريخ حياة الفكر بوجه خاص وذلك بسبب الركود الفكري الذي خيم على الناس في العهود السابقة، نتيجة تعصب الحكام و ضيق تفكيرهم مما حال دون نشاط فكري .كل ذلك اختفى و حل محله حكام جدد لا يتعصبون لمذهب، ولا يتحزبون لطائفة معينة أو دين خاص ، أو اتجاه فكري محدد[1].

لقد سمح كل ذلك بتحسن الأمور و عودة العلماء إلى ممارسة دورهم بشكل ملحوظ حيث نشطت بعض العلوم كعلم الفلك و الطب ، و حافظت بغداد على عدد كبير من العلماء بقوا يؤدون دورهم العلمي وتشد إليهم الرحال من كل مكان وظلت بغداد تحاول أن تحافظ على مركزها العلمي و الفكري[2].

1- محمد مفيد آل ياسين: **المرجع السابق**، ص133

2 - عباس العزاوي : **المرجع السابق** ، ص544

كما حافظت مدن أخرى سلمت من الغزو المغولي كالكوفة و الحلة و البصرة على كثير من علماء العراق و على مراكز العلم و الكتب بعد أن تمكنت من كسب أمان السلطة المغولية في العراق[1].

أولا: مراكز العلم في العراق في هذا العصر

حتى مطلع القرن السابع ظل العراق مركزا فريدا للعلم ، محافظا على نشاطه العلمي و الفكري لا يضاهيه في ذلك قطر وفي ذلك يقول المقدسي:إن إقليم العراق إقليم الظرفاء ، و منبع العلماء ....أخرج كل فقيه و مقرئ و أديب وسرى و حكيم و زاهد و نجيب "[2]، و يقول أيضا :" و العراق كثيرة الفقهاء و القراء و الأدباء و الأئمة و الملوك ...وقد حصل به عدة من المذاهب ، و الغلبة ببغداد للحنابلة و الشيعة ، وبه مالكية و أشعرية و معتزلة"[3].

كانت أهم مراكز الحياة العلمية في العراق، في القرن السابع الهجري /الثالث عشر ميلادي، بغداد و واسط، والحلة، والكوفة والموصل ، وغيرها من مدن العراق.

بغداد:

ليس هناك من شك في أن بغداد تأتي في مقدمة تلك المراكز العلمية رغم ما أصابها من دمار على يد هؤلاء الغزاة،فقد ظلت بغداد في المقدمة،لأنها كانت مركز العلم والعلماء في جميع العصور ، و لِما اشتهرت به من كثرة المؤسسات العلمية ودور الكتب والمجالس العلمية التي كانت تنعقد بها وغيرها. وكان من آثار الاهتمام الشديد بالعلم وأهله منذ العهود الأولى للخلافة العباسية أن ظلت بغداد تزخر في هذا العصر برجال العلم في مختلف التخصصات، و بمؤسسات تعليمية ساهمت إلى حد كبير في إعادة بعث الحياة العلمية من جديد في النصف الثاني من القرن السابع الهجري ، حيث لم

1 -محمد مفيد آل ياسين : **المرجع السابق** ، ص 128

2 - المقدسي : **المصدر السابق** ، ص 114

3 - المقدسي : **المصدر نفسه**، ص 126

تمض مدة وجيزة على سقوط بغداد بيد المغول حتى عادت إلى وجهها المشرق و أطمأنوا الناس وعادوا إلى أعمالهم حتى ليقول ابن شاكر الكتبي في كتابه(فوات الوفيات) : كانت بغداد أيام علاء الدين عطا الملك أجود مما كانت عليه أيام الخليفة ، و كان له إحسان إلى العلماء و الفضلاء ، و له نظر في العلوم العقلية و الأدبية [1].

حاولت بغداد بعد الغزو أن تستعيد هذا المجد قدر الإمكان ،يقول شلبي :"وقد حاولت بغداد بعد أن أفاقت من هول الدمار المغولي أن تستعيد شيئاً من مكانتها ففتحت المدرسة المستنصرية أبوابها ونشطت بعض الجهود الثقافية، ولكن كان ضئيلاً ، وكانت اللغة الفارسية تنافس اللغة العربية[2].

لقد كان وضع بغداد خلال سيطرة المغول عليها وضعاً سيئاً بسبب أن إدارة المغول للمدينة والعراق ككل اتسمت بالفوضى و عدم الاستقرار ، و لم يكن للحكام الذين تداولوا على إدارتها هَم سوى النهب وجمع الضرائب باستثناء فترة إدارة الأسرة الجوينية ، لذا من البديهي أن تسوء الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية و التي تنعكس سلبا على الأنشطة العلمية في بغداد.

لقد تراجعت الحياة الفكرية و تخلفت الحياة العلمية و الثقافية طيلة الفترة التي استغرقها الاحتلال المغولي للعراق ، و بالذات مدينة بغداد[3]،غير أن هذا التوقف لم يدم أكثر من سنة بعد الغزو ذلك أن الكثير من المؤسسات العلمية التي موجودة قبل الغزو عادت لنشاطها العلمي ،حتى لقد قيل إنّها كانت إذ ذاك في حال حسنة هي خير من حالها على عهد الخليفة المستعصم بالله قتيل المغول[4].

1 – الكتبي : **المصدر السابق**، ح02، ص 453

2 – احمد شلبي : **موسوعة التاريخ الإسلامي** ، مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة1987 ،ج 07، ص724

3 – القزاز: **الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية** ،ص 112

4 – ابن الفوطي : **مجمع الآداب في معجم الألقاب**، ج 01، ص25.

الموصل :

رغم أن الموصل لم تكن تخضع إداريا للعراق قبل الغزو المغولي إلا أنها بعد استيلاء المغول عليها في رمضان 660هـ/1262م ،و ذبح أهلها،و قتل الملك الصالح إسماعيل ، وتخريب أسوار البلد، صارت جزء من العراق الخاضع للمغول ، و لم تتعرض أي مدينة إسلامية للإحراق و التخريب في الزحف المغولي الهولاكوي إلى ما تعرضت له الموصل ،وأصاب الحركة العلمية في هذه المدينة ما أصابها في بغداد من توقف و هجرة لعلمائها ، خصوصا وأن الحركة العلمية بها كانت مزدهرة أيام الاتابكة حيث اتخذوها عاصمة لملكهم ، و عرفوا بحبهم للعلم ونشر العلوم و المعارف بين سائر طبقاته ، وجعلوا منها مدينة علم و أدب وفن يشد إليها الرحال و يؤخذ عن علمائها و أدبائها[1] .

أما بناء المدارس فقد حضيت مدينة الموصل بالجم الوافر من هذه المدارس ، ويبين ذلك ما ذكره ابن جبير الذي زار المدينة عام 580هـ/1182م بأن عدد مدارسها بلغ ستة أو أزيد ، ويبدو أنها كانت مدارس كبيرة فقد وصفها بقوله"كأنها القصور المشرفة"[2] ،ثم زاد عددها حتى وصل إلى ثماني وعشرين مدرسة ،و ثماني عشرة دراً للحديث قبيل الغزو المغولي.

وكان للغزو المغولي اثر كبير في إضعاف الموارد الفكرية للمدينة جراء تعرض معظم تراثه للتلف والسرقة و الضياع ، فالمغول عندما دخلوا للموصل استباحوا المدينة قتلا و أسرا و نهبا وألقوا الكتب في دجلة كما فعلوا في بغداد ، ولم تنحصر الكارثة في هذا الجانب فقط بل امتدت فأهلكت من العلماء العدد الكبير ومن نجوا من القتل تركوا البلاد هاربين بأنفسهم إلى بغداد التي كان قد استتب الأمن فيه بعد مرور أربع سنوات على احتلال المغولي لها ، والى مصر و الشام حيث واصلوا هناك إنتاجهم العلمي و الفكري[3] .أما من بقي منهم في الموصل فقد توقفوا عن أنشطتهم العلمية ، حتى

---

1 – سعيد الديوه جي: **مدارس الموصل في العهد الأتابكي** ، ص 101.

2 – ابن جبير : **المصدر السابق**، ص 211.

3 – بلغ عدد العلماء الذين تركوا الموصل بعد الغزو المغولي قرابة 50عالماً ، أنظر الجدول رقم 02،ص 123 ،وابن حجر العسقلاني: **المصدر السابق** ، الأجزاء،1-2-4.

استتب الأمن و شرع المغول في تغيير سياستهم تجاه البلاد المحتلة.كما أن نصر الدين الطوسي الساعد الأيمن لهولاكو درس على يد كمال الدين بن يونس الموصلي ،و قرب إليه علماء الموصل و دعاهم للعمل في مرصده ،و كان يصرف الأموال على إدارات المدارس في الموصل ، وعلى المعلمين و الطلبة.

واسط :

كانت واسط في القرن السابع للهجرة بلدة عظيمة لا يرى أحسن منها صورة ، وكانت مركزا من مراكز الحركة الفكرية في العراق في ذلك القرن. وقد تميزت برجال العلم و طلبته ، و بما اشتملت عليه من أماكن للدراسة حتى غدت من أهم مراكز تدريس القرآن الكريم و قراءاته المختلفة.

ومما يدل على مركز واسط العلمي في هذا القرن، أن نصير الدين الطوسي قصدها ، بعد زيارته لبغداد سنة 662 هـ/1264م، و هو في صدد جمع الكتب لمرصد مراغة و نقل الكثير من كتبها إلى مكتبة المرصد[1] ،وكان فيها محلة باسم(محلة الوراقين) مما يدل على مقدار ما يستعمله العلماء فيها من ورق، وتفيض كتب المحدثين و المفسرين و القراء و التراجم و المؤرخين كابن النجار و وابن الدبيثي بأخبار العلماء الواسطيين ، و قد ذكر ابن بطوطة أن :"أهل واسط من خيار أهل العراق بل خيرهم على الإطلاق ، أكثرهم يحفظون القرآن الكريم ، و يجيدون تجويده بالقراءة الصحيحة ، و إليهم يأتي أهل بلاد العراق الغرباء برسم تعلم ذلك "[2].

و كانت واسط تشتهر دون سائر مدن العراق بحفظ القرآن و تجويده و دراسته بالقراءات المختلفة، مع اهتمام بالحديث و سماعه ، إذ يرد عن جملة من أبنائها من رجال العلم أنهم حفظوا القرآن و قرأوه بالقراءات[3]، و كان جامع واسط من المراكز الرئيسية لتدريس علوم القرآن و حفظه و دراسة الحديث.

1 – ابن الفوطي: **الحوادث** ، ص 252

2 – ابن بطوطة : **المصدر السابق** ، ص114

3 – ابن الدبيثي : **المصدر السابق** ، ج01، ص 189/156

و قد أشار ابن الفوطي إلى مجالس السماع التي كانت تعقد بواسط لسماع مقامات الحريري[1] .

و قد خرجت واسط أعدادا كبيرة من طلاب العلم جذبت بغداد أعدادا منهم لإكمال الدراسة والتحصيل فيها ، حيث كونوا لهم جالية بها ،وأنشأوا لهم فيها مسجدا يعرف بمسجد الواسطيين[2] .

غير أن المدينة تضررت بعد الغزو المغولي لها في صفر سنة 656هـ/1258م حيث قتل من سكانها أربعين ألف على يد المغول و، وقد تضررت المدينة من جراء هذا الغزو، و يبدو أن الجانب الشرقي من واسط كان أول من أنتابه الخراب فقد ذكر القزويني مدرس المدرسة الشرابية بواسط و أحد قضاتها في النصف الثاني من القرن السابع الهجري أن المدينة بمفردها في جانب دجلة الغربي[3] .

الحلة :

كانت الحلة من مدن العراق المهمة ، ظهرت فيها النهضة الفكرية مبكرا ، و كانت مركز كبار علماء الشيعة الامامية و أدبائهم الذين اشتغلوا بالدرس و التدريس ، وازدهرت فيها النهضة الفكرية منذ تأسيسها على يد الأمير صدقة بن مزيد الأسدي[4]، و كان أمراؤهم يحبون الأدب و الشعر مما جعل الشعراء يفدون إلى الحلة من كل صوب حتى ينالهم كرم حكامها.

وتميزت الحلة عن غيرها من مدن العراق بميزة خاصة لم تكن موجودة في العراق إلا و هي الأسر العلمية التي كادت أن تكون تورث العلم لأبنائها فتجد في الأسرة الواحدة الكثير من العلماء الأعلام و يعود السبب في ذلك أن بيوت هؤلاء العلماء كانت البديل فكانت الدروس تقام في بيوت العلماء، و من بين تلك الأسر العلمية والتي اشتهر الكثير من أبنائها أسرة آل نما التي كان لها الأثر الواضح في الحياة الفكرية التي قويت في القرن السابع للهجري و أصبحت مركزا علميا مهما في

1 – ابن الفوطي: **مجمع الآداب في معجم الألقاب**، ج05، ص 442

2 – الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ج01، ص 402

3 – ناجي معروف: **مدارس واسط** ، ص11

4 – تعرف مدينة الحلة بحلة بني زيد و هي مدينة كبيرة بين الكوفة و بغداد ، و هي من أفخر بلاد العراق و أحسنها .ياقوت الحموي : **المصدر السابق**، ج 02،ص 294

العراق و محل هجرة كبار العلماء إليها كالطوسي نصر الدين الفيلسوف الحكيم .

ومما ساعد الحلة على تبوء هذه المكانة الاتفاق الذي تم بين أكابر المدينة و قائد المغول و الذي جنب الحلة الخراب و الدمار و القتل الذي أصاب المدن العراقية الأخرى التي قاومت هذا الاحتلال و هو ما انعكس إيجابا على الحياة العلمية .

و لعل خير ما يعكس ازدهار الحياة العلمية في الحلة في هذه الفترة ما أورده ابن الفوطي حين ذكر الغزو المغولي ببغداد وما جلب من اضطرابات اقتصادية ببغداد ندرت بسببها المواد الغذائية وقال: "أن أهل الحلة في هذا الوقت كانوا يأتون بالمواد الغذائية إلى بغداد يبيعونها و يشترون بأثمانها الكتب النفيسة "[1] و هذا يشير إلى استمرار الحياة العلمية في الحلة في هذا الوقت.

لقد نال المذهب الشيعي قدرا كبيرا من الازدهار أثناء الوجود المغولي في العراق و على الأخص في أيام نصر الدين الطوسي الذي كان مقربا جدا من هولاكو و خلفائه،بل صار هو المذهب الرسمي للدولة في عهد السلطان أولجايتو (703-716هـ/1303-1318م)، وكان لذلك أثره في ازدهار الحياة العلمية في بعض مناطق العراق المحتل و منها مدينة الحلة وغيرها كالنجف و كربلاء[2].

ثانيا: المؤسسات العلمية

تنوعت المؤسسات التعليمية في بغداد في العصر المغولي و التي كان لها الأثر البارز في إعطاء دفع كبير للحياة العلمية من خلال استمرار المؤسسات التي كانت موجودة من قبل في نشاطها بالإضافة إلى ظهور مؤسسات تعليمية جديدة خلال هذه الفترة كالمدارس و الربط ، ساهمت في جذب و استقطاب أعداد من طلاب العلم وبعض العلماء من داخل و خارج العراق ، مما أدى إلى توسع دائرة التعليم ، و إعطاء فرصة لأكبر عدد ممكن من طلاب العلم للالتحاق بهذه المؤسسات

1 – ابن الفوطي: **الحوادث**،ص 237

2 – احمد مختار العبادي : **المرجع السابق** ، ص 171

من أجل التحصيل العلمي و الاستفادة أكثر ، بعد التوقف الذي حصل، وهو ماجعل المجتمع العراقي و البغدادي بوجه خاص يعود لسالف عهده من حيث العلم و المعرفة، و هذا ماسنقف عليه من خلال استعراض أهم أماكن التعليم في هذه الفترة :

الكتاتيب:

ظلت الكتاتيب في هذا العصر على ما كانت عليه من قبل ترتكز على نوعين نوع يختص بتعليم القرآن ومبادئ الدين ، ونوع آخر يهتم بتعليم القراءة والكتابة وكلاهما للصبيان والمبتدئين، ويؤكد ذلك ما قاله ابن خلدون:" ولتعليم الخط عند أهل الشرق قانون خاص ، و معلمون له على إنفراد" [1]

النوع الأول كان في الغالب يتم في المساجد فقد ورد أن الشيخ عبد الصمد بن أحمد بن عبد القادر بن أبي الجيش ، أبو أحمد البغدادي الحنبلي (ت676هـ/1278م) كان يقرىء الأيتام بمسجد قمرية[2] الذي بناه الخليفة المستنصر بالله ويصلي إماما به من حيث فتحه[3]، وبعد واقعة بغداد رتب خازنا بالديوان، ثم أعيد إلى مسجد قمرية على قاعدته الأولى[4]. وأن موفق الدين عبد اللطيف المعروف بابن قديد النحاسي البغدادي المقرئ المحدث (ت 687هـ/1289م) وكان شيخاً دائم التلاوة ، حسن المعرفة بالتفسير قد رتب معيدا لتلقين الصبيان بمسجد قمرية[5]، وأن منتجب الدين المعروف بابن باقي التكريتي المقرئ استوطن بغداد، الشيخ العالم بالقراءات و طرقها ، و الإمام بمسجد المنارة المجاور لخان السلسلة بسوق الثلاثاء، وتصدر هناك لإقراء الناس، وختم عليه جماعة من

1 – ابن خلدون : **المقدمة** ، ج 01، ص524

2 – من جوامع بغداد القديمة جدا يقع على ضفاف نهر دجلة ،تم بناءه عام 626 هـ/1228م شيده الخليفة المستنصر بالله في موضع قمرية على ضفة النهر مقابل الرباط البسطامي ، تعرض للخراب سنة 654هـ /1256م .ابن الفوطي: **الحوادث** ، ص 17

3 – ابن رجب : **المصدر السابق** ، ج 04، ص 138

4 – ابن الفوطي : **المصدر نفسه** ، ص 18، الذهبي : **العبر** ، ج 03، ص 333

5 – ابن الفوطي : **مجمع الآداب في معجم الألقاب**، ج 05، ص629

الصبيان والرجال[1].

أما النوع الثاني فكان يتم في أماكن خاصة، فقد ورد أن عفيف الدين محمد بن عبد الرحمن الأربلي الكاتب النحوي ، الذي استوطن بغداد وسكن مسجد الإمام الناصر لدين الله[2] ، واجتمع فيه بابن الفوطي سنة 683هـ/1285م، كان يعلم الصبيان في المسجد الذي كان يسكنه ، كما كان مليح الخط حسن المعرفة بعلم العربية،[3]. وقد دام هذا المسجد على ذلك حتى بعد سقوط بغداد سنة 656 هـ/1258م على أيدي المغول.

وكان مضمون التعليم في هذه المرحلة الابتدائية على ما يبدو يشتمل على تعليم القرآن والحديث ثم بعض الأحكام الشرعية ، والشعر والخط. وكان ببغداد خلال هذه الفترة نوع آخر من التعليم مختلف يرتبط بالأكابر والأمراء وأولاد الخاصة والقائم بهذه المهمة يسمى مؤدبا وقد أوكل صاحب ديوان العراق في عهد دولة المغول في العراق لابنه مظفر الدين علي بن علاء الدين الجويني [4]كل من الشيخ جمال الدين ياقوت المستعصمي الذي تعلم على يديه الكتابة واشتغل وتأدب على رشيد الدين الرازى، وسمع مقامات الحريرى، وكان قطب الدين سنجر بن عبد الله عتيق جمال الدين حسين ابن إياز النحوي الأديب (ت695هـ/1296م) الذي حصل بينه و بين ابن الفوطي أنس و صحبة[5] ،قد توفر على تعليم أولاد الصاحب مجد الدين اسماعيل الكتبي[6]، وأن عفيف الدين أحمد بن اسماعيل

1 - ابن الفوطي : **مجمع الآداب في معجم الألقاب** ، ج 05، ص507

2 - من جوامع بغداد ،بناه الخليفة العباسي الناصر لدين الله في فترة خلافته الممتدة بين سنة 575 هـ وسنة 622 هـ مقابل سوق العميد في محلة سوق السلطان (نسبة للسلطان ملك شاه السلجوقي)،هناك من يقول أنه هو مسجد قمرية. محمود شكري الألوسي: **تاريخ مساجد بغداد و أثارها**،مطبعة دار السلام ،بغداد1948، ص114

3 - ابن الفوطي : **المصدر نفسه** ، ج 05، ص473

4 - من بيت الوزارة و الرياسة و الحكم و السياسة ، ولد ببغداد ،و نشأ على طريقة محمودة ، و أحضر له والده الأدباء ، فكتب على الشيخ على جمال الدين ياقوت المستعصمي ، قدم بغداد سنة 691هـ/1293م،جرت له أمور و أسباب فارق لأجلها وطنه ، وأقام بين العرب مدةً .ابن الفوطي : **المصدر نفسه** ، ج 01، ص283 ، ابن الفوطي : **الحوادث** ، ص 319

5 - ابن الفوطي : **مجمع الآداب في معجم الألقاب** ، ج 03، ص385

6 - كان صدراً كاملا عالما فاضلاً، ولد ببغداد ، ونشأ بها ، و تأدب و قرأ و كتب ، وولي رئاسة العراق و حكم في مناطقها ، وأنشأ مارستاناً على شاطئ الفرات بالحلة توفي سنة 688هـ/1289م. ابن الفوطي : **المصدر نفسه** ، ج 04، ص401

اسماعيل ابن يعقوب الأربلي الأديب ، رآه أبن الفوطي سنة 689هـ/1291م) ببغداد يعلم أولاد الأكابر، وان جمال الدين ياقوت المستعصمى كان يكتب عليه أبناء الأكابر بغداد[1]. وأن مظفر الدين سليمان بن علي ابن الحسن بن علجة القرشي السامي البغدادى الكاتب قد أحضر له جده المعلمين والأدباء ، وسمع الحديث من جماعة من شيوخنا ، و كتب وحفظ من المقامات الحريرية، وله شعر جيد[2]، وأن فخر الدين عبد الحميد بن شرف الدين أحمد بن علي الحسني البغدادي الكاتب المحرر الفقيه ، اشتغل بالخط فأتقنه و كتب لنفسه عدة مصاحف ، وأدب جماعة من أولاد الأعيان سنة 713هـ/1313م[3].

وكذلك نشأة كمال الدين عبد الرزاق بن احمد بن محمد المعروف بابن الفوطي البغدادي المؤرخ (ت723هـ/1323م) فلقد حضر منذ الصبا مع والده مجالس الوعاظ والصوفية والأدباء الرواة إذ يقول على نشأته الدراسية :« وهو الذي أشغلني في الآداب وربانى، وحفظني المقامات الحريرية وأسمعني بقراءته جامع الترمذي وغيره»، ويذكر أيضا حفظه المقامات الحريرية وسماعه الأحاديث النبوية – وهو في سن مبكر – على محي الدين يوسف بن الجوزى (ت 656هـ/1258م)[4].

و ممن درس في منزله الإمام الحنفي مجد الدين بن مورود الموصلي (ت683هـ/1284م).و كان شيخاً فقيهاً عالماً فاضلاً مدرساً عارفاً بالمذهب.تولى القضاء في الكوفة ثم عزل .ورجع إلى بغداد ودرس المذهب . ولم يزل يفتي و يدرس إلى أن توفي ببغداد.

1 – ابن الفوطي : **الحوادث** ، ص 337 .محمد بن شاكر الكتبي : **المصدر السابق** ، ج04، ص263

2 – ابن الفوطي : **مجمع الآداب في معجم الألقاب**، ج 05، ص273

3 – ابن الفوطي : **المصدر نفسه** ، ج 03، ص45

4 – حمود مضعان عيال سلمان : **ابن الفوطي مؤرخاً**، وزارة الثقافة ، الأردن 2014،ص 33

المكتبات:

ظلت المكتبة عبر التاريخ الإسلامي مركزا مهما للتربية و التعليم ، و مرجعا للتراث الإسلامي الفكري و العلمي، فكل مسجد كان يقام أو مدرسة تشاد إلا يودع فيهما خزانة كتب ، يستفيد الطلاب والناس من علمها وينهلون من معارفها،وتذكر بعض المصادر أن مدينة بغداد وحدها كانت بها 36 مكتبة[1].

وكانت بغداد في العصر العباسي زاهرة بخزائن الكتب العامة و الخاصة .وكانت رفوف تلك الخزائن تضم أمهات الكتب و هي على درجة عالية من الرقي في تنظيمها، ترتيبها ، دقة فهارسها.

و إلى جانب هذه المكتبات انتشر نوع أخر من المكتبات الخاصة وجدت في بيوت الخلفاء والوزراء و العلماء الذين تنافسوا على إنشاءها. و لعل من الأعمال الحسنة التي كان يقوم بها هؤلاء في هذه الفترة وقف الكتب رجاء الأجر، وللمحافظة عليها من التلف، فكانوا يفضلون وقفها ليستفيد منها طلبة العلم[2].

ومما ساعد على انتشار الكتب و تعدد المكتبات في هذه الفترة ازدهار صناعة الورق في العالم الإسلامي عامة وبالعراق خاصة و هو ما سمح بظهور الوراقين على نطاق واسع ، بالإضافة إلى ظهور أعداد كبيرة من النساخين ،و كان يقوم على هذه المكتبات مشرفون و خزنة و خدم للقيام بمختلف الأعمال لإدارتها و الإشراف عليها و الإفادة من خدماتها المختلفة.

كان للمكتبات دور بارز في مجال التعليم والثقافة ، فلم يكن يخلو منها رباط أو مسجد أو مدرسة حتى كانت خزائن كتب بعض المدارس تضم عشرات الآلاف من المجلدات ، و يتولى أمرها خزنة ومشرفون ، كان بعضهم من كبار العلماء البارزين المشهورين في ذلك العصر، و احتضنت بغداد الكثير من خزائن الكتب العامة ابتداء من أول مؤسسة تعلمية وهي المساجد إلى أصغر مؤسسة

1- محمد محمد أمان : **الكتب الاسلامية** ، مكتبة الملك فهد ، الرياض 1990 ،ص 62

2-كوركيس عواد: **المرجع السابق** ، ج06 ،ص3

تعليمية وهي الأربطة ، أشهر ها خزانة الكتب التي أنشأها الخليفة الناصر لدين الله في دار المسناة، ونقل إليها الكتب من خزائنه في الدار الخليفة، فكانت دار علم لمفاوضة العلماء و مشاركتهم.

أما مكتبة المستنصرية فعادت من أشهر المكتبات بعد عودة ابن الفوطي إلى بغداد وإلى منزله الذي جعله ملتقى لكثير من الشخصيات، حيث أصبح خازن المكتبة المدرسة المستنصرية بدعوة من حاكم العراق علاء الدين أبو منصور عطا ملك الجويني عام (677هـ /1278م) ويكون بذلك شاهداً حالة الاستقرار وتحسن أحوال بغداد العلمية. أما المكتبات الخاصة فمع تعددها في هذا العصر فإنها كانت مقصورة على أصحابها.

وأسهمت خزائن الكتب ببعض ربط بغداد في حركة التعليم والثقافة بتهيئتها الكتب والمصادر للباحثين وطلبة العلم، ومن هذه المكتبات، خزانة كتب الرباط الخاتوني[1] ، وخزانة كتب رباط الحريم الطاهري، ودار الكتب برباط المأمونية ، وخزانة الكتب الجامعة في الرباط المجدي الذي أنشأه مجد الدين ابن الأثير القصري (ت685هـ/1287م).

المساجد:

استمرت بعض المساجد بعد الغزو المغولي في أداء وظيفتها التعليمية وأنشئت مساجد أخرى ببغداد وغيرها من المدن ساهمت في تنشيط الحركة العلمية في هذا العصر إسهاما كبيرا وكانت بغداد في هذه الفترة تعج بالمساجد، على حد وصف ابن بطوطة الذي زارها سنة (727هـ/1327م) حيث يذكر:

" وبهذه الجهة الشرقية من المساجد التي تقام فيها الجمعة ثلاثة أحدها جامع الخليفة[2] و هو المتصل بقصور الخلفاء و دورهم و هو جامع كبير ...لقيت بهذا المسجد الشيخ الإمام الصالح سراج الدين أبا

1- خزانة أوقفها الخليفة الناصر لدين الله العباسي في تربة زوجته سلجوقة خاتون (ت584هـ/1188م) ،بباب البصرة من الجانب الغربي في بغداد، وقد نقل إليها الكثير من كتب خزانته الخاصة. ابن الأثير: **الكامل** ، ج 10 ،ص 179، كوركيس عواد : **المرجع السابق** ،ج 06 ،ص 108

2 - جامع الخلفاء هو مسجد يقع في بغداد ، بناه الخليفة المكتفي بالله لكي يكون المسجد الجامع لصلاة الجمعة في شرقي القصر الحسني، وكان يعرف بجامع القصر، ثم أطلق عليه أسم جامع الخليفة، وسمي بجامع الخلفاء في الفترة الأخيرة، وهو من معالم بغداد التاريخية، وتم بناءه في عام289-295هـ، 902-908م)،ابن العماد :**المصدر السابق** ، ج 03 ،ص 265

حفص عمر بن علي بن عمر القزويني[1] مسند العراق[2] ، وامتاز جامع القصر عن غيره من جوامع بغداد ومساجدها بكثرة حلقات الدرس والمناظرة فيه.و الجامع الثاني الذي ذكره ابن بطوطة هو جامع السلطان[3] و هو خارج البلد و تتصل به قصور تنسب السلطان أما الجامع الثالث جامع الرصافة[4] و بينه و بين جامع السلطان نحو الميل.

ويذكر ابن الفوطي أن عز الدين يونس بن يحي الخالدي النيلى الخطيب العالم (ت 693هـ/1294م)استوطن بغداد، وسكن بالمسجد المجاور لدار القرآن بالمستنصرية،و كان يتردد الأصحاب إليه[5] ، و عَمر عماد الدين فتح ابن عبد الله الحبشي المستعصمي (ت716هـ/1316م) مسجدا إلى جانب داره بدرب الدواب[6] ببغداد، وجعل فيه المؤذن والإمام ، وأجرى لهما الرواتب، وبعد وفاته وقف داره و جميع مايتعلق به على أصحابه[7] وهكذا ظلت المساجد هي الأماكن الأساسية للدراسة و السماع و الإملاء و الوعظ و المناظرات العلمية ،و ملتقا للعلماء و طلاب المعرفة مما يفيد استمرار المسجد في أداء وظيفته العلمية إلى نهاية القرن السابع الهجري، وما بعده.

و قد اشتهر العديد من العلماء بملازمتهم الوعظ و التدريس في المساجد . فيذكر المؤرخ ابن الفوطي في ترجمة الإمام الخطيب محي الدين الحسن بن محمد بن سعيد البغدادي يعرف بالبناء أنه كان إماما بمسجد الناصر الدين الله قال: "شهد عند قاضي القضاة عماد الدين الزنجاني سنة إحدى وسبعين

1 – عمر بن علي بن عمر القزويني، أبو حفص، سراج الدين :(683 – 750 هـ 1284 – 1349 م) محدث العراق في عصره. ولد بقزوين، ونشأ بواسط، واشتهر وتوفي ببغداد. وعني بالحديث وسمع من الرشيد أبي سعد ابن أبي القاسم ومحمد بن عبد المحسن الدواليبي. له تصانيف، منها «الفهرست» أجاد فيه. السيوطي : **طبقات الحفاظ** ، دار الكتب العلمية، بيروت،1983،ص 358.

2 – ابن بطوطة : **المصدر السابق** ، ص 142.

3 – أسسه السلطان ملكشاه سنة 484هـ/1090م في محلة المخرم قرب دار السلطنة السلجوقية. – ابن الأثير: **المصدر السابق** ، 08 ،ص 483.

4 – أنشأ المنصور قصر الرصافة في الجانب الشرقي ألحق به مسجدًا جامعًا، وفي خلافة المهدي صارت تُقام فيه الجُمَع، ولم تكن تُقام الجُمَع في بغداد يومذاك إلا في مسجد المنصور ومسجد الرصافة.ياقوت الحموي : **المصدر السابق** ، ج03، ص46

5 – ابن الفوطي : **المصدر نفسه**، ج 01، ص373.

6– من محلات المشهورة بالجانب الشرقي من بغداد .الخطيب البغدادي : **المصدر السابق** ، ج04 ، ص87

7 – ابن الفوطي : **المصدر نفسه**،ج 02، ص ص 129-130.

وستمائة وكان إليه الخطابة بجامع بهليقا والإمامة بمسجد الناصر المقابل لسوق العميد يفهم مما ذكره أن في المسجد المذكور جهة خاصة بتعليم الصبيان"[1].

كما يمكن أن نعد تعمير جامع النبي يونس[2] و النبي جرجيس[3] في الموصل و توسيعهما أيام أباقاخان (661-668هـ/1263-1270م) جزءا من اهتمام المغول بالمؤسسات الدينية التي تقام فيها بعض النشاطات العلمية ذات الطابع الديني.

الربط:

من الأماكن المهمة التي كانت لها أثر كبير في إثراء الثقافة و نهضة التعليم، و قد كثرت ببغداد خلال هذه الفترة حيث تجاوزت الثلاثين حسب بعض الدراسات[4]. والربط جمع رباط وهي ما يبنى للفقراء أو المنقطعين للعبادة أو العلم وتعد من أهم مراكز الصوفية، إذ يمارس فيها التصوف سلوكا فضلا عن قيامها بوظائف دينية واجتماعية أخرى ،ولهذا لم تقتصر الربط على أن تكون دور للعبادة و الزهد، بل أصبحت مواضع للتأليف و التصنيف و الإقراء و التثقيف والمحاضرات ، إذ قامت الربط ببغداد، في النصف الثاني من القرن السابع للهجرة ، بدور اجتماعي كبير، وكانت مركز لالتقاء مختلف طبقات المسلمين ، ومكانا لعبادتهم واجتماعاتهم، والتآلف فيما بينهم وملجأ للمعوزين والفقراء وبخاصة طلبة العلم والفقهاء.

وقد أسهمت الربط في حركة التعليم والتأليف والإجازة في هذا العصر، وبخاصة فيما يتعلق بالعلوم الدينية و تورد المصادر أخبارا عن دورها، حيث يذكر ابن الفوطي سماعه على شيخه كمال الدين عبد

1 – ابن الفوطي : **الحوادث** ، ص265. ابن الفوطي : **مجمع الآداب في معجم الألقاب**، ج 05، ص ص 54-55.

2 – مسجد النبي يونس بسواد الموصل و آثاره عند نينوى القديمة في موضع يسمى تل التوبة على رأسه مسجد بنته جميلة ابنة ناصر الدولة ، وأوقفت عليه أوقافا جليلة.سليمان صائغ الموصلي : **تاريخ الموصل** ، دار الكتب العلمية بيروت،ج 02، ص 84.

3 – من المساجد القديمة في الموصل، كان أوال أمره مسجدا صغيرا وعلى مر العصور أخذ بالتوسع ، زاره ابن جبير سنة 580هـ/1184م ، كما يعرف بعرف بمشهد النبي جرجيس.سعيد الديوهجي : **الموصل في العهد الاتابكي** ،بغداد 1958، ص ص100-102.

4 – مصطفى جواد : **الرُبُط الصوفية البغدادية و أثرها في الثقافة الإسلامية** ،ص5

القادر بن محمد بن مسعود النجمي البواب (ت691هـ/1293م)[1] بقراءة جمال الدين أحمد بن علي القلانسي (ت704هـ/1304م) برباط الحلبة [2]،كما يذكر سماعه كتاب "الغنية "[3]للشيخ عبد القادر الجيلي(ت571هـ/1165م)[4] برباط الخلاطية[5] على شيخه العدل جمال الدين محمد بن الدباب البابصيري (ت685هـ/1287م)، وكانت بعض الربط مسكنا لأهل العلم.

ومارست الربط التعليم إلى جانب وظائفها الدينية الأخرى ، ويبدو أن الإدارة المغولية في العراق سمحت بذلك و اهتمت بتأمين أداء هذه الربط لوظائفها فقد قام عماد الدين القزويني بتعمير الربط ، و من ذلك تعيينه في سنة 657هـ/1259م للشيخ ركن الدين عبد الله بن حبيب الكاتب (ت683هـ/1285م)[6]شيخا للصوفية برباط الأصحاب[7] سنة 657هـ/1259م ، و أضيف إليه مشيخة رباط مجد الدين ابن الأثير سنة 672هـ/1274م[8] .

أما في الإجازة ، وهي ضرب من ضروب الشهادة العلمية ،فقد ذكر ابن الفوطي أن الشيخ كمال الدين أبي إسحاق إبراهيم بن محمد البوازيجي (ت700هـ/1300م)،أنه شرح كتاب التنبيه في فقه الشافعية ، و كتاب الروضة في الحساب ونظم الشرح في خمسمائة و خمسين بيتاً، وأنه رأه و اجتمع به

---

1 – الذهبي : **تاريخ الإسلام** ،ج 52،ص125. ابن الفوطي : **مجمع الآداب في معجم الألقاب**، ج 04، ص 184.

2 – رباط الحلبة هو رباط الشيخ عبد القادر الجيلي (ت 561هـ/1163م) يسميه ابن الفوطي بهذا الاسم نسبة إلى محلة باب الحلبة ، و هو أول رباط ظهر في بغداد إلى جانب المدرسة . عمر سليم عبد القادر التل : **المرجع السابق**، ص237.

3 – كتاب في العقيدة و التصوف ألفه عبد القادر الجيلي و جعله على خمسة أقسام ، الأول و الرابع في الفقه ، و الثاني في العقائد و الفرق الكلامية ، و الثالث للمجالس و الخامس في التصوف و قواعده.محمد عبد الله القدحات : **الحياة الاجتماعية في بغداد في العصر العباسي الأخير**، ص142.

4 – الشيخ عبد القادر بن أبي صالح عبد الله بن جنكي دوست أبو أحمد الجيلي ،الزاهد شيخ العصر و قدوة العارفين ، و مدرس الحنابلة صاحب الكرامات و المقامات ، انتهى اليه التقدم في الوعظ و الكلام . الذهبي : **العبر** ، ج 03، ص36.

5 – نسبة إلى السيدة سلجوقية خاتون بنت السلطان قلج أرسلان ، زوجة الخليفة الناصر ، بناه الخليفة و أفتتح سنة 585هـ/1187م. الغساني : **المصدر السابق**، ص205.

6 –الكاتب البارع زكي الدين عبد الله بن علي بن حبيب البغدادي ، شيخ رباط الأصحاب .تخرج به أئمة في براعة الخط ،كان عاقلا مصوناً نسخ الكثير و شاع نُبله. الذهبي : **تاريخ الإسلام** ، ج51، ص144.

7 – رباط بناه أبو سعد النيسابوري الصوفي في بغداد في زمن الخليفة القائم بأمر الله .ابن الجوزي : **المصدر السابق** ،ج16، ص235.

8 – ابن الفوطي : **الحوادث** ، ص 238/305.

في رباط ابن المحلباني المعروف بالبسطامي[1] سنة 688هـ/1289م و سأله أن يجيزه هو و إبنه أبي المعالي ، فتلفظ بذلك و كتب خطه في ذلك[2].

أما عن الزوايا، فقد ورد اشتغال محي الدين محمد بن يحي بن هبة الله بن المحيا العباسي الكوفي البغدادي (ت 703هـ/1303م) بالجلوس بالخلوة بزاوية كمال الدين أحمد بن عمر المراغي المعروف ببيبَيان (ت 685هـ/1286م) ،وان زاويته كانت محط الرحال من فضلاء الزمان ، يأوي إليه الحكماء ، ويلتجي إليه[3].

ويتضح أن المغول أولى عناية كبيرة للربط و الزوايا في العراق ، وأم دورها لم يكن مقصوراً على التعبد والتزهد ، بل أيضا كانت مواقع للتأليف و التصنيف و الإقراء و الإجازة و المحاضرات.

المدارس:

في سنة657هـ/1259م أُعيد فتح المدارس ببغداد و استؤنفت الدراسة فيها ، بعد قرابة سنة من غلقها فقد ذكر ابن الفوطي : " و لما نفذ الله قضاءه و قدره ، وقتل الخليفة و خربت بغداد ، وأحرق الجامع ، وعطلت بيوت العبادات و تداركهم الله بلطفه ، فأتاح لهم عناية عماد الدين أبي المعالي عمر بن محمد بن أبي العز القزويني فقدمها سنة 657هـ/1259م، و عمر المساجد و المدارس ورمم المشاهد و الربط وأجرى الجرايات في وقوفها على العلماء و الفقهاء و الصوفية و أعاد رونق الإسلام لمدينة السلام"[4].وهو ما يثبت ويؤكد أن المغول لم يهتموا بإعادة الحياة العلمية ببغداد ،بل أحد نوابهم نوابهم من المسلمين و هو عماد الدين الذي وصفه ابن الفوطي :" بمتانة الدين وحُسن اليقين"، و قد مدحه الشاعر الشيخ شمس الدين الهاشمي الكوفي:

---

1 – رباط ابن المحلباني ينسب إلى أبي الغنائم ابن المحلبان بانيه و إلى أبي الحسن البسطامي الصوفي الزاهد بعد تصدره في الرباط . ابن الفوطي: **المصدرالسابق** ، ص 17.

2– ابن الفوطي: **مجمع الآداب في معجم الألقاب**، ج 04، ص96

3– ابن الفوطي : **المصدر نفسه** ، ج 04، ص109

4 – ابن الفوطي : **الحوادث** ، ص238

أحيا المدارس من بعد الدروس بإلقاء الدروس حياة الأرض بالمطر

وعـاد كل رباط بعدما هُجرت أرجاؤه عامراً بالذكـر و السهر

رددت للجامـع المعمـور زينته الأولى وأثرت فيه أحسن الأثر[1]

وبلغ عدد المدارس التي عادت إلى نشاطها بعد الغزو إحدى عشر مدرسة من المدارس التي كانت موجودة في بغداد قبل الغزو، و التي كان عددها يتجاوز الثلاثين مدرسة قياسا لما ذكره ابن جبير في نهاية القرن السادس هجري حيث وجد فيها نحو ثلاثين مدرسة في جانبها الشرقي[2]. (أنظر الجدول رقم (03) ص 171).

وكانت المدرسة المستنصرية أول المدارس التي عادت للتدريس ، حيث يذكر ابن الفوطي ذلك و أنها فتحت ابعد الوقعة سنة سبع و خمسين ، وظلت الدراسة قائمة بها بعد ذلك بانتظام، حتى إن رعاية المغول لها زادت بعد إسلامهم فقد زار السلطان غازان المدرسة المستنصرية ، وزار خزانة كتبها قي أول سنة 696هـ/1296م ، و احتفل به العلماء .

ويعتبر المؤرخ ابن الفوطي من أهم الشخصيات التي تركت بصماتها في هاته المدرسة ،فقد عهد له صاحب ديوان العراق و حاكمها علاء الدين عطا ملك الجويني مهمة الإشراف على خزانة كتب المدرسة المستنصرية ، و لعل ذلك يعود إلى خبرته ودرايته جراء عمله كمشرف عام على خزانة كتب دار الرصد في مراغة لمدة عشرين سنة.

وقد عمل تحت إشراف ابن الفوطي في خزانة المدرسة المستنصرية ، علماء كبار أولهم فخر الدين

---

1 – ابن الفوطي: **تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب**، ج 04، ق02، ص ص 801 .802

2 – ابن جبير : **المصدر السابق**، ص 204 . قدرها ناجي معروف في كتابه المدارس المستقلة بالعراق بـ37 مدرسة. ناجي معروف : **نشأة المدارس المستقلة في الإسلام**،مطبعة الأزهر ، بغداد 1966، ص ص 19 . 23

محمد التفتازاني الفقيه المدرس[1] فقد قال ابن الفوطي في ترجمته له:" و استنابه شيخنا أبو حامد يحي بن شيخنا شمس الدين أبي المجد الخالدي في خزانة الكتب بالمستنصرية و كنت مشرفاً عليه بها"[2]، كما عمل تحت إشراف في عمله هذا تحت مجد الدين أبو علي عبد المجيد البغدادي ، المعروف بسنجر الطبيب [3].

و يؤكد ناجي معروف وجود طائفة كبيرة من رجال العلم بالمدرسة المستنصرية بلغ عددهم نحو مئتين وخمسين شخصية علمية جلهم في عهد المغول سنأتي على ذكر بعضهم في الإنتاج الفكري في نهاية هذا الفصل ، حفاظا على عدم إثقال المتن من خلال ذكر ممن درسوا في المدرسة خلال عهد المغول أو ممن تولوا فيها مهام أخرى[4] .

أما المدرسة النظامية التي أسسها نظام الملك وزير السلطان السلجوقي ألب أرسلان و نالت صيتا ذائعا في كل أنحاء العالم الإسلامي ، و تولى فيها التدريس أكابر العلماء الذين كان لهم دورا في تطوير الحركة العلمية بما خرجوا من طلبة نجباء كان للنظامية فضل كبير على تكوينهم الفكري ، و علو منزلتهم العلمية ، و بما تركوا من مؤلفات نفيسة، فقد عادت إلى نشاطها خلال هذا العصر .و تعاقب على التدريس الكثير من العلماء منهم الفقيه عز الدين أبو العز محمد بن جعفر البصري الشافعي (ت 672هـ/1274م) الذي استدعي من البصرة للتدريس بها في صفر سنة 658هـ/1260م بعد أن خلت من مدرس عقب الغزو[5]،و في سنة 672هـ/1274 عين نصر الدين الفاروثي الشافعي (ت 706هـ/1307م) مدرسا بالنظامية ، و كان قد درس في غيرها من المدارس الكبار[6]، أما الفقيه نور

1 . فخر الدين أبوبكر محمد بن عبد الله بن محمد التفتازاني (ت701هـ/1302م) سمع ببغداد علوم الحديث و التاريخ ،تولى القضاء بالجانب الغربي من بغداد ودرس في المدرسة البشيرية ببغداد. ابن الفوطي: **تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب**، ج 04، ق 03، ص333

2- ناجي معروف : **تاريخ علماء المستنصرية** ، ج 02، ، ص360

3 - مجد الدين أبو علي عبد الحميد بن عبد الله بن عبد الرحمن ، المعروف بلبن الصباغ البغدادي ، الحكيم الطبيب ، قدم بغداد في أيام السلطان العادل أرغون و معه فرماناً بخزانة كتب المستنصرية . ابن الفوطي: **المصدر نفسه**، ج 04، ص 456

4- ناجي معروف: **المرجع نفسه** ، ح 01، ض 37

5- ابن الفوطي: **المصدر نفسه**، ج01، ص ص309-310.

6- ابن العماد: **االمصدر السابق** ، ج 08، ص 26

الدين ابن التبان عبد الغني الحلبي الشافعي فقد رتب في المدرسة النظامية حتى توفي سنة 687هـ/1288م[1]، و بعد وفاته رتب نجم الدين محمد بن أبي العز الشافعي مدرساً بالنظامية سنة 687هـ/ 1288م إضافة إلى القضاء [2].

ومن المدارس التي استأنفت نشاطها عقب الغزو المغولي المدرسة البشيرية[3] ، و هي تشبه المدرسة المستنصرية في صفتها،شرع في بنائها سنة 649هـ/1251م ، في عهد المستعصم بالله و استمر بنائها أربع سنوات مما يدل على ضخامة بنائها و فخامتها و يظهر أنها لم تتعرض للتخريب ، فكان أول من درس فيها من المدرسين الحنابلة بعد الغزو المغولي هو الشيخ نور الدين أبو طالب عبد الرحمان بن عمر البصري العبدلياني (ت684هـ/1285م)[4] ، و ممن درس أيضا لطائفة الحنابلة في هذه المدرسة مظفر بن أبي بكر بن مظفر مظفر تقي الدين أبو الميامن الجوسقي البغدادي المعروف بالحاج (ت683هـ/1284م)[5].

وكان ممن تولى تدريس الشافعية في المدرسة بعد الغزو المغولي قاضي القضاة سراج الدين محمد بن أبي فراس الهانيسي [6]، ثم وليها بعده تاج الدين عبد الرحيم بن يونس الموصلي سنة 671هـ/ 1273م فلم تطل أيامه و توفي في آخر السنة[7].

مدرسة أخرى استمرت في التدريس بعد الغزو المغولي هي المدرسة الشرابية التي تأسست سنة 628هـ/ 1230م و تسمى أيضا المدرسة الشرفية أو الإقبالية نسبة إلى منشئها شرف الدين إقبال الشرابي ، وقد أوقف عليها الوقوف، وغرم عليها أموالا طائلة ، وكانت مخصصة لاستيعاب طلبة الفقه الشافعي ،فقد ذكر أن القاضي نجم الدين عبد الله بن كامل بن محمود القوساني كان مدرسا بها سنة

1- ابن الفوطي : **الحوادث**، ص 300

2 - ابن الفوطي : **المصدر نفسه** ، ص312

3- أنظر الفصل الأول ص 34

4- ابن رجب: **المصدر السابق** ، ج 04 ، ص 195

5 -ابن رجب : **المصدر نفسه** ، ج04 ، ص 190

6 - ابن الفوطي : **المصدر نفسه**، ص 263

7- ابن الفوطي : **المصدر نفسه** ،ص265

676هـ/1278م[1] ،كما ذكر ابن الفوطي انه سمع و كتب على خازن كتبها مجد الدين أبي الحسن علي بن أحمد بن هبة الله المعروف بابن الماوردي الواسطي الذي استوطن بغداد و كان نعم الشيخ[2].

أما المدارس التي استحدثت في العصر المغولي بالعراق فعددها محل اختلاف فهناك من ذكر أن مجموع المدارس التي أنشئت بعد الغزو المغولي وصل إلى إحدى عشر مدرسة في بغداد فقط[3] من غير غير ذكر المدارس الأخرى التي ظهرت مثلا في واسط[4] هي:

المدرسة العصمتية :

أمرت بإنشائها زوجة علاء الدين عطا الله الجويني صاحب الديوان ، مجاور مشهد عبيد الله ظاهر بغداد و سميت العصمتية [5]، ووقفتها على الطوائف الأربع ، و بنت إلى جنبها تربة لها و رباطا للمتصوفة ، و فتحت في سنة 671هـ/1273م ، و رتبت فيها القاضي عز الدين أبو العز محمد بن جعفر البصري مدرساً للطائفة الشافعية ، و عفيف الدين ربيع بن محمد الكوفي مدرس الحنفية[6] ، والفقيه البارع شرف الدين داود الجيلي مدرّس للحنابلة[7] ، و مجد الدين المعروف بشقير الواعظ مدرس مدرس المالكية [8].

1- ناجي معروف : **المدارس الشرابية ببغداد و واسط و مكة ، مطبعة الإرشاد** ، بغداد1965، ص 147

2- ابن الفوطي: **مجمع الآداب في معجم الألقاب**، ج04، ص ص 464-465

3- ناجي معروف : **نشأة المدارس المستقلة في الإسلام**، ص ص 23 -24.

4 – مدرسة ناصر الدين الصاحبي في أعمال واسط بناها الملك ناصر الدين قتلغ شاه الصاحبي ، الذي عمله الصاحب علاء الدين الجويني ، وكان صدراً في اعمال واسط ثم رُتب مشرفاً بالعراق. ابن الفوطي : **الحوادث** ، ص 314 ،ناجي معروف : **المدارس الشرابية ببغداد وواسط و مكة** ، ص 269.

5- أنشأتها شاه لُبنى الملقبة بعصمة الدين و هي أم رابعة المتوفاة سنة 678هـ/1280م.ناجي معروف: **المرجع نفسه** ، ص24.

6- عفيف الدين أبو محمد ربيع بن محمد بن أبي منصور الكوفي القاضي الحنفي ،كان من القضاة العلماء الأدباء ، ولي التدريس بالعصمتية ، و كان أديبا فاضلا ، عالما بالكلام و الأصول. ابن الفوطي : **مجمع الآداب في معجم الألقاب**، ج 01 ، ص 440.

7- الفقيه ، البارع ، الأصولي ، المناظر ، درس ببغداد بالمدرسة المستعصمية ، ثم درس بالمستنصرية ، و صنف في أصول الفقه ، و في أصول الدين . ابن رجب : **المصدر السابق** ، ج04 ، ص 324.

8- ابن الفوطي : **الحوادث** ، ص ص 264 - 265.

مدرسة ابن القاضي دقوقا :

وكانت على دجلة بباب الأزج من الجانب الشرقي ، و هي مدرسة للحنفية أتم بناءها بهاء الدين عبد الوهاب المعروف بابن القاضي دقوقا التغلبي (ت 688هـ/1289م) و كان ذا مال و جاه و دفن فيها . وكان أخوه فخر الدين التغلبي بدأ بإنشائها سنة 664هـ/1266م [1].

المدرسة العلائية « الشاطئية»:

أنشأها علاء الدين علي بن عبد المؤمن التركستاني سنة 693هـ/1294م على شاطئ دجلة بحضرة الجسر العتيق، وهي من مدارس الجانب الشرقي ، وهي جميلة البناء ،شاهقة الأرجاء ، حضر يوم افتتاحها القاضي الحنفي بدر الدين محمد[2] .

المدرسة الامامية البكرية :

بناها الملك امام الدين يحي البكري القزويني صاحب ديوان بغداد (ت700هـ/1300م) ،و قد دفن في تربة عملها لنفسه في مدرسته ببغداد[3].

ومن المدارس التي أنشئت في عهد المغول ببغداد مدرسة مجد الدين ابن الأثير (ت 685هـ/1287م) بناها ببغداد و دفن فيها ، و المدرسة الغازانية نسبة إلى سلطان محمود غازان أنشأها بباب الظفرية بالجانب الشرقي من بغداد ، و المدرسة الشاطئية التي أنشأها مودود بن عبد المؤمن بن التركستاني السوكورجي بالجانب الشرقي[4].

ويبدو أن هناك مدارس أخرى ظهرت طيلة الوجود المغولي في العراق غيرها أنها خارج الإطار الزماني للدراسة و بالتالي فان المدارس التي أنشئت في الفترة محل الدراسة لايتجاوز عددها عشرة مدارس في كل أنحاء العراق، و عليه فان كل ما أعيد فتحه من مدارس بعد واقعة بغداد و ما بنته الإدارة المغولية

1- ابن الفوطي : **المصدر نفسه**، ص 315.

2 – ابن الفوطي : **مجمع الآداب في معجم الألقاب**، ج 02، ص 329

3 –ابن الفوطي : **الحوادث** ، ص 33

3- ناجي معروف : **نشأة المدارس المستقلة في الإسلام**، ص 24

في العراق من بعد لا يصل إلى نصف المدارس التي كانت موجودة فبل الغزو و هو ما يدعم ما ذهبت إليه بعض الدراسات القديمة و حتى الحديثة من أن الحياة العلمية تراجعت و عانت، وأن العراق فقد مكانته العلمية[1].

جدول رقم (03): خاص بأسماء المدارس التي استأنفت نشاطها في بغداد بعد الغزو المغولي[2]

الرقم	المدرسة	تاريخ البناء	الموقع
01	المدرسة النظامية	459هـ/1066م	الجانب الشرقي من بغداد
02	مدرسة مشهد أبي حنيفة	459هـ/1066م	باب طاق-بغداد
03	مدرسة جامع السلطان	485هـ/1092م	الجانب الشرقي من بغداد
04	المدرسة التشتية	508هـ/1114م	درب دينار
05	المدرسة الثقتية	549هـ/1154م	باب الأزج
06	مدرسة دار الذهب (الفخرية)	568هـ/1172م	الجانب الشرقي من بغداد
07	مدرسة الأصحاب	589هـ/1193م	الغربية
08	المدرسة الشرابية	628هـ/1230م	الجانب الشرقي من بغداد
09	المدرسة المستنصرية	631هـ/1233م	شط دجلة-دار الخلافة
10	المدرسة المجاهدية	637هـ/1239م	دار الدويدار –بغداد
11	المدرسة البشيرية	653هـ/1255م	الجانب الغربي

1 - ابن خلدون : **تاريخ ابن خلدون** ، ج 01 ، ص 528 . الدوري : **دائرة المعارف الإسلامية "بغداد"**، دار الكتاب اللبناني،بيروت 1984، ص118.

2 - ابن الجوزي: **المصدر السابق**، ج 16، ص 91. البنداري : **المصدر السابق** ، ص 31. ناجي معروف: **نشأة المدارس في الإسلام**، ص23/21. ياقوت الحموي: **المصدر السابق** ، ج 01 ، ص 168. ابن الجوزي: **المصدر نفسه**، ج18، ص200. ناجي معروف: **نفس المرجع**، ص23.

ثالثا: المجالس العلمية

أدت مجالس العلماء دوراً كبيراً في نشر العلم و توسيع التعليم ، حيث يجتمع فيها العلماء والمتعلمون ، كما كانت تدور فيها المحاورات و المناقشات العلمية و المناظرات التي كانت تتناول مختلف فروع العلم كالحديث و الفقه و اللغة و الأدب ، وشهدت بغداد بالذات في هذه الحقبة اتجاها ملحوظا وتنافسا في عقد هذه المجالس العلمية من قبل العلماء والأدباء ،والتي كان لها أثر في انتعاش الحياة العلمية وقد أخذ هذا النشاط أشكالا عدة:

أ – عقد المجالس العلمية في الدور الخاصة :

1- مجلس بهاء الدين علي بن عيسى الأربلي (ت 692 هـ/1291م)

ذكر ابن الفوطي أنه كان ممن يتردد إليه [1].

2- مجلس الصاحب عز الدين بن الحسن بن علجة ،حيث يذكر ابن الفوطي أن أكثر من خمسمائة شخص اجتمعوا في داره ببغداد لسماع الحديث و القراءة [2].

3- مجلس مجد الدين أبي محمد بن إسماعيل الرشيدي العباسي السامري وهو نقيب من تخلف من بني العباس بالعراق. قال ابن الفوطي : وكنت أغشى مجلسه في الأحيان فأجد من مكارم أخلاقه و طيب أعراقه مايُدلني على أريحيّته[3].

4- مجلس الصدر الكبير ركن الدين بن توبة الموصلي عقد في منزله في الجانب الغربي من بغداد، وقد سمع فيه ابن الفوطي مع ابنه كمال الدين أبو محمد الحسن في جمادى الآخرة سنة 680هـ/1281م).[4]

1 – ابن الفوطي: **تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب** ج4، ق01، ص ص 570- 571 .

2 – ناجي معروف:**تاريخ علماء المستنصرية** ، ج2، ص 350 .

3 – ابن الفوطي: **المصدر نفسه**، ،ج 04، ص 399

4 – ابن الفوطي: **المصدر نفسه** ، ج 05، ص 671

5- مجلس أبي الفتح نصر الله بن رجب بن أبي الفتح المعروف بابن الصيقل الجزري في داره المجاورة الرباط القصر وللمدرسة المستنصرية حيث كان يعرض فيها جانبا من كتابه المقامات الزينية.[1]

ب- عقد المجالس العلمية في المدارس والأربطة:

عرفت مؤسسات بغداد التعليمية عقد مجالس علمية بين حين وآخر ومن أبرزها:

1- مجلس عز الدين أبو الحسن علي بن أحمد محمد البكري السهروردي (ت710هـ-1277م) نزيل بغداد شيخ رباط سعادة ،يقول ابن الفوطي : "و عظ في صباه و حضر مجلسه أئمة مدينة السلام) [2].

2- مجلس كمال الدين ابراهيم ابن يحي البوازيجي :

قال ابن الفوطي : " رأيته واجتمعت به في رباط ابن المحلباني المعروف بالبسطامي سنة 688هـ/1290م ومما أملاه على شيخنا من تصانيفه كتاب المنتظم في شرح التنبيه في الفقه وكتاب الروضة في الحساب ، و سألته أن يجيزني و لإبني أبي المعالي [3].

3- مجلس شرف الدين بن شمس الدين الجويني في المدرسة النظامية:

جاء ذكره ضمن أحداث سنة 671هـ /1273م :"... وفيها جلس خواجة شرف الدين هارون ابن الصاحب شمس الدين بن الجويني صاحب ديوان الممالك على السدة بالمدرسة النظامية، وألقي دروسا، وحضر علاء الدين صاحب الديوان، وكان أرباب الدولة والمدرسون والعلماء والفقهاء تحت سدته، وأنشد الشعراء بعد فراغه [4].

4- مجلس فخر الدين عمر المعين الأرموي في دار الفلك:

---

1 - ناجي معروف: **المدرسة المستنصرية** ، ج 02 ، ص 295

2 - ابن الفوطي: **مجمع الآداب في معجم الألقاب** ، ج 01 ، ص ص 252-253

3 - ابن الفوطي :**المصدر نفسه**، ج 04، ص96

4 - ابن الفوطي: **الحوادث الجامعة**، ص 256

أشار ابن الفوطي أن فخر الدين عمر المعين الأرموي (ت 693هـ/1295م) قدم بغداد و اتخذ دار الفلك مجلسا للوعظ، وكان كثير من الناس يغشون مجلسه [1]

5- مجلس ابن الغوطي في مشهد البرمة في المحلة الجعفرية سكن ابن الفوطي هذا المشهد ببغداد مع شيخه غياث الدين عبد الكريم بن طاووس العلوي الشيعي الامامي وتردد العلماء والأدباء فيه[2].

6- المجالس العلمية العشر التي كانت تعقد في رواق المستنصرية سنة 676هـ/1278م لسماع "المقامات الزينية" التي أنشأها أبو الفتح بن الصيقل ، و التي استمرت شهرين ويومين، وانتهت في السابع عشر من جمادى الآخرة من السنة ذاتها .

كان الهدف وراء هذه المجالس سماع (المقامات الزينية) التي ألفها أبو الفتح نصر الله ابن رجب بن أبي الفتح المعروف بابن الصيقل الجزري وتتألف هذه المقامات من خمسين مقامة منها: البغدادية، الطوسية ، اللاذقية....[3]، ويبدو أن دعوات وجهت إلى عدد كبير من علماء و أدباء بغداد و غيرها من داخل العراق وخارجه لحضور هذه المجالس حيث تولى المصنف المشار إليه إلقاء هذه المقامات من حفظه عليهم.

وقد نظمت جلسات كل مجلس، وتولى أحد العلماء الذين حضروا سماع المقامات، تدوين أسماء الحاضرين في كل مجلس مع تحديد المكان الذي عقد فيه المجلس و عدد المقامات التي سمعها، وكان عدد من حضر هذه المجالس الأدبية من علماء بغداد 160 رجلا من " الأئمة الكبار العلماء، والسادة الفضلاء العلماء ممن ينتسبوا إلى الجزيرة، والبصرة، والموصل، وحلب، وسنجار، والمشهد، وارمية، وسهرورد، و المدائن، و الكرج، و الكوفة، وحران، والحصن، وواسط، والدور، وطبرستان، وهراة، وتكريت، و خوى، وظفار، وشهرزور، وكازرون، وأربيل، وصرصر، واليمن، ونصيبين، والحلة،

1 – ابن الفوطي: **تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب** ج4، ق3، ص 271، **الحوادث** ، ص329

2 – ابن الفوطي: **مجمع الآداب في معجم الألقاب** ، ج 01 ، ص26

3- ناجي معروف: **المدرسة المستنصرية** ، ج 02 ، ص 456

وأمد، وشهرابان، وسمرقند، وجاجرم، و الأزج، و الكرخ، و المغرب، و اوانا، ودمشق، و غيرها"[1].

إن حضور هذا العدد الكبير من أماكن مختلفة من داخل العراق وخارجه يوضح مدى النشاط الأدبي الذي تمخضت عنه الحياة العلمية في بغداد في هذا العصر ، كما أنه يوضح المكانة العلمية الكبيرة التي ظلت تحتلها بغداد آنذاك .

ج – المناظرات:

ساهمت المناظرات خلال هذه الفترة العصيبة من تاريخ العراق على الأقل في استمرار الحركة العلمية ، لأن المناظرة إن كانت تتم أمام سلطان أو أحد كبار رجال الدولة ، فان المشتركين فيها يحرصون على إتقان مادتها العلمية حتى يدعم كل طرف رأيه بالأسانيد المعقولة والمقبولة ، ويحظى بتقدير الحاضرين ،وكانت هذه المناظرات تعقد في المساجد و المدارس و البيوت و في المناسبات، وزادت الخلافات في الرأي بين العلماء في انتشارها نوعا ما، و اعتبروها وسيلة ناجحة و مهمة للتعليم، و قد تناولت فروع العلم المختلفة كالحديث و الفقه وعلم الكلام و اللغة والأدب.

و يذكر ابن الفوطي في حديثه عن عماد الدين محمد بن علي الشيباني الحلي أنه كان ممتع المحاضرة والمذاكرة كثير المحفوظ، حسن المحاورة[2].

وباستثناء ابن الفوطي الذي تحدث عن المناظرات التي كانت تجرى في بغداد ومدن أخرى بالعراق على قلتها يتأكد لدى أي باحث أن زمن المناظرات التي عرفت ازدهار كبيرا في القرنين الخامس والسادس الهجريين / الحادي عشر والثاني عشر ميلادي ، كتلك المناظرات التي جرت بين ابن الجوزي وأبو الخير القزويني سنة 571هـ/1173م ، أو تلك التي جرت بين أحد أكبر منظري الحنابلة المتكلم أبو الوفاء ابن عقيل (ت513هـ/1115م) ، وبين علماء بغداد على اختلاف مذاهبهم قد انتهى.

---

1 – ناجي معروف، **المرجع السابق** ،ص 455.

2 – ابن الفوطي : **تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب**، ج 04،ق02، ص831

وتعود أسباب هذا النقص في المناظرات باستثناء تلك المحاورات التي دارت بين بعض علماء المدرسة المستنصرية إلى تراجع حدة الخلافات والصراعات الفكرية والمذهبية التي كانت قائمة بين مختلف طوائف المجتمع البغدادي ، بسبب تراجع نشاطها الفكري وسيطرة تياري الصوفية والإمامية على الحياة العلمية في العراق خلال هذه الفترة.

رابعا: الإنتاج العلمي في العراق بعد الغزو المغولي:

ظهر في العراق خلال هذه الفترة عدد لابأس به من العلماء في مختلف اختصاصات العلوم النقلية والعقلية (**أنظر الشكل رقم: (03) ص**) ، وأكد هذا العدد من العلماء مدى رغبة بغداد في استعادة المكانة العلمية المتميزة التي كانت عليها ومواصلة العطاء الفكري ، من خلال استئناف بعض المؤسسات الفكرية والعلمية التي كانت منتشرة في العراق نشاطاتها في تلك الفترة في محاولة لجعل منه مركزا فكريا وثقافيا في العالم الإسلامي.

أما العلوم النقلية ففي مقدمتها الدراسات الدينية :

1- الدراسات الدينية :

القرآن الكريم :

لقد أسهم في دراسة القرآن الكريم وعلومه ، عدد من العلماء منهم شهاب الدين محمود ابن أحمد بن بختيار الزنجاني (ت 656 هـ/1258م) الذي أقام في بغداد وبرع في المذهب والخلاف والأصول ، و درس بالنظامية ، وعُزل ، ودرس بالمستنصرية،وصنف تفسير القرآن، تولى القضاء وقضاء القضاة ببغداد[1].وألف فيه جمال الدين أحمد بن موسى بن جعفر بن طاووس الحسني الحلي (ت673هـ/1275م) وكان مجتهدا واسع العلم إماما في الفقه والأصولين والأدب والرجال ، ومن

1 - السبكي : **المصدر السابق** ، ج 08، ص 368.

أروع أهل زمانه وأتقنهم وأثبتهم و أجلهم، حقق الرجال والرواية والتفسير تحقيقا لا مزيد عليه كتابا في هذا الفرع من المعرفة سماه "شواهد القرآن " بمجلدين[1].

و ألف نور الدين أبو طالب عبد الرحمن بن عمر بن أبي القاسم بن علي البصري (ت 684 هـ/1286م) البغدادي الحنبلي الواعظ صاحب التصانيف المشهورة في أنواع العلوم من التفسير والحديث والفقه والوعظ والزهد والتاريخ وغير ذلك، كان مبرزا في التفسير وفي الوعظ وفي التاريخ ومتوسطا في المذهب وفي الحديث كتاب "جامع العلوم في تفسير كتاب الله الحسى القيوم"[2].

أما برهان الدين محمد بن محمد بن محمد المشهور بالبرهان النسفي (ت 687 هـ/1289م) الذي عرف بشيخ الفلسفة ببغداد ، وكان إماما فاضلا مفسرا ، محدثا ، أصوليا ومتكلما ، لخص كتاب "تفسير الأحلام "ي للإمام فخر الدين الرازي ، و له مقدمة في الخلاف تحفظ مشهورة[3].

وممن برز في هذه الحقبة نجيب الدين يحيى بن احمد بن يحيى بن سعيد الهذلي الحلي (ت 689 هـ/1291م) الموصوف بالإمام العلامة الورع القدوة ، وكان جامعا لفنون العلم الأدبية الفقهية والأصولية ، وكان أورع الفضلاء و أزهدهم ، صنف كتب منها : "المدخل في أصول الفقه" و "نزهة الناظر في الجمع بين الأشباه و النظائر"،و" الفحص والبيان عن أسرار القرآن " [4].

و من مفسري القرآن بالعراق في هذه الفترة عز الدين محمد بن عبد الله بن أبي السعود البصري (ت 672هـ/ 1274م) الذي استدعي سنة 658 هـ/1260م من البصرة للتدريس بنظامية بغداد ، إذ كان عارفا بالمذهب والأصول والخلاف ، و كان متبحراً في علم التفسير[5]. ومحب

1 – ابن الفوطي : **الحوادث الجامعة**، ص 270
2 – ابن العماد : **المصدر السابق** ، ج 07، ص ص 674-675
3 – محي الدين أبي الوفاء القرشي الحنفي: **المصدر السابق**، ج03، ص 351
4 – عمر رضا كحالة : **معجم المؤلفين** ، مؤسسة الرسالة، بيروت 1993، ج 04، ص 87
5 – ابن الفوطي : ا **المصدر نفسه**، ، ص 264

الدين مصدق أبو الفتح أحمد بن محمد بن أبي الفتح المعروف بمصدق البغدادي المحدث المقرئ (ت 677هـ/1279 م) من فقهاء المستنصرية و كان عارفاً بالتفسير و أسباب النزول[1].

وأورد ابن الفوطي أن عز الدين الحسن بن احمد بن محمود المعروف بابن القصير الواسطى انه قدم بغداد سنة 691هـ/1293م ،و كان حافظا واعظا أديبا عالماً.ووعظ في رباط بالأَجمة[2] ، واجتمع له الأصحاب و حصل له القبول في القلوب ثم وعظ بباب بدر[3] ،وكان كثير المحفوظ من كل فن، و كتب الكثير بقلمه الدقيق من ذلك الكشاف للزمخشري ،و كتاب المصابيح ، و كتاب مفاتيح الغيب في التفسير لفخر الدين الرازي »[4].

وكان الكشاف يدرس بالكوفة من قبل محيي الدين صالح بن عبدالله بن جعفر المعروف بابن الصباغ الكوفي الحنفي (ت 727هـ) «فضلاء الدهر وأعيان علماء العصر »[5]، ويتميز هذان التفسيران بالاعتماد على الرأي ، فالزمخشري يستدل في كشافة بالاسلوب العقلي ، و هو قليل الاعتماد على المأثور في التفسير ، كثير العناية بتوضيح وجوه البلاغة والاعجاز في القرآن بعبارة موجزة.

وكذلك الرازي الذي سلك في تفسيره الأسلوب الفلسفي في الاستدلال. وفي هذا دلالة واضحة على انتشار هذا النوع من تفسير القرآن في هذا العصر ، مما ينم عن طابع الحياة الفكرية فيه. والظاهر أن هذا الطابع العقلي هو الذي دفع بعض المحافظين من العلماء منهم سراج الدين عبد الله بن عبد الرحمن الشارمساحي (ت669 هـ) مدرس المالكية بالمستنصرية، إلى تأليف كتاب « المآخذ » على

1 – ابن الفوطي : **مجمع الآداب في معجم الألقاب** ، ج 05، ص8

2 – محلة من محال بغداد الشرقية أنشئت في عهد الخليفة المقتدي بأمر الله

3 – أحد أبواب دار الخلافة العباسية من الجانب الشرقي من بغداد ، كان أولا يسمى باب الخاصة ، يدخل منه من سمت منزلته ثم نسب بعد ذلك الى بدر أحد خواص الخدم.صفي الدين عبد المؤمن : **المصدر السابق** ، ص 1322

4 – ابن الفوطي : **المصدر نفسه**، ج01 ، ص ص 114-115

5 – ابن الفوطي : **المصدر نفسه** ،ج05 ، ص ص 59-60

تفسير الرازي مظهرا ما فيه من الزيف والبهرج حسب تعبيره[1].

ووردت أسماء عدد من كتب علوم القرآن التي كانت تدرس بالعراق في هذا القرن، منها كتاب فضائل القرآن، و كتاب التنبيه، وكتاب المهذب، وكتاب الوسيط، وكتاب المصباح، والمفيدة في القراءات العشر ، وكتاب المستنير، وكتاب التبصرة، وكتاب التيسير، وكتاب التجريد و غيرها.

وكانت ببغداد في هذا العصر، دور خاصة بدراسة القرآن وعلومه ، عرفت بدور القرآن ، منها دار القرآن المستنصرية ، ودار القرآن التي أمرت بعمارتها والدة الأمير أبي نصر محمد بن الخليفة المستعصم» وافتتحت سنة 652هـ/1254م[2]، ودار القرآن المجاورة لمدرسة بهاء الدين بن قاضى دقوق بباب الأزج.

وتذكر المصادر عددا غير قليل من قراء العراق في هذا العصر ، كان من أبرزهم محمد بن عمر بن أبي القاسم بن الداعي الرشيدي الواسطي (كان حيا سنة 664هـ) ومجد الدين عبد الصمد بن أحمد بن عبد القادر بن أبي الجيش البغدادي (ت676هـ) ، ويوسف بن جامع ابن أبى البركات . وابن رفيعا الجزري الحنبلي أبو محمد ضياء الدين عبد الله بن إبراهيم بن محمود الضرير شيخ القراء بالموصل (ت 679هـ/1280م) قرأ بالروايات السبع على ابن مفلح البغدادي نزيل الموصل فقد كانت الموصل قبل غزوها من قبل المغول كعبة لطلاب العلم وشيوخه ، وصنف عدة كتب في القراءات وغيرها ، و نظم قصيدته المعروفة بلامية شيخ القراء بالموصل في الفرائض[3].و من أشهر علمي القراءات و التفسير في العراق خلال فترة الدراسة أيضا ابن خروف الوراق الموصلي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن علي ابن أبي القاسم بن أبي العشرين (ت 727هـ/1326م) الفقيه الحنبلي المقرئ المحدث ، رحل إلى بغداد سنة 660هـ/1262م فدرس بها الحديث و قرأ القراءات بالروايات

1 – ناجي معروف : **تاريخ علماء المستنصرية** ، ج 01، ص 135.
2 – الغساني : **العسجد المسبوك** ، ص 603
3 – ابن رجب : **المصدر السابق**، ج 04، ص155

السبع و العشر ، ثم رجع للموصل و صار إماما للقراءة[1].

الحديث :

أسهم عدد من علماء العراق في دراسات علوم الحديث وفي التأليف فيه منهم قاضي قضاة الحنابلة، المحدث الحافظ مسعود بن أحمد بن مسعود البغدادي الحنبلي (ت711هـ/1311م) وقد رحل إلى الأقطار المختلفة في طلب الحديث وسماع مشايخه[2]، صنف «شرح بعض سنن أبي داود» وخرج لنفسه «آمالي » و تكلم فيه عن الحديث و رجاله و على التراجم ، وشرح قطعة من كتاب«المقنع»[3]، وكذلك المحدث ،الصوفي محمد بن عبد الله بن عمر البغدادي الحنبلي (ت707هـ/1317م) فقد عني بالحديث و خرج لنفسه «كان عالما،صالحا ، من محاسن البغداديين و أعيانهم »، و خرج لنفسه «السباعيات»،ولي مشيخة دار الحديث المستنصرية[4] ، وممن ألف في الحديث في هذا العصر ، محمود بن علي بن محمود بن مقبل الدقوقي ثم البغدادي (ت733هـ/1333م) المحدث،الحافظ، الواعظ ، انتهى إليه علم الحديث ببغداد له كتاب «مطالع الأنوار في الأحبار و الآثار الخالية عن السند و التكرار» ، و كتاب« الكواكب الدُرية في مناقب العلويَّةَ »[5] . وممن اشتهر في هذا الحقل في هذه الفترة عبد الجبار بن عبد الخالق بن محمد بن أبي نصر العكبري البغدادي (ت 681هـ/1283م)،شيخ الحنابلة ، و شيخ وعاظ زمانه ، صنف «مراتع المرتعين في مرابع الأربعين في أخبار سيد المرسلين » كما اشتغل بالفقه و الأصول والتفسير والوعظ[6] .أما الحسين بدران بن داود البابصري البغدادي(ت749هـ/1349م)، الفقيه ،المحدث، فكانت له مشاركة حسنة في علوم الحديث حيث ولي إفادة المحدثين بدار الحديث "المستنصرية"،

---

1 – ابن رجب : **المصدر السابق** ، ج04، ص ص474-476

2 – ابن العماد : **المصدر السابق** ، ج 8، ص 53.

3 – ابن رجب : **المصدر نفسه**، ج04، ص ص 387-390

4 – ابن رجب : **المصدر نفسه** ، ج04، ص ص 361-363

5 – ابن كثير : **المصدر السابق** ، ج18، ص357، ابن رجب: **المصدر نفسه** ، ج05، ص46

6 – ابن الفوطي : **الحوادث** ، ص 296، ابن العماد : **المصدر نفسه**، ، ج07 ، ص 652

وصنف «مختصر في علوم الحديث »[1] .

ومن أبرز من عني بالحديث وألف فيه من علماء الإمامية في هذا القرن ، جمال الدين أحمد بن موسى بن جعفر بن طاووس الحسني الحلي (ت 673هـ/1275م) الذي حقق الرجال والرواية والتفسير تحقيقا لا مزيد عليه، و يعزي إليه تقسيم الأحاديث والأخبار - لأول مرة عند الأمامية - إلى أقسامها الأربعة المعروفة: الصحيح والموثق والحسن والضعيف إذ كانوا قبل ذلك يعتمدون على القرائن الخارجية والداخلة في تقييم الخبر[2]. فقد ألف ابن طاووس هذا كتابا واسعا في سير الرواة وأحوالهم ، جمع فيه ما في كتب الرجال الإمامية الرئيسة ، سماه « حل الإشكال في معرفة الرجال»[3]، ثم جاء دور تلميذه ، جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهر الذي عرف بالعلامة الحلي (ت726هـ/1326م)، فألف عدة كتب في الحديث ورجاله، تدل على تميزه و براعته فيهما ، إذ له في الحديث كتاب "استقصاء الاعتبار في تحرير معانى الأخبار" وكتاب "مصابيح الأنوار" ، وكتاب "الدر والمرجان في الأحاديث الصحاح والحسان" ، وكتاب "النهج الوضاح في الأحاديث الصحاح"، و كتاب "جامع الأخبار وله في رجال الحديث "،و كتاب "كشف المقال في معرفة الرجال" ،وكتاب "إيضاح الاشتباه في أسماء الرواة "، وكتاب "خلاصة الأقوال في معرفة الرجال"[4].

هذا و نلاحظ عناية العلماء بالإجازات العلمية والحصول عليها من داخل العراق وخارجه. وقد قصد العراق في هذا العصر - عدد غير قليل من طلبة و علماء البلدان الإسلامية لسماع الحديث على علمائه، إذ كان فيه عدد من المبرزين في هذا العلم، منهم شهاب الدين محمد بن يعقوب بن أبي الفرج بن أبي الدنية الأزجي البغدادي الحنبلي (ت680هـ/1282م)، مسند العراق قال عنه ابن

1 - ابن رجب : **المصدر السابق** ، ج05، ص ص 144-146، ناجي معروف : **تاريخ علماء المستنصرية** ، ج 01، ص 261.

2 -ابن الفوطي : **الحوادث الجامعة** ، ص 125- خير الدين زركلي :**المرجع السابق**،ج01، ص261

3 - وليد بن أحمد الحسين الزبيري و آخرون: **الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والاقراء و النحو و اللغة** ، مجلة الحكمة ، بريطانيا 2003، المجلد 01، ص ص 433-435

4 - ابن تغري بردي : **المصدر السابق** ، ج 9، ص 4.192 - الذهبي : **العبر في خبر من غبر** ، ج04، ص 77

الفوطي «كان أمينا مسندا ... ثقة جليلا »[1] ومنهم ، جمال الدين محمد بن محمد بن علي بن الزيات البابصري البغدادي الحنبلي (ت685هـ/1287م) الذي كان شيخا عالما زاهدا عابدا عارفا ثقة عدلا مكثرا مسندا صحيح السماع[2] ، و منهم كمال الدين عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن محمد المعروف بابن وريدة و ابن الغويرة البزاز البغدادي الحنبلي (ت697 هـ/1298م) و هو شيخ جليل ثقة مسند مكثر صحيح السماع، قال الذهبي «كنت أتحسر على الرحلة إليه»[3]، ومنهم رشيد الدين محمد بن أبي القاسم عبد الله بن عمر السلامي الحنبلي (ت707هـ/1308م) الذي وصف بأنه «شيخ عالم فاضل ثقة عدل عارف زاهد عابد مكثر » [4]وغيرهم كثير .

وكان من عادة علماء الحديث والمعنيين بسماعه في هذا العصر ، تصنيف، مشيخة أو معجم لشيوخهم الذين قرأوا عليهم وسمعوا منهم ، من ذلك معجم شيوخ المؤرخ المحدث ابن النجار(ت643هـ/1245م)[5] ،و مشيخة المؤرخ تاج الدين ابن الساعي (ت 674هـ/1276م وغيره [6].

الفقه :

رغم تأثر الفقه خلال هذا العصر بالأحوال السياسية الا أن الكثير من الفقهاء اشتهر نتيجة الاهتمام و الاحترام الذي كان يحظى به كل من يشتغل بالعلوم الشرعية ، و لم تكن هذه الشهرة قاصرة على مذهب دون غيره بل كانت تشمل جميع المذاهب ، و لعل في مقدمة المذاهب التي ظلت تنشط علماء الفقه

---

1 - الذهبي : **المصدر السابق** ، ج03، ص 346

2 - ابن العماد : **المصدر السابق** ، ج 7، ص 683

3 - ناجي معروف : **تاريخ علماء المستنصرية** ، ج 01، ص 240.

4 - الذهبي :**المصدر السابق** ، ج 04 ، ص 16

5 -الحافظ ابن النجار ، محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن بن النجار البغدادي ، سمع الكثير ، ورحل شرقا و غرباً، نزل محدثا في جماعة المحدثين بالمدرسة المستنصرية ، جمع أشياء كثيرة منها :" القمر المنير في المسند الكبير"، و "المختلف و المؤتلف" ، و " الكمال في أسماء الرجال" و " الذيل على تاريخ مدينة السلام".ابن كثير : **المصدر السابق** ، ج 17، ص ص 283-284

6 - المؤرخ الكبير ،كان فقيهاً، بارعاً ، قارئاً بالسبع ، محدثاً ، مؤرخاً ، شاعراً ، لطيفا ،كريماً.له مصنفات كثيرة في التفسير ، و الحديث ، و الفقه ،و ،و التاريخ .ابن قاضي شهبة :**المصدر السابق** ، ج 02، ص ص178-180

الحنبلي الذين نورد أسماء بعضهم ومؤلفاتهم حسب تاريخ وفاتهم:

1- عبد الجبار بن عبد الخالق بن محمد العكبري البغدادي الحنبلي الواعظ (ت681هـ/1282م) أقام ببغداد متفقهاً بالمدرسة المستنصرية سنة 659هـ/1261م . وقد كان عالما فاضلا ورعاً زاهداً، وصف بالشيخ رئيس الأصحاب مفتي الفرق ،و له عدة كتب في الفقه منها :" المقدمة في أصول الفقه"،و "العدة في أصول الدين "وغيرها[1] .

2- عبد الرحمن بن عمر بن أبي القاسم البصري الضرير الفقيه الحنبلي، نزيل بغداد (ت 684هـ/1286م)، كان بارعاً في الفقه ، له معرفة بالحديث و التفسير ، و له تصانيف عديدة ، منها كتاب "الحاوي" في الفقه في مجلدين ،و "الشافي في المذهب "، و"طريقة في علم الخلاف " تحتوي على عشرين مسألة[2].

3- شرف الدين أبو أحمد داود بن عبد الله بن كوشيار الحنبلي (ت 699هـ/1299م) الفقيه المناظر ، كان بغداديا فقيها مناظراً بارعاً عارفاً بالفقه ، صنف في أصول الفقه كتاباً سماه "الحاوي" ، و في أصول الدين كتاباً سماه "تحرير الدلائل"[3].

4- سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الصرصري ثم البغدادي الحنبلي (ت 716هـ/1316م) الفقيه الأصولي المتفنن ، صنف تصانيف كثيرة .يقال أن له خزانة كتب كبيرة من تصانيفه و التي منها " بغية السائل في أمهات المسائل" ، و "مختصر الروضة " في أصول الفقه وشرحه في ثلاثة مجلدات ، و "معراج الوصول في إلى علم الأصول" في

1- ابن رجب : **المصدر السابق** ، ج04، ص ص162-163

2 - ابن رجب : **المصدر نفسه** ، ج04، ص ص 194-196

.3 - ابن العماد : **المصدر السابق** ، ج 07، ص ص 781-782

أصول الفقه وأختصر الكثير من كتب الأصول[1].

5- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمود الجيلي الحنبلي(ت723هـ/1323م) ، نزيل بغداد المدرس للحنابلة بالمدرسة البشيرية ، كان فقيها فاضلا ، له مصنف في الفقه سماه "الكفاية "، و قد ذكر ابن رجب أنه لم يتمه[2].

ومن أعلام الفقه الحنفي بالعراق في هذه الفترة ، محمد بن عمر بن محمد أبو المظفر ظهير الدين البخاري النوجاباذي الحنفي(ت 688هـ/1290م)نسبة إلى نوجاباذ قرية من قرى بخارى ، كان شيخاً عالماً ، فقيها ،عارفاً بالمذهب أصولي أقام في بغداد وولي إمامة المستنصرية ، من آثاره " تلخيص القدوري" في فروع الفقه الحنفي ، و "كشف الأسرار في أصول الفقه" ، و "كشف الأبهام لدفع الأوهام"[3].

أما مظفر الدين احمد بن علي بن تغلب التغلبي البعلبكي البغدادي المعروف بابن الساعاتي (ت 694هـ/1295م) الإمام شيخ الحنفية ،و كان علامة ورعا ،عالما بالفقه و الأصول، عارفا بالمنقول و المعقول ، مليح الخط ، رتب مدرسا بالمدرسة الموفقية ،وكان مدرسا لطائفة الحنفية بالمدرسة المستنصرية في بغداد، وله تصانيف حسنة منها : كتاب "مجمع البحرين" ،و كتاب "بدائع النظام في جوامع الأحكام" [4].

ومن فقهاء الحنفية أيضا ، محي الدين صالح بن عبد الله بن جعفر المعروف بابن الصباغ الاسدي الكوفي (727هـ /1327م) و صف بأنه من فضلاء الدهر وأعيان علماء العصر ،وهو و جمال بلده وإمامها في أنواع العلوم طلب لتدريس المدرسة المستنصرية فامتنع، ويبدو أن انشغاله بالتدريس

1- ابن رجب : **المصدر السابق** ، ج04، ص ص 404-408

2 - ابن رجب : **المصدر نفسه** ، ج04، ص ص 454-455

3 - محي الدين أبي الوفاء القرشي الحنفي: **المصدر السابق** ، ج03، ص ص290-291.ناجي معروف : **تاريخ علماء المستنصرية** ، ج02، 90

4 - ابن الفوطي : **مجمع الآداب في معجم الألقاب** ، ج05، ص 260

ملأ عليه وقته وأثر على انصرافه للتأليف ، وله مع ذلك أرجوزة في الفرائض وسمها بكتاب "الكافية في علم الفرائض "[1].

ومن ابرز أعلام الفقه الشافعي بالعراق في هذا العصر جمال الدين عبد الله بن محمد بن علي ابن العاقولي الواسطي ثم البغدادي (728 هـ /1328 م) الذي انتهت إليه رئاسة الشافعية ببغداد ، ولم يكن يومئذ من يماثله ولا يضاهيه في علومه و علو مرتبته[2]، و عين لقضاء القضاة فلم يقبل بينما يرد ذكر قبوله القضاء وقضاء القضاة،وتوليه تدريس مدرسة الأصحاب (674 هـ/1276م) والمدرسة البشيرية 684هـ/1286م والمدرسة المستنصرية[3] وانه أفتى أكثر من ستين سنة و أعطى حظا في الفتوى حتى لو كتب على الفتوى جميع من بالعراق لم يلتفت إلا لخطه[4].

ومنهم عبد الرحيم بن محمد بن محمد بن يونس بن ربيعة الموصلي الشافعي ، تاج الدين (ت 671هـ/1272م) ،استقر ببغداد سنة 660هـ/1261م) ، و عين قاضيا في الجانب الغربي من بغداد ، و مدرسا بالمدرسة البشيرية ، كان إمام وقته في المذهب الشافعي ، و أية في القدرة على الاختصار له في هذا المجال : كتاب "مختصر المحصول "في أصول الفقه، و "التنبيه في اختصار التنبيه"، و مختصر كتاب الوجيز للغزالي و سماه "التعجيز"[5].

أما الفقه المالكي ، فكان من ابرز علمائه بالعراق في هذه الفترة ، سراج الدين عبد الله بن عبد الرحمن بن عمر الشارمساحي المصري(ت 669 هـ/1271م) قدم بغداد سنة 633هـ/1235م و بصحبته أهله وجماعة من الفقهاء المالكية ، فعين مدرسا للمالكية بالمستنصرية ،وكان عالما كثير العبادة مع تصانيفه كتابه "المأخذ" في مجلدين بين فيهما ما في تفسير الفخر من

---

1 - ابن الفوطي : **المصدر السابق** ، ج05، ص ص 59-60
2- ابن العماد : **المصدر السابق** ، ج 08، ص 152
3 - السبكي : **المصدر السابق** ، ج 10، ص 43
4 - ابن فاضي شهبة: **المصدر السابق** ،ج02، ص 345
5 - السبكي : **المصدر نفسه** ، ج 08 ، ص191

الزيف والبهرج[1].

ومن فقهاء المالكية أيضا ، عز الدين الحسن بن القاسم بن هبة الله النيلي: (ت 712 هـ/1312م) كان من أكابر العلماء ، وأعيان الأفاضل ، وأفراد الفقهاء .. قرأ على سراج الدين الشارمساحي تصانيفه ، و عين مدرسا للمالكية في المستنصرية بعده ، كما رتب في سنة 700هـ/1301م قاضي القضاة لأمانته و علمه و ديانته ، وحمدت سيرته ، ولم يزل على منصبه إلى أن توفي[2].

وكان عبد الرحمان بن محمد بن عسكر البغدادي المالكي الملقب شهاب الدين مدرس المستنصرية[3] ، من اكثر فقهاء المالكية في هذا العصر تصنيفاً في المذهب و غيره منها:" المعتمد في الفقه"و شرحه، و "عمدة الناسك و إرشاد السالك" ، و" العدة في العمدة" و "الإشارة و النور المقتبس في فوائد مالك بن أنس"[4].

ومن أبرز فقهاء العراق في هذا العصر ، ممن أسهموا في حركة التأليف الفقهي ، وتركوا أثرهم واضحا فيمن جاء بعدهم ، نجم الدين جعفر بن الحسن بن يحيى المعروف بالمحقق الحلى (ت676هـ/1278م) من أكابر العلماء، وهو أفضل أهل عصره في الفقه[5] ،فهو المحقق المدقق الإمام العلامة و أحد عصره .. ألسن أهل زمانه وأقومهم بالحجة و أسرعهم استحضارا وضع عدة مؤلفات في الفقه، منها كتاب «شرائع الإسلام » وكتاب «المختصر النافع»[6].

أما تلميذه جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهر المعروف بالعلامة الحلي

---

1 - ابن الفوطي : **الحوادث** ، ص، ص261/78

2 - ابن الفوطي : **مجمع الآداب في معجم الألقاب** ، ج01، ص ص 139-140

3- ابن العماد : **المصدر السابق** ، ج 08، ص 178

4 - ناجي معروف : **المدرسة المستنصرية** ، ج01، ص127

5 -محمد مفيد آل ياسين : **المرجع السابق** ، ص 274

6 - ابن الفوطي : **المصدر نفسه** ، ج 05، ص52.

(ت726هـ/1326م) الذي وصف في كتب تراجم أهل السنة بعالم الشيعة وإمامهم ومصنفهم وفي كتب تراجم الشيعة الإمامية بشيخ الطائفة وعلامة وقته وصاحب التدقيق والتحقيق، انتهت رئاسة الإمامية إليه في المعقول والمنقول[1].

2- علوم اللغة العربية وآدابها:

كان من ابرز أعلام اللغة بالعراق في هذه الفترة،عز الدين عبد العزيز بن جمعة بن زيد النحوي الموصلي(ت 696هـ/1298م) ، نزل ببغداد و درس بها ، حتى تميز في علوم اللغة ، وأسند إليه تدريس النحو في المدرسة المستنصرية ، وله من المؤلفات في اللغة و الأدب :شرح الأنموذج للزمخشري في النحو ، وشرح كافية ابن الحاجب ، و شرح الذرة الألفية لابن المعطي[2].

كما كان جمال الدين الحسين بن بدر بن أياز البغدادي (ت 681هـ/1283م) العلامة النحوي أوحد زمانه في النحو و التصريف ،درسهما عليه جمع من الطلبة، منهم جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي الذي وصف أستاذه بأنه كان أعلم أهل زمانه بالنحو والتصريف[3].

وقد ولي مشيخة النحو بالمستنصرية، وله عدة تصانيف منها: مسائل الخلاف في النحو، وشرح الضروري لابن مالك، والمحصول في شرح الفصول لابن معط في النحو أيضا، وغيرها[4].

ومن أعلام اللغة في هذا العصر شرف الدين المعالي معد بن نصر الله ، المعروف بابن الصيقل الجزري البغدادي (ت 701هـ/1301م) ،النحوي ، اللغوي ، الأديب ، الشاعر، شيخ الأدب

1 – ابن كثير : **المصدر السابق**، ج 118، ص271
2 – ابن الفوطي : **مجمع الآداب في معجم الألقاب**، ج01 ، ص 228
3 – ابن الفوطي : **الحوادث** ، ص295 .الذهبي : **تاريخ الإسلام** ، ج51، ص73
4 – ناجي معروف : **المدرسة المستنصرية** ، ج02، ص297

ومصنف المقامات المشهورة المعروفة بالمقامات الخمسين الزينية منها المقامة البغدادية و المقامة الكوفية..[1] .

و اشتهر عدد لابأس به من النحويين أثناء فترة الوجود المغولي بالعراق منهم عز الدين أبو محمد الحسن بن حمزة بن الحسن بن غنام الكندي الكوفي الأديب النحوي .شيخ أدباء العراق على الإطلاق[2] . و عز الدين أبو قورشَتْ الحسن بن عبد المجيد المعروف بسعفَص المراغي (ت666هـ/1268م)، النحوي ، نزيل بغداد ، تأدب بها و قرأ علم النحو و التصريف ، صنف "شرح الدرة الألفيَّة"[3].

ومنهم ابن الباقلاني فخر الدين الحسن بن معالي الحلي (ت 683هـ/1285م) ،النحوي الأديب ، و كان شيخا فاضلاً ، أديبا ، عالماً بالنحو و اللغة ، و يقول الشعر الجيد[4] .

أما الإمام العالم الفاضل علي ابن أبي القاسم بن أحمد القزويني الشافعي القاضي ، نزيل بغداد، كان ديناً ، ذا زهد و عفة وحياء ، جم الفضائل ، ولى القضاء بالجانب الشرقي من بغداد نحو خمسين سنة .ودرس بالمدرسة النظامية ، له نظم و نثر و أدب كثير و تصانيف منها :"شرح المصابيح" ، و "شرح المقامات الحريرية "، وكتاب"العجاب مع شرحه" في النحو ، و"كتاب الإعجاز" مع شرحه في النحو، و "كتاب الرغاب" مع شرحه في التصريف وغيرها[5].

1- ابن الفوطي : **تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب** ، ج 02، ص 1143 .السيوطي : **بغية الوعاة، في طبقات للغويين و النحاة** ، ج 02، ص 2964

2 - ابن الفوطي : **المصدر نفسه،** ج01 ، ص 12

3 - ابن الفوطي : **المصدر نفسه،** ج01 ، ص ص125-127

4 - ابن الفوطي : **المصدر نفسه** ، ج 04، ق03، 151

5 - صلاح الدين خليل الصفدي : **نكت الهميان في نكت العميان** ،دار الكتب العلمية بيروت 1971، ص 187

الأدب:

برز في هذا العصر عدد من الأدباء و الشعراء المتميزين في أدبهم و شعرهم ساهموا بإنتاجهم في مختلف فنون الأدب خلال النصف الثاني من القرن السابع و بداية القرن الثامن الهجريين.

و تراجعت الحياة الأدبية كثيرا بسبب نقص رعاية الحكام الجدد و الوزراء لها الذين بعدما كانوا من قبل يتنافسون على احتضان الأدباء و الشعراء للاستمتاع بجلساتهم الأدبية و الشعرية ،و رغم ذلك حفل العراق بعدد من الأدباء و الشعراء الأعلام الذين ذاع صيتهم في سماء الشعر و الأدب الذي تمايزت أنواعه و تعددت فنونه :

أ – النثر :

حافظ النثر على مستواه الفني و الأدبي الذي كان عليه قبل الغزو المغولي بسبب وجود بعض الأدباء ممن عايشوا العهدين العباسي و المغولي ،و اشتمل هذا اللون من الأدب خلال هذه الفترة على الخطب ، والرسائل الشخصية و الديوانية ، المواعظ ، والقصص ،و المقامات و غيرها ، ومن الذين أسهموا في مجال النثر :

1- المؤرخ الأديب تاج الدين علي بن أنجب بن عثمان المعروف بابن الساعي الشافعي (ت 674هـ/1276م) من خلال كتاباته " شرح مقامات الحريري" في خمسة مجلدات ،وكتابه الأخر " نهاية الفوائد الأدبية في شرح المقامات الحريرية "في خمسة وعشرين مجلدا، وكتابه شرح "نهج البلاغة "و غيرها مما يدل على قدرته الأدبية العالية . وله كتاب "أخبار الأدباء" في خمسة مجلدات مما يدل على كثرة الأدباء في هذا العصر[1].

2- بهاء الدين علي بن عيسى الأربلي المنشيء (ت692هـ/1294م) من أبرز أدباء هذا العصر ، الذي نشأ باربل ، وبدأ بها الكتابة ، ثم هاجر إلى بغداد في سنة 657 هـ/1259م وتولى كتابة

1 – الاسنوي : **المصدر السابق** ، ج 01، 347

الإنشاء في ديوانها ، وأقام بها إلى حين وفاته [1] . وله عدة تصانيفه منها : "التذكرة الفخرية" و"كشف النية في معرفة الأئمة ،و" المقامات الأربع" ،و "رسالة الطيف" التي ظهرت فيها براعته الأدبية الفنية العالية ،حتى قيل عنه أنه من أهم أعلام النثر الفني في القرن السابع الهجري[2] .

3- سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم البغدادي الحنبلي (ت 716هـ/1316م) الذي صنف تصانيف كثيرة "الرسالة العلوية في القواعد العربية" ، و " غفلة المجتاز في علم الحقيقة و المجاز"'، و"الرَّحِيْقُ السَّلْسَلُ في الأَدَبِ في المُسَلْسَلِ " للمصنف نفسه ،كما شرح "مقامات الحريري"[3].

4-ظهير الدين علي بن محمد الكازروني :(ت697هـ/1299م) وكتابه" المنظومة الأسدية في اللغة العربية" [4].

الشعر:

كان للشعر نصيب واسع من اهتمام أدباء القرن السابع هجري/الثالث عشر ميلادي فقد واكب الشعر أحداث الغزو المغولي من سقوط بغداد حتى نهايته ، و كان سقوط بغداد بيد المغول باعثاً لكثير من الشعراء على نظم الشعر، حيث عمل الشعراء و العلماء قصائد في مراثي بغداد وأهلها .

و قد غلب على هذا الشعر الذي سجل مشاهد المأساة ، رنة من الحزن العميق ، لما حلّ بالإسلام و المسلمين ، و الأسى على الضعف الذي وصل إليه المسلمون حتى أصبحت ديارهم مهوى أفئدة الطامعين ، يجوسون خلالها ، و لا يجدون رادعاً.

حفل هذا العصر بأعداد كبيرة من الشعراء، ويدلنا عليهم المؤرخ ابن الساعي

1 - ابن الفوطي: **الحوادث** ،ص 245

2 -بهاء الدين المنشئ الإربلي: **التذكرة الفخرية** ، تحقيق حاتم الضامن ،دار البشائر، دمشق2004،ص ص10-11

3 - ابن رجب : **المصدر السابق** ، ج04، ص ص407-408

4 - الكازروني: **مختصر التاريخ**، ص16

(ت674هـ/1276م) الذي ألف كتابا افرده لشعراء عصره وسماه " لطائف المعاني في ذكر شعراء زماني"[1] من الشعراء الكبار الشاعر شمس الدين الكوفي الواعظ(ت 675هـ/1277م)[2] الذي وصف ماحل ببغداد من البلاء ، و بين مانزل بسكانها من قتل و ترحيل مما أدى إلى فقدان الهدى و تزلزل الإسلام و أشار إلى استيطان المغول بها قائلا :

يا دار أين الساكنـــــون وأين (م) ذيَاك البهاء و ذلك الإعظام

يا دار مذ أفلت نجومك عمّنـا والله من الضـياء ظـــــــلام

فلبعدهم قرب الردى و لفقدهم فُقد الهوى و تزلزل الإســتـــلام

فمتى قبلت من الأعادى ساكنا بعد الأحبّة لا سقاك غـــمام[3]

ومن شعراء أواخر هذا القرن ، ياقوت بن عبد الله جمال الدين المستعصمي الكاتب ، كان أديبا فاضلاً شاعراً (698ته/1300م)[4]، صاحب الأشعار المستحسنة الرائقة التي جمعت من الأوصاف ما تفرق في جميع الأشعار فما قاله في سنة 682هـ/1284م بين يدي شرف الدين هارون بن محمد الجويني عندما فوضت إليه بغداد وجعل صاحب ديوانها:

الحمد لله قد مضى القرح وقد أتانا السرور والفرح

وجاء صرف الزمان معتذرا فكل ذنب جناه مطرح

1 – الاسنوي : **المصدر السابق** ، ج 01، 347

2 – شمس الدين محمد بن عبيد الله الهاشمي ، الكوفي الواعظ ببغداد ، وكان أديبا فاضلا عالما و شاعرا ، ولي التدريس بالمدرسة التشتية ، و خطب في جامع السلطان ، ووعظ بباب بدر . ابن الفوطي : **الحوادث** ، ص 275

3 – محمد بن شاكر الكتبي : **المصدر السابق** ، ج 04، ص 102

4 – محمد بن شاكر الكتبي : **المصدر نفسه** ، ج04، ص263

إلى أن يقول :

أنست بغداد بعد وحشتها

فصدرها باللقاء منشرح

قد حليت بعد طول عطلتها

وزينتها القباب و الملح[1]

وممن برز من الشعراء في هذا العصر عز الدين أبو محمد الحسن بن أحمد الشيخ الحلّي ، كان شاعراً مكثراً ، و كان يوشح قصائده بالآيات و الرسائل ومن ذلك قوله:

دَعـاه إذا سار الخليطُ يسيرُ فما وجدهُ بالظاغنين يسيرُ

دعـاه الهوى يوم النوى فأجابه و ماستَّرت سرّ الغرامُ سُتورُ[2]

و معلوم ان غالبية العلماء من فقهاء و غيرهم قد قرضوا الشعر حيث تذكر المصادر لنا أسماء عدد من شعراء العراق منهم الشاعر كمال الدين أبو الغنائم المظفر بن محمد بن عليش الموصلي قدم بغداد و استوطنها و كان أديبا و شاعرا و من شعره:

بالله يا نَفَحات البان و الضالِ لا تهتكِي سرّ وجدي بين عّذالي

نبّهتِ ياريحُ لوّامي على وَلَهي في حبّ ذات اللَّمي المعسول و الخالِ[3]

التاريخ، والتراجم، والأنساب:

حضيت الدراسات التاريخية بمفهومها الواسع الذي يشمل التاريخ والتراجم والأنساب وكتب الجغرافيا باهتمام ملحوظ في هذا العصر على الرغم من قلة عدد الذين اشتغلوا بهذا العلم مقارنة بالفروع الأخرى، وقد ركزت أغلب المصنفات على التاريخ العام ، إضافة إلى الاهتمام بتاريخ الصحابة

1 - ابن الفوطي : **الحوادث** ، ص ص 296-297

2- ابن الفوطي : **مجمع الآداب في معجم الألقاب**، ج01 ، ص116

3 - ابن الفوطي : **المصدر نفسه**، ج04، ص262

والتابعين والترجمة للرجال.

كان للعراق في القرن السابع الهجري ، دور بارز في جملة فروع الدراسات التاريخية ، وبخاصة في نطاق الدراسات التراجمية منها . إذ كان للمؤرخين العراقيين فيها صولات وجولات تنم عن قدرة فائقة في هذا الباب[1] .

ومن أبرز شخصيات العراق التي اشتهرت بعلم التاريخ و برعت فيه في النصف الثاني من هذا القرن، هي شخصية مؤرخ العراق الكبير ، تاج الدين أبي طالب علي بن أنجب بن عثمان المعروف بابن الساعي البغدادي (ت674هـ/1276م) الذي ألف مجموعة ضخمة من كتب التاريخ على اختلاف فروعه[2]، إذ له في التاريخ العام كتاب كبير قيّم ، أجاد في عنوانه ومضمونه هو « الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير » رتبة على السنين مقدما الحوادث على الوفيات ، منتهيا فيه إلى آخر سنة 656 هـ/1258م، بستة وعشرين مجلدا[3]، وله الذيل على كامل ابن الأثير في خمس مجلدات [4] ومن أهم كتبه في التاريخ المحلي، ذيله على « التاريخ المجدد لمدينة السلام» ، لأستاذه ابن النجار في نحو ثلاثين مجلدا[5]، وله العديد من كتب التراجم العامة والخاصة على اختلاف فروعها ، وأنه ما كان يكتب مجلدا من التاريخ إلا و يحصل له في مقابلة المائة دينار والثلاثمائة.

وتتصف كتبه بسعة الاطلاع و غزارة المادة ودقتها التي يمكن إرجاعها إلى ثقافته الواسعة التي ساعد على تكوينها توليه شؤون خزانتي كتب النظامية والمستنصرية[6] ، فسبر نفائس كتبها و استفاد منها في تصانيفه، كما كان لصلته الوثيقة بأرباب الدولة و تعظيمهم له أكبر الأثر في توفره على معلومات لم

1 - محمد مفيد آل ياسين : **الحياة الفكرية في العراق في القرن ن السابع الهجري** ،ص 301

2 - اليونيني: **المصدر السابق** ، ج 03، ص 147

3 - ابن العماد: **المصدر السابق**، ج 07، ص600

4 - الأسنوي :**المصدر السابق** ، ج 01، ص 347

5 - ابن كثير : **المصدر السابق** ، ج 17 ، ص 522

6- اليونيني : **المصدر نفسه** ، ج 03، 147

يحظ بها غيره، وقد ترك أثره واضحا فيمن خلفه من المؤرخين[1] .

و كان من أبرز مؤرخى العراق في أواخر القرن السابع وبداية القرن الثامن، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد بن محمد المعروف بابن الفوطي الشيباني البغدادي (ت723هـ-1323م)[2] الذي خلف أستاذه ابن الساعي في الشهرة والبراعة في التاريخ ، ففوض إليه علاء الدين الجويني صاحب ديوان العراق كتابة التاريخ والحوادث سنة 679هـ/1281م. وقد ترك هذا المؤرخ الكبير آثار ضخمة ، من أهمها وأوسعها ، ذيله على "الجامع المختصر في عنوان التواريخ و عيون السير " لابن الساعي إن كان في نحو ثمانين مجلدا ، ألفه للصاحب علاء الدين الجويني[3] ، ومنها كتابه الآخر الموسوم "مجمع الآداب في معجم الأسماء على معجم الألقاب " في خمسين مجلدا، و يعتبر أكبر كتاب في الألقاب في التاريخ الإسلامي ،و "تلخيص مجمع الآداب في معجم الأسماء على معجم الألقاب" للمصنف نفسه ولم يبق منه إلا الجزآن الرابع و الخامس[4] ، ومنها كتاب "درر الأصداف في غرر الأوصاف"،مرتب على وضع الوجود من المبتدأ إلى المعاد و ذكر مؤلفه أنه جمعه من ألف مصنف من التواريخ و الدواوين والأنساب والمجاميع[5]، مما يدل بوضوح على القدرة الفائقة لهذا المؤرخ الكبير ، و على سعة اطلاعه و غزارة مادته التي ساهم في تكوينها تقلده أمر خزانة كتب الرصدالتي أنشأها نصر الدين الطوسي بمراغة قبل سنة 679 هـ /1281م ، ثم إشرافه على خزانة كتب المستنصرية التي ضمت الآلاف المؤلفة من الكتب القيمة النادرة، فاستفاد من كتبهم[6] ، فضلا عن صلاته الوثيقة بفئات متعددة من العلماء والأدباء وأرباب الدولة في العراق مما جعل كتبه محل اعتماد

1 – ناجي معروف: **تاريخ علماء المستنصرية** ، ج02، 337
2 – الكتبي : **المصدر السابق** ، ج 02، ص 319
3 – ابن رجب : **المصدر السابق**، ج 04، ص ص 448-451
4 – ابن كثير : **المصدر السابق** ، ج 18 ، ص 227
5 – الكتبي : **المصدر نفسه** ، ج 02، ص 320
6 – ناجي معروف: **المرجع نفسه** ، ج 02، ص356

و نقل أغلب المؤرخين من بعده[1].

أما عماد الدين زكريا ابن محمد ابن محمود القز ويني (ت682هـ/1283م) الذي ألف كتاب "عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات"[2]، و"آثار البلاد وأخبار العباد"وهو كتاب يبحث في الجغرافية التاريخية ، قسم فيه العالم إلى سبعة أقاليم ، وأورد معلومات تاريخية مفيدة عن بلدان هذه الأقاليم و مدنها ، و تحدث عن سير مشاهير الرجال فيها[3].

ومن مؤرخي هذا العصر ظهير الدين علي ابن محمد ابن محمد ابن محمود الكازروني (ت697هـ/1297م) عالم بالحساب ،ومن رجال العصر المغولي في العراق، ترك مجموعة كبيرة من المؤلفات منها "مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني عباس"، و "روضة الأريب في أحوال الأديب" ، و "الذيل على تاريخ محمد ابن علي ابن محمد العمراني" و "مقامة في قواعد بغداد "[4]. كما برز في هذا العصر المؤرخ و الأديب صفي الدين أبو عبدالله محمد ابن علي بن محمد المعروف بابن طباطبا (ت709هـ/1310م) الذي اشتغل بالتاليف و التصنيف و اشتهر بكتابه "الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية"،و هو كتاب يدون لتاريخ الخلفاء الراشدين ، ثم الأمويين ، ثم العباسيين ، و يذكر اموراً في الآداب السلطانية و السياسات الملكية ، و فيه محاولة لفلسفة التاريخ وله كتاب في التاريخ يسمى "منية الفضلاء في تاريخ الزوراء"[5].

أما علم الأنساب فقد اشتهر فيه في هذا القرن عدد من العلماء، أبرزهم جمال الدين أبو الفضل أحمد بن محمد بن المهنا العبيدلي الحلي المؤرخ النسابة شيخ ابن الفوطي، فقد نقل هذا الأخير من

---

1 – ابن العماد : **المصدر السابق** ، ج 08، ص109

2 – ابن الفوطي : **تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب** ، ج 04، ق 02، ص ص 725-726

3 – ابن الفوطي : **الحوادث** ، ص 299/212

4 – الزركلي : **المرجع السابق** ، ج 04 ، ص 334

5 – راغب السرجاني : **الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي** ، ج10، ص 409

كتاب « المشجر » لشيخه ابن المهنا كثيرا[1] ، وذكر له كتاب ترجمان الزمان[2].

كما ساهم عدد كبير من غير المختصين في كتابة التاريخ في هذا العصر منهم: المحدث محمود ابن علي ابن محمود البغدادي (ت733هـ/1334م) ترك عدة مؤلفات منها: "الكواكب الدرية في المناقب العلوية"[3] ، كما ترك عبد المؤمن ابن عبد الحق بن عبد الله البغدادي الحنبلي (ت739هـ/1338م) مختصر تاريخ الطبري في أربعة مجلدات ، وكتاب "مختصر معجم البلدان" واسمه " مراصد الاطلاع في أسماء الأماكن و البقاع "للمؤلف نفسه[4]، أما الفقيه الحنبلي شامع شافع ابن عمر بن إسماعيل الجيلي نزيل بغداد (ت741هـ/1342م) فقد عرف بكتابه "زبدة الأخبار في مناقب الأئمة الأربعة الأخيار"[5] .

الفلسفة وعلم الكلام:

برز في النصف الثاني من القرن السابع هجري عدد من العلماء اشتغلوا بالفلسفة منهم برهان الدين محمد بن محمد بن محمد النسفي الحنفي (ت687هـ/1289م) المشهور بتميزه في الجدل والخلاف والكلام ، المعروف بشيخ الفلسفة في بغداد صاحب المؤلفات المتعددة "العقائد النسفية في الكلام" و"شرح الإشارات" لابن سينا و "شرح الرسالة القدسية بأدلتها البراهينية" للغزالي[6].

وممن تخصص في الفلسفة في هذا العصر عز الدولة سعد ابن منصور المعروف بابن كمونة البغدادي اليهودي (ت683هـ/1284م) الحكيم الأديب المتفلسف ، وقد قال ابن الفوطي عنه أنه كان يرغب في الاجتماع به، فلم يحدث ذلك لمرض أصابه،و صاحب التصانيف العديدة في الفلسفة منها

1 - حمود مضعان عيال سلمان : **المرجع السابق**، ص ص 110-111
2 - صلاح الدين خليل الصفدي:**الوافي بالوفيات** ، ج 01، ص50
3 - ابن رجب : **المصدر السابق**، ج 05، ص ص 45-46
4- ابن رجب : **المصدر نفسه**، ج 05، ص 80
5 - ابن رجب : **المصدر نفسه**، ج 05، ص 103
6- صلاح الدين خليل الصفدي: **المصدر نفسه** ، ج 01، ص283. القرشي : **المصدر السابق** ، ج 03، ص 351

"شرح الإشارات والتنبيهات" لابن سينا، وكتاب "الحكمة الجديدة" ، و"تقرير المحجة وتهذيب الحجة" للمؤلف نفسه ، بالإضافة إلى كتاب "شرح التلويحات في المنطق و الحكمة "[1].

ومن علماء الحنابلة الذين تخصصوا في هذا العلم ابن الفوطي فقد لقب بالفيلسوف و الحكيم لكنه لم يترك أي أثر في الفلسفة ،أما الذين تركوا بعض المصنفات فمنهم سليمان عبد القوي بن عبد الكريم البغدادي (ت716هـ/1317م) الذي صنف كتاب "درء القول القبيح في التحسين والتقبيح"، وكتاب "بغية الواصل إلى معرفة الفواصل"[2]، أما عبد المؤمن بن عبد الحق بن عبد الله البغدادي الحنبلي (ت739هـ/1340م) فمن أشهر مصنفاته في هذا الحقل كتاب "تلخيص المنقح في الجدل" وكتاب "تحقيق الأمل في علمي الأصول والجدل"[3] وهي مصنفات تبين مدى ذم أغلب العلماء الحنابلة لعلم الكلام والفلسفة لانحرافهما عن الشرع في مسائل عديدة ، ولآثارهما السيئة على معظم المشتغلين بهما[4].

الفلك:

اختص بهذا العلم في هذا القرن عدد قليل من العلماء ، ولعل سبب هذه قلة المؤلفات في علم الفلك رغم أهميته هو نفور بعض العلماء منه لارتباطه بالتنجيم و السحر في ذلك العصر .كان من أبرزهم كرز الدين إسحاق ابن جبرائيل الديلمي البغدادي (ت680هـ/1281م) الذي أسر في واقعة بغداد وعاد إليها بعد تخلصه من الأسر وكان من اعلم الناس بعلم النجوم وما يتضمنه من مواليد وتقاويم، والذي اشتهر بكتابه "تواريخ السماويات والأرضيات"، وكان من الذين اهتموا أيضا بعلم الفلك و كان حاذقاً فيه الفقيه الشافعي نجم الدين محمد بن هلال المنجم (ت 684هـ/1285م)[5]،وعلاء

1 - ابن الفوطي : **الحوادث** ، ص 304

2 - ابن رجب : **المصدر السابق**، ج 04، ص 407

3 - ابن رجب : **المصدر نفسه**، ج 05، ص 80

4 - خالد علال كبير: **المرجع السابق**، ص176

5 - ابن الفوطي: **المصدر نفسه** ، ص 307

الدين علي شاه بن محمد بن علي الخوارزمي الشهير بعلاء المنجم، الذي قدم إلى بغداد و كان عارفاً بحساب النجوم و الأحكام و استخراج التقاويم و الكلام على المواليد و له كتاب " الأشجار والأثمار في الأحكام " و"أحكام الأعوام في علم النجوم"[1] ،و من العلماء بالنجوم ،و الكلام على الأحكام عز الدين أبو عقيل الحسن بن علي بن محمد المعروف بابن خشوش العلوي البصري المنجم ، فقد كانت له معرفة جيدة في ذلك و يحفظ أشعاراً حسنة و له أخلاق حسنة [2]

أما بالموصل فقد برز أثير الدين المفضل بن عمر الأبهري كمال الدين السمرقنديالفيلسوف الفلكي (ت663هـ/1264م) وقد عاش فترة طويلة من حياته في الموصل قبل انتقاله إلى أربل ومن آثاره في هذا المجال "غاية الإدراك في دراسة الأفلاك"، و "رسالة الاسطرلاب"، و"الزيج الشامل"[3].

الهندسة والرياضيات:

لم يحفل النصف الثاني من القرن السابع بعدد كبير ممن اشتهر بالرياضيات وما يتعلق بها من حساب وجبر وهندسة، حيث لم تذكر المصادر إلا عدد قليل ممن اختص في مجالي الرياضيات والهندسة وأغلبهم كانوا من البغداديين، منهم ظهير الدين علي بن محمد المؤرخ البغدادي المشهور بالكازروني الذي ترك مصنفا في هذا المجال هو "كنز الحساب في الحساب"[4] ،وعبد الله بن محمد بن عبد الرزاق العراقي الإمام البارع عماد الدين الحربوي الشافعي (ت724هـ/1325م) ،الطبيب الأديب المتكلم الفيلسوف أحد الأعيان ببغداد، برع في فنونٍ، ودرس المذهب الشافعي ، وولي رياسة الطب ومشيخة الرباط، وجالس الملوك وأخذ عن النصير علم الأوائل وأنشأ داراً ووقف عليها الإمام ومؤدباً وعشرة أيتام، وله تصانيف وإنشاء. وأخذ عنه العز الإربلي الطبيب. وله من الكتب" القواعد البهائية في

---

1 – إسماعيل باشا البغدادي : **هدية العارفين** ، دار إحياء التراث العربي بيروت ،ج01، ص724

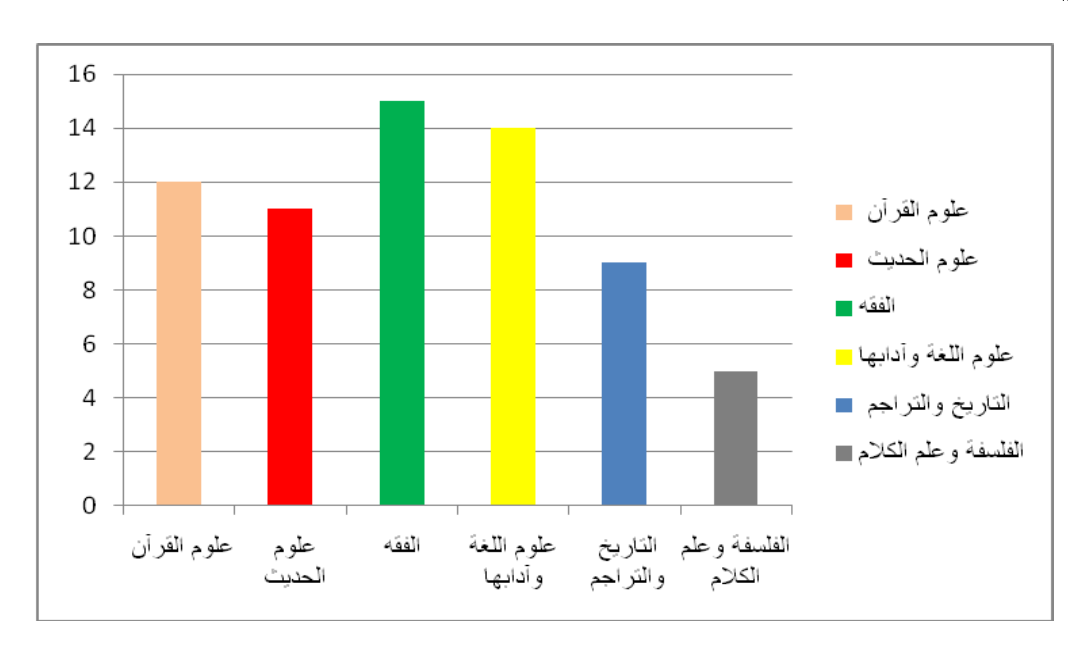
2 – ابن الفوطي : **مجمع الآداب في معجم الألقاب**، ج01 ، ص134

3 – الزركلي : **المرجع السابق**، ج 07، ص 279

4 – الكازروني : **مقدمة مختصر التاريخ** ،ص 16. ابن الفوطي : **المصدر نفسه** ج01 ، ص242

الحساب" ومقدمة في الطب وغير ذلك.. ومات ودفن بداره في بغداد[1]، وعبد العزيز بن عدي بن عبد العزيز البلدي الموصلي (ت719هـ/1320م) وكان بارعا في الجبر والمقابلة ، إضافة إلى علوم أخرى[2].

وظهر علماء في الحساب فكان كمال الدولة أبو علي بن الفرج و يعرف بابن الداعي الإسرائيلي الاربلي الحكيم الذي لقي الحظوة عند هولاكو و التحق بخدمة نصير الدين الطوسي عالما بالحساب[3]،و صنف كما الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن بن الفضل بن يحي البوازيجي (ت700هـ/1300م) كتاباً في الحساب سماه الروضة[4] .



[5] **نسب تقريبية لمجموع ما تم تأليفه في العراق في العصر الإيلخاني**

1 – صلاح الدين الصفدي: **الوافي بالوفيات** ، ج17، ص318

2 –ابن حجر العسقلاني:**المصدر السابق**، ج 02، ص377

3 – ابن الفوطي : **مجمع الآداب في معجم الألقاب**، ج 04، ص203

4 – ابن الفوطي: **المصدر نفسه** ج04، ص 96

5 – هذه النسب تمثل ما تم ذكره في المتن فقط (ص ص125–159) ، و هي تعطي فكرة عن محدودية النشاط العلمي في العراق فقط ،مقارنة مع العهود السابقة.

الفصل الخامس

انتعاش الحياة العلمية خارج العراق بعد الغزو

أولا:اهتمام السلاطين المماليك و أمرائهم بالحركة العلمية

ثانيا:هجرة العراقيين إلى مصر بعد سقوط بغداد

ثالثا:المراكز العلمية

رابعا: الإنتاج العلمي

بعد أن تمكنت القوات المغولية من اجتياح بغداد بقيادة هولاكو الذي أمر بقتل الخليفة المستعصم بالله سنة (656هـ/1258م) آخر الخلفاء العباسيين أصبح العالم الإسلامي بدون خليفة مما أوجد فراغاً كبيراً شعر به كل مسلم نتيجة لتلك المأساة الأليمة التي حلت بهم .

وحاول المماليك إحياء الخلافة العباسية والعمل على إعادتها إلى مقرها في بغداد،لان الكثير من الأعداء كانوا يتربصون بهم ، فهؤلاء بقايا ملوك البيت الأيوبي ببلاد الشام و على رأسهم الملك الناصر يوسف صاحب دمشق[1]، الذي أخذ يعمل من اجل انتزاع حكم مصر من يد المماليك، وما لبث يذكر المماليك بأصلهم الوضيع و أنهم ما إلا "مماليك قد مسهم الرق" ومن جهة أخرى لما لذلك من إرباك للمغول المحتلين الذين أصبحوا يشكلون تهديدا كبيرا لحكمهم في مصر ، فضلاً عن أنه من خلال إحياء الخلافة العباسية يضفي المماليك الشرعية على حكمهم في بلاد الشام ومصر، وبذلك يتخلصون من قيام أية معارضة لتوليهم السلطنة[2]. ويعد السلطان المملوكي المظفر قطز[3] أول من فكر في أن تكون مصر هي مقر الخلافة حيث رحب بأحد الأمراء العباسيين الفارين من وجه المغول الأمير أبو العباس أحمد[4] الذي كان قد التجأ إلى بلاد الشام و بايعه و طلب منه الحضور

---

1 – الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز محمد ، قيل هو آخر ملوك بني أيوب ،كان حليما جودا ،حسن الأخلاق ، محبباً إلى الرعية، محببا للأدب والعلم ،خُدع وعمل عليه حتى وقع في قبضة التتار ، قتله هولاكو هو و جميع أقاربه وأتباعه. الذهبي : **سير أعلام النبلاء** ، ج 23، ص 204

2 – حامد زيان غانم: **صفحات من تاريخ الخلافة العباسية في ظل دولة المماليك** ، دار الثقافة ، القاهرة 1978، ص19

3 –الملك المظفر سيف الدين قطز ، أحد مماليك المعز أيبك التِّركماني ، صاحب مصر .كان بطلاً ، شجاعاً، حازماً .كسر التتار كسرةً جَبَرَ بها الإسلام ابن العماد : **المصدر السابق** ، ج 06، ص 508

4 – الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد بن أبي علي الحسن بن أبي بكر بن الحسن بن علي القُبي ابن الخليفة المسترشد بالله بن المستظهر بالله ،كان اختفى وقت أخذ بغداد و نجا ، قدم إلى القاهرة و معه و لده و جماعة فأكرمه الملك الظاهر و بايعوه بالخلافة . السيوطي : **تاريخ الخلفاء** ، ص375

للقاهرة، إلا أن تلك المحاولة لم تنفذ حينها وذلك بسبب مقتل المظفر قطز على يد الظاهر بيبرس[1] سنة 658 هـ/ 1260 م.

و تولى السلطان الظاهر بيبرس الحكم من سنة 658هـ/1260م إلى سنة 676 هـ/1277م وبذل جهودا عظيمة في بناء الدولة المماليكية ، وأعتبر المؤسس الحقيقي لها ، وقام بإصلاحات وأعمال عديدة، كما نفذ أعمال عسكرية ضد خصوم الدولة المختلفين.

غير أن أهم عمل قام به بيبرس في الواقع هو إحياؤه منصب الخلافة العباسية سنة 659 هـ/1261م وكان قد شغر بعد سقوط الخلافة العباسية وعاصمتها بغداد منذ ثلاث سنين، وقد استدعى لهذا المنصب أميرا عباسيا هو أبو القاسم أحمد ابن الظاهر محمد ابن الناصر أحمد[2] ، الذي ما لبث أن أرسله بيبرس في مهمة على رأس جيش صغيرٌ لتحرير بغداد، فسحق على أيدي التتار . ثم بويع لأمير عباسي آخر هو أبو العباس أحمد ولقِب بالحاكم، لكنه في هذه المرة شاء بيبرس أن تكون خلافته رمزية الشكل، وبهذا اكتسبت القاهرة الصفة الرسمية لوراثة بغداد، وتمتعت منذئذ بشهرة دينية وعلمية وتجارية واسعة .

و أضحت مصر هي دار الخلافة حيث " عظُم أمرها ،وكثرت شعائر الإسلام فيها و علتْ فيها السنّة ، و عَفَتْ منها البدعة صارت محل سكن العلماء ، ومحطّ رحال الفضلاء ، وهذا سرٌّ من أسرار الله أودعه في الخلافة النبوّية حيث ما كانت يكون معها الإيمان والكتاب "[3] ، وهذا لا يعني أن باقي مدن الإسلام ليس فيها شيء من العلم فدمشق كانت كذلك مركزاً من مراكز العلم والعلماء وكذلك

1 – الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتوح بيبرس التركي البندقداري، صاحب مصر و الشام ،كان شجاعا فارساً ، مقداماً، وُلي السلطنة سنة 658هـ/1260م ، له أيام بيض في الإسلام ، و فُتوحات مشهورة ، و لولا ظلمه و جبروته في بعض الأحيان لعُدَّ من الملوك العادلين. ابن العماد: **المصدر السابق** ، ج 07، ص ص 610-611

2 – المستنصر بالله : أحمد أبو القاسم ابن الظاهر بأمر الله أبي نصر محمد بن الناصر لدين الله أحمد ،كان محبوساً ببغداد أطلق فهرب ، وصار إلى عرب العراق ، فلما تسلطن الملك الظاهر بيبرس تولى خليفة مصر لمدة ستة أشهر ، قتل بعد أن توجه للعراق سنة 660هـ/1262م.السيوطي : **المصدر السابق** ، ص 374

3 – جلال الدين السيوطي : **حسن المحاضرة في تاريخ مصر و القاهرة** ،ج02،ص 94

حلب والقدس واليمن وبلاد الأندلس والحجاز ، وأما بغداد والري وبخارى ونيسابور وخراسان فقد ضعف أمرها بعد استيلاء التتار عليها.

وعلى الرغم من أن السلطان بيبرس أعاد الخلافة إلى العباسيين فإن الخليفة لم يكن له في عهده من الأمر شيء اللهم إلا ما كان متعلقا بالدين و حراسته .وهكذا لم تصبح للخلافة في عصره أي صبغة سياسية ، كما لم يبق للخليفة أي نفوذ بعد أن كان الناس لا يرون لهم حاكما غيره يجمع في يده بين السلطتين الروحية و الزمنية[1].

كان إعلان القاهرة دار خلافة الإسلام من قبل السلطان الظاهر بيبرس سنة651هـ/ 1261م بمثابة بث الروح للعاصمة الإسلامية الجديدة، ومن الطبيعي أن تكون دار الخلافة هي دار العلم والمكان الطبيعي للعلماء كما أن الثقل السياسي والاقتصادي والعسكري والأمني الذي باتت تشكله كان عاملا أساسيا في اجتذاب أعداد هائلة من العلماء الذين جعلوا من القاهرة وجهة مهمة في عملية الأخذ والعطاء العلمي.

ثم إن الاستقرار الذي فرضه السلاطين المماليك لا سيما في عهد السلاطين الكبار مثل الظاهر بيبرس و المنصور قلاوون، جعل من القاهرة مركزَ جذب جديد للراغبين في المعرفة أخذاً وعطاء.

لقد توافرت ظروف عديدة جعلت مصر تشهد حركة علمية نشيطة و تتحول في وقت قصير إلى مركز إشعاع حضاري كما اجتمعت لهذه الحركة بمصر في ظل دولة المماليك عوامل عدة ، ساعدت مجتمعة على ازدهارها ، يمكن إجمالها في الآتي :

1 – محمد جمال الدين سرور : **الظاهر بيبرس و حضارة مصر في عصره**، مطبعة دار الكتب المصرية ،القاهرة 1938، ص 73

أولا:اهتمام السلاطين المماليك و أمرائهم بالحركة العلمية:

حرص سلاطين المماليك على تشجيع العلماء و تقريبهم من مجالسهم و حاولوا الاقتداء بأسلافهم الأيوبيين حتى و لو لم يصلوا إلى مراتبهم في ذلك ، فقد كانوا يشجعون العلماء ويستشيرونهم في الكثير من القضايا ،خاصة وأن أحوال العا لم الإسلامي كانت تفرض عليهم الاهتمام بالعلم و العلماء ، وأن يعطوا علماء الدين الإسلامي عناية خاصة .فقد كان قيام دولة المماليك في مصر خلال ظروف استثنائية نتيجة الحملات الصليبية التي مس بعضها أراضيها ، و الغزو المغولي الذي شرعت جحافله في دك المدن الإسلامية الواحدة تلو الأخرى ،الأمر الذي دفع السلاطين على تقريب العلماء و استشارتهم.

و تشير المصادر إلى أن السلطان سيف الدين قطز لما عزم على الخروج لمواجهة المغول عقد مجلسا جمع فيه القضاة و مشايخ العلم فحادثهم في الخروج إلى لقاء المغول ، فأشاروا إليه بالخروج ، ولما طلب منهم أن يساعدوه في اقتراض المال من التجار لحاجته إليه في هاته الحرب رفضوا ذلك و طالبوه بإخراج ما عنده هو و جنوده و إنفاقه على الجيش و انه لا يحق له أن يأخذ من أموال المسلمين[1].

و تحمل هذه الرواية أكثر من دلالة إذ تبين حرص السلطان على مشورة العلماء في كل ما يعرض لهم، وفي كل أمر يستجد، و أخذ موافقتهم في الكثير من الأمور بل و الإذعان لرأيهم و رجوع السلاطين عن بعض قراراتهم[2] .

[1] – تاج الدين السبكي: **المصدر السابق**، ج08، ص215

[2] – ابن تغرى بردى: **المصدر السابق** ، ج 07، ص 68

تميز بعض سلاطين المماليك وأمرائهم بالمحبة للعلوم والمشاركة في الحياة العلمية وأحبوا العلم ومذاكرته،

ووجد منهم علماء، وقد أُثر عن الظاهر بيبرس مثلا ميله الشديد إلى التاريخ وأهله، واعتباره مما يعطي التجارب ، و كان يقرب أرباب الكمالات من كل فن وعلم[1]، غير أن ميلهم إلى الحديث وأهله يبدو ملفتا إذ سجل لكثير منهم السماع للأحاديث ولصحيح البخاري خاصة، واستنساخ كتبه،واستقدم بعض أعيانهم شيوخه المشاهير من الشام لسماع روايتهم له، ومنهم من جعل بيته مكان إلقائه.

كان الظاهر بيبرس من أكثر السلاطين المماليك الذين أظهروا للعلماء المكانة التي يستحقونها، وتدلل مواقفه المتعددة على ذلك، فأكثر لهم من بناء المؤسسات العلمية، وكان محباً للعلم وأهله، ويقال إن عبد العزيز بن عبد السلام (ت 660 هـ/ 1261 م)[2] لما حضر بيعة الظاهر بيبرس قال:"... يا ركن الدين أنا أعرفك مملوك البندقدار " ، فما بايعه حتى جاء من شهد له بالخروج من رقه، وبلغ من تقدير بيبرس له أنه شهد جنازته بنفسه، ولما بلغه نبأ وفاته، قال الناس:"... لم يستقر ملكي إلا الساعة، لأنه لو أمر في بما أراد لتبادروا إلى امتثال أمره"[3].

وكان الظاهر بيبرس قد استقبل العالم عز الدين بن شداد بعد ما وصله من حلب هارباً من طغيان التتار، وأحسن وفادته وشمله بالإنعام والإكرام، ورد ابن شداد الجميل بأن ألف كتاباً مدح فيه بيبرس، وأثنى على إنجازاته، وقد عرف عن بيبرس أيضاً محبته للفقهاء خاصة.

وقد ارتبطت عناية بيبرس بالعلماء بعنايته بالمذاهب الفقهية والقضاة، إذ عد أول من جعل القضاة أربعة، و لكل مذهب قاض، وحدث هذا سنة 663 هـ / 1264 م، وذلك عندما سأل

---

1 - ابن تغري بردي : **المصدر السابق** ، ج 7، ص162

2 -شيخ الإسلام و المسلمين ،، أحد الأئمة الأعلام ، سلطان العلماء ، وحيد عصره ، عز الدين ، أبو محمد ، السلمى ، الدمشقي ، ثم المصري ، برع في المذهب ، و جمع بين فنون العلم من التفسير، و الحديث ، و الفقه ، بلغ رتبة الاجتهاد، و صنف التصانيف المفيدة منها "اختصار النهاية"و " القواعد الكبرى".ابن قاضي شهبة : **طبقات الشافعية** ،دار المعارف العثمانية ، حيدر آباد الهند، 1978، ج02، ص ص137-140

3 - ابن العماد : **المصدر السابق** ، ج 07، ص ص522-524

القاضي تاج الدين ابن بنت الأعز الشافعي[1] في أمر فامتنع من الدخول فيه فقيل له: مر نائبك الحنفي يستنيب من شاء من المذاهب الثلاثة، فامتنع من ذلك أيضا ، فجرى ماجرى ، فولى كل مذهب قاضياً[2].

أما الملك الأشرف خليل بن قلاوون[3] فتصفه المصادر التاريخية بأنه كان حسن الفهم ، و كان يعلم على المراسيم ، يقرأها جميعا و يفهم مافيها ، و كان يخرج بأشياء كثيرة في صنعة الإنشاء ،و يلخص المقريزي تعليمه قائلا:"...كان الأشرف خليل يطارح الأدباء بذهن رائق و ذكاء مفرط..و لايعلم على مكتوب حتى يقرأه كله ولابد أن يستدرج على الكتاب فيه مايتبين لهم فيه الصواب "[4] أما ابن تغري بردى فيذكر:" أنه كان ذا ذهن و ذكاء مفرط" و كان عند بعضهم علم بالفقه فهذا بيبرس الجاشنكير[5] "...كان موصوفا بالعقل التام و الفقه ، خرج للحج سنة 701هـ/1323م و حج بالناس ، و صنع من المعروف شيئا كثيراً ، و أبطل عدة بدع كانت معروفة،منها أنه قلع المسمار الذي كان في وسط الكعبة ، و كان العوام يسمونه سرة الدنيا ، و ينبطح الواحد منهم على وجهه ، ويضع سرته مكشوفة عليه و يعتقد أن من فعل ذلك عتق من النار ، كذلك أزال الحلقة التي يسمونها

---

1 -أحد القضاة الأجواد القائمين بحدود الله ،كان رجلا فاضلا متبحرا ، و أحد الأئمة الأعلام وله اليد الطولى في الفقه والحديث وعلوم القرآن والتفسير، وكان عارفاً بالمذاهب ومتبحراً في الأحكام السلطانية. ولى قضاء الديار المصرية ، و تدريس الشافعي ة الصالحية و الوزارة و غير ذلك.السيوطي : **المصدر السابق**، ج 01، ص415

2 - السبكي : **المصدر السابق** ، ج08، ص319

3 -الملك أبو الفتح الاشرف صلاح الدين ابن الملك المنصور سيف الدين قلاوون خليل الألفي الصالحي النجمي ولد بالقاهرة سنة 666هـ/1267م ، و توفي سنة 693هـ/1293مقرب الإسكندرية ، و هو ثامن سلاطين الدولة المملوكية البحرية، جمع بين الذكاء و الشجاعة و الإقدام ، و كان ذا تعليم جيد.الحسن بن أبي محمد الصفدي : **نزهة المالك و المملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك** ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية،بيروت 2003، ص ص 164-166

4 - تقي الدين أحمد بن علي المقريزي:**كتاب السلوك لمعرفة دولة الملوك**،تصحيح محمد مصطفى زيادة ،مطبعة لجنة التأليف والترجمة و النشر ،القاهرة 1957، ج01، ق3، ص 791

5 -كان من مماليك المنصور قلاوون و ترقى إلى أن صار استاداراً ، و كان أشقر اللون ، مستدير اللحية موصوفا بالعقل التام و الفقه ،و هو من جملة الأمراء الذين تعصبوا للناصر ، و صار مدبرا للملكة ، بويع في الثالث و العشرين من شوال سنة 708هـ/1310م .ابن كثير : **المصدر السابق** ، ج 18، ص 80 ، ابن تغري البردي **المصدر السابق** ، ج08، ص 183

العروى الوثقى .إن من يتصدى لهذه لمثل هذه البدع لابد أن يكون على قدر من الاطلاع على أمور الفقه ، ملماً بكثير من مسائل الفروض و العبادات[1].

أما الملك الناصر محمد بن قلاوون فقد كان مطاعاً مهيبا عارفا بالأمور ، يعظم أهل العلم ، و لا يقرر في المناصب الشرعية إلا من يكون أهلاً لها و يتحرى لذلك و يبحث عنه و يبالغ[2] .

و كان الملك الناصر يحضر مجالس العلم ، و يخلع على العلماء ، فعندما افتتح الخانقاه[3] التي أنشأها بجوار قصره ، حضره الصوفية و القضاة و مشايخ البلد ، وسمع السلطان هناك على القضاة ، و أقام بالخانقاه المذكورة وليمة عظيمة و فرق على المشايخ ثلاثين ألف درهم من الذهب و الفضة.

و كان السلاطين يصدرون تكليف التدريس في المدارس بأنفسهم كالمدرسة الصلاحية ،كما لم ينسوا ضمان الحياة الكريمة و الدخل الذي يكفل مستوى عيش مرموق لهؤلاء العلماء ، فقد رتب الظاهر بيبرس في تربته مدرستين : شافعية و حنفية ورتب في كل مدرسة مدرساً له مئة و خمسون درهما في الشهر ومعيدان لكل واحد منهما أربعون درهماً[4] .

أما أمراء المماليك فلم يقل دورهم في تحصيل العلم عن سلاطنيهم بل ربما فاقوهم ، فقد كانوا أوفر حظا من السلاطين من حيث اطلاعهم على العلم و تخصصهم في ميادينه المختلفة ، و مشاركاتهم فيه ، بل لقد ألف بعضهم المصنفات في مختلف فنون العلم.

---

1 - محمد بن علي الشوكاني : **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع** ،دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، ج 01 ، ص ، ص 166-167

2- الشوكاني : **المصدر نفسه** ، ج 02، ص 238

3 - الخانقاه كلمة فارسية معناها بيت جعلت لتخلو الصوفية فيها للعبادة. وهي بناء مستقل ملحق به مطبخ وحمام وأماكن للإعاشة تكون إما حول صحن متوسط أو في مبنى منفصل مثل ما هو موجود في خانقاه فرج بن برقوق. ويبدو مما ذكره المؤرخون تداخل مصطلحي المدرسة والخانقاه بحيث يطلقون أحياناً على المدرسة اسم الخانقاه والعكس، و الخوانق حدثت في الإسلام في حدود الأربعمائة من سنى الهجرة ، و جعلت لتخلى الصوفية فيها لعبادة الله تعالى .المقريزي: **الخطط** ، ج 03، ص567.سعيد عبد الفتاح عاشور:**المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك**،دار النهضة العربية القاهرة1992، ص ص 186-187

4 - عز الدين بن شداد : **تاريخ الملك الظاهر** ،اعتناء أحمد حطيط،المعهد الألماني للأبحاث الشرقية ، بيروت 1983، ص ص 227-228

فهذا الأمير ركن الدين بيبرس الدوادار المنصوري[1] الذي كان عالماً فاضلاً، فقيهاً ، نحوياً ، ينظم الشعر ، وألف تاريخاً سماه " زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة" [2]، أما خليل بن كيكلدي العلائي فكان ممن سمعوا الحديث ، حيث بلغت مشيخته أكثر من سبعمائة ، كما رحل إلى الأقطار ، و اشتغل بالفقه و العربية ، وصنف التصانيف في الفقه و الأصول و الحديث منها "إثارة الفوائد المجموعة في الإشارة إلى الفوائد المسموعة".و قد لبس زي الفقهاء[3]، و تولى التدريس بالمدرسة الناصرية[4] .

أما الأمير علم الدين سنجر بن عبد الله الجاولي[5] فكانت له مشاركة واسعة في العلم ، فقد روى مسند الإمام الشافعي ، و حدث به ، ورتبه ترتيباً حسناً، و شرحه في مجلدات ، كما قرأ الفقه على مذهب الشافعي وأفتى ، و اجتمع بأهل العلم وأحسن اليهم[6].

لقد أنشأ سلاطين المماليك في النصف الثاني من القرن السابع وخلال القرن الثامن الهجريين المدارس والمساجد كانت موزعة عبر كامل تراب مصر، وقد ورث المماليك السياسة التعليمية والحرص

---

1 – ركن الدين بيبرس المنصوري الناصري الخطائي أمير من أرباب الدولة و مؤرخ مملوكي. وهو ليس السلطان الظاهر بيبرس_البندقداري رغم التشابه في الأسماء. ولد "بيبرس" حوالي سنة 645هـ/1247م ، و عاش في مصر وعاصر كبار سلاطين الدولة المملوكية البحرية أمثال : "الظاهر بيبرس" و"المنصور قلاوون" و "الأشرف خليل" و "الناصر محمد بن قلاوون" . كان "المنصوري" خادمًا لـ"الملك الرحيم" صاحب الموصل فاشتراه "المنصور قلاوون"، وأدخله في زمرة "أرباب الجاميكيات"، ثم أصبح في السلك السياسي. إنضم "بيبرس المنصوري" إلى مماليك الأمير "قلاوون الآلفي" وعاش في حي البندقانيين بالقاهرة، والتحق بالمدرسة ليحفظ القرآن ويتعلم أمور الدين. مر بمناصب سياسية متعددة، واشترك في حروب ضد الصليبيين والمغول. ابن تغري بردي: **المصدر السابق** ،ج 09، ص ص 189-190

2 – الأمير ركن الدين بيبرس: **زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة** ،تحقيق دونالد س.ريتشارد ، الشركة المتحدة للتوزيع بيروت 1998.

3 –ابن تغري بردي: **المصدر نفسه** ،ج 10، ص ص 263-264

4 – ابتدأها العادل كتبغا، وأتمها الناصر محمد بن قلاوون، فُرِغَ من بنائها سنة ثلاث وسبعمائة، ورتب بها أربعة أواوين، كل منها خاص بأحد مدرسي المذاهب الأربعة، فالمدرس المالكي اختص بالإيوان القبلي والشافعي بالإيوان البحري والحنفي بالإيوان الشرقي والحنبلي بالإيوان الغربي، قال المقريزي : أدركت هذه المدرسة وهي محترمة إلى الغاية، يجلس بدهليزها عدة من الطواشية، ولا يُمَكّن غريب أن يصعد إليها. السيوطي :**المصدر السابق**، ج 02، ص 265.

5 – الأمير علم الدين سنجر الجاولي من مماليك جاور احد أمراء الملك الظاهر بيبرس ثم اتصل بعده ببيت السلطان قلاوون وأصبح من مماليك وترقي إلي أن صار مقدما بالشام ثم واليا لغة وصادفته محن انتهت في سنة 728هجري بتعينه أميرا مقدما بمصر، وكان من المشتغلين بالعلم متخصصا في الحديث وفي فقه الإمام الشافعي روي مسند الشافعي وحدث به ورتب مسند وشرحه في مجلدات بمعاونة غيره . ابن العماد : **المصدر السابق** ، ج 08، ص ص247-248

6 – ابن تغري بردي: **المصدر نفسه**، ج 10، ص90

على إنشاء المدارس والخوانق والكتاتيب من أسلافهم الأيوبيين ، و من أهم المدارس نجد المدرسة الظاهرية التي أنشأها السلطان ركن الدين بيبرس، و المدرسة الناصرية التي أنشأها السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة 703هـ/1305م ورتب بها مدرسي المذاهب الأربعة كل في إيوان خاص به .

وتفننوا في بناء هذه المنشآت التعليمية وبذلوا الأموال الطائلة في سبيلها، وخصصوا لها أوقاف كثيرة لتستمر ، وقد وجدها ابن بطوطة حين زار القاهرة سنة726هـ/ 1325م لا تحصى لكثرتها:"...وأما المدارس بمصر فلا يحيط أحد بحصرتها لكثرتها "[1] ، وكانت تربطهم علاقة جيدة بالعلماء يعظمونهم[2] ، ويقضون شفاعتهم، و يصلونهم بالمال والهدايا .وبنوا لأجل متصوفيهم الخوانق ،وقد وصفها ابن بطوطة أيضا بقوله:"...وأما الزوايا فكثيرة وهم يسمونها الخوانق واحدتها خانقة و الأمراء في مصر يتنافسون في يناء الزوايا ..."[2] .

و كانت المكاتب(الكتاتيب) في العصر المملوكي بمثابة مدارس ابتدائية ، و كان الهدف منها آنذاك تعليم اليتامى ، الأمر الذي دفع أهل الخير إلى إنشاء المزيد منها طلبا للثواب وخصصت لها الأموال اللازمة للتعليم و توفير المأكل و الملبس و المسكن .

كما خصص لها المؤدبون و العرفاء لتعليم الكتابة وقراءة القرآن و تحفيظه ، و كان يتم اختيار هؤلاء من أهل العقل و الورع و الأخلاق الحميدة و المتصفون باللين و البعد عن القسوة و العنف[3].

1 –ابن بطوطة : **المصدر السابق**،ج 01 ص 20

2 –ابن بطوطة : **المصدر نفسه** ،ص 20

3 – سعيد عبد الفتاح عاشور: **مصر و الشام في عصر الأيوبيين و المماليك** ،دار النهضة العربية ،بيروت 1972،ص280

ثانيا:هجرة العراقيين إلى مصر بعد سقوط بغداد:

لقد نتج عن الغزو المغولي للبلاد الإسلامية هجرة عدد كبير من العلماء والأدباء ، وتشريدهم خارج ديارهم، فقد أضحت تلك البلاد مكاناً غير ملائم للإقامة فيها ، لكثرة ما نزل بها من قتل وأسر ، ونهب ، ودمار وتشتيت . وحفلت كتب التاريخ بالحديث عن الوضع الذي آلت إليه المدن المحتلة جراء الغزو المغولي لها، فبغداد على سبيل المثال عادت بعد ما كانت آنس المدن كلها كأنها خراب ليس فيها إلا القليل من الناس، وهم في خوف وجوع وذلة وقلة ، وقد وضع السيف في أهلها وما زال " يعمل فيهم أربعين يوماً في قتل وأسر وعقوبة على الأموال ، فقتلوا الرجال والنساء والصبيان والأطفال"[1] .

و تطلع العراقيون في ظل هذه الأوضاع ، وبعد سقوط دولة الخلافة وعاصمة المسلمين بغداد ، إلى كل قطر إسلامي أو ملجأ يحميهم ، ويذب عنهم ، فلم يجدوا غير مصر والشام (انظر الجدول رقم 01 ص 120) ، فاتجهوا إليها ليقيموا دولة العلم والأدب والدين ، وعندما شمل الغزو المغولي الشام ، انحازوا إلى مصر يلوذون فيها، وبعد معركة عين جالوت الفاصلة سنة 658هـ/1260م ، زاد تطلع العراقيون إليها ، وزاد من شأنها أن الظاهر بيبرس أحيا الخلافة هناك ، فاحتلت مصر بذلك مكان بغداد[2].

أضف إلى ذلك أن مصر كانت قلعة حصينة لم يتمكن المغول من دخولها بهمة دولة المماليك الفتية ، هذه الدولة التي كانت تقاتل على غير جبهة ، وتذود عن حمى المسلمين ، وتقف سداً منيعاً أمام هجمات التتار من جهة ، والصليبيين من جهة أخرى . وكان في مصر يومئذ عدد كبير من المدارس ، ومجالس العلم ، والمكتبات ، وقد شجع ذلك كله العلماء والأدباء على التوجه إليها ، وكان من هؤلاء الوافدين من ألّف ، ودرّس ، وخطب ، وتولّى القضاء ، وأفتى . وإذا كانت تلك الهجرات قد أثّرت سلبياً على الحياة الثقافية في البلاد المهجورة ، فإنها من جهة أخرى كانت ذات أثر إيجابي على مصر ، فقد ساعدت على ازدهار النشاط

1 - ابن الفوطي: **الحوادث الجامعة** ، ص 236

2 - سحر السيد عبد العزيز سالم :**العراقيون في مصر في القرن السابع هجري**،مؤسسة شباب الجامعة للطباعة و النشر،الاسكندرية1999،ص13

العلمي فيها ، فبعدما اطمأنت قلوب العلماء ، ولقوا في إقامتهم من عطف المماليك ما حبب إليهم البقاء ، راحوا يكتبون ويؤلفون محاولين إعادة الذخائر التي أبادها المغول.

جدول رقم (01): خاص ببعض الجهات التي اتجه إليها علماء بغداد بعد الغزو المغولي[1]

جهة الهجرة	بلاد الشام و مصر	فارس والمشرق	جهات أخرى	المجموع
الفقهاء	06	-	-	06
المحدثون	09	01	02	12
القراء و المفسرون	01	-	-	01
الأدباء و علماء اللغة	07	01	03	11
التاريخ	-	-	01	01
الأطباء	-	01	-	01
المنطق وعلم الكلام	01	-	-	01
الفضلاء	05	-	01	06
الفلك	-	01	-	01
الكيمياء	-	01	-	01
الموسيقى	01	-	-	01
المجموع	**30**	**05**	**07**	**42**

1 - يلاحظ أن بلاد الشام و مصر هي من أكثر الوجهات التي اتجه إليها علماء العراق بعد الغزو المغولي لبلادهم، حيث بلغ عددهم 30ثلاثين شخصية بسبب الموقف العدائي للدولة الايلخانية تجاه المماليك ، و يبدو أن عدد من هاجر قليل وهو ما يجعل نسبة مساهمتهم في النشاط العلمي محدود وليس بالصورة التي تذكرها بعض الدراسات ، نقلا عن ابن العماد: **المصدر السابق** ، ج7. الذهبي: **العبر**، ج3. ابن تغري: **المصدر السابق**، ج7.سحر عبد العزيز سالم : **المرجع السابق**، ص ص11-18

وأخذت هجرات العراقيين إلى مصر في منتصف القرن السابع هجري شكل الهجرة الجماعية ، فلم تعد هجرات فردية مثلما كان عليه الأوقات السابقة ، فقد هجرت أسرات عراقية بأكملها من العراق نحو مصر، ولم يكن انتقال العلماء من العراق إلى مصر طوعيا و إنما أملته الظروف التي مر بها هذا البلد وقت ذلك فالإرجاف بكارثة سقوط بغداد دفع الكثيرين من أهل العراق إلى الرحيل إلى دمشق و القاهرة عام 655هـ/1257م ، حيث يذكر المقريزي أنه في هذه السنة :"...كثر الإرجاف ببغداد لما سمعوه عن قسوة المغول في البلاد التي فتحوها، فخرج الناس فارين من بغداد إلى غيرها من الأقطار.."[1]

و في ذلك يقول اليونيني: "...فيها كثر الإرجاف بوصول التتار إلى البلاد ، فجفل الناس من بين أيديهم إلى الديار المصرية و الجبال و الأماكن المتوعرة ..."[2]،و هذا يشير إلى هروب من كان قد لجأ إلى الشام من أهل العراق إلى مصر ، و كانوا يشكلون كثرة عددية في أعقاب سقوط بغداد ، و أصبحت مصر منذ ذلك العام ملاذا لأهل العراق، وقد شجع ذلك كله العلماء والأدباء على التوجه إليها.

وحوت كتب التاريخ والأدب وتراجم الرجال على أسماء عدد من العلماء والأدباء الذين رحلوا من موطنهم عقب الغزو المغولي له ، وقد تحدثت هذه المصادر عن دور بعضهم في ازدهار الحركة الفكرية والأدبية في موطنهم الجديد ، كما تحدثت عن المناصب التي تولوها هناك ، وعما أصبح لهم من شأن عند الحكام والوزراء ورجال الدولة الآخرين.

1 -تقي الدين أحمد بن علي المقريزي: **المصدر السابق** ، ج01، ق2، ص 407

2 -قطب الدين اليونيني: **المصدر السابق** ،ج01، ص350

ومن العلماء والأدباء الذين تركوا بغداد سنة 656هـ/1258م قطب الدين سنجر المستنصريّ المعروف بالياغز[1] فقد استقرّ في الشام ، وكان محترماً في الدولة الظاهرية ، وعنده معرفة ونباهة وحسن عشرة ويحاضر بالأشعار والحكايات[2].

وعندما هاجم المغول مدينة الموصل سنة 660 هـ/1260م ، وارتكبوا المجازر بحق أهلها ، ودمروا حضارتها، خرج منها عدد من العلماء والأدباء، ومنهم الأديب الحكيم شمس الدين بن دانيال الخزاعي الموصلي الكحّال[3]، فقد استقر به المقام في مصر، ليتخذ حرفة الكحالة في دكان قرب باب الفتوح، وذلك أيام الظاهر بيبرس، وساهم هذا الأديب في الفترة التي عاشها في مصر ، وتصل إلى خمسين سنة في ازدهار الحركة الأدبية والفنية ، فهو شاعر كتب في موضوعات الشعر المختلفة ، وناثر كتب تمثيلياته المشهورة.

ويؤكد المكانة المرموقة التي وصل إليها ابن دانيال (أنظر الجدول رقم (02) ص123) في مجتمعه الجديد ، أنه خدم في قلعة الجبل، وكان على علاقة ببعض الأمراء والقادة والأعيان ، فقد مدح عدداً منهم. وممّا يؤثر عنه أنه كان مقربا من الأشرف خليل بن قلاوون قبل توليه السلطة[4].

---

1 – من مماليك الإمام المستنصر، و لما أخذت بغداد كان هو في جملة من هرب منها ، ووصل إلى الشام ، و كان محترما في الدولة الظاهرية ، و عنده معرفة ونباهة و حسن عشرة ، و يحاضر بالأشعار و الحكايات.صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي : **المصدر السابق** ، ج12، ص328

2– ابن تغري بردي: **المصدر السابق** ،ج07، ص232. قطب الدين اليونيني: **المصدر السابق** ،ج02، ص459

3 –محمد بن دانيال بن يوسف الخزاعي الموصلي ، شمس الدين ،أصله من الموصل ، و مولده بها عام 647هـ/1249م ، نشأ و توفي بالقاهرة سنة 710هـ/1308م ، له العديد من المصنفات صاحب نكت ونوادر ومجون. الصفدي: **المصدر نفسه** ،ج01، ص 225

4 – المقريزي: **المصدر السابق** ،ج02، ص 95

جدول رقم (02): خاص بأسماء بعض الأدباء و العلماء الذين هاجروا من الموصل إلى بلاد الشام ومصر بعد الغزو المغولي[1]

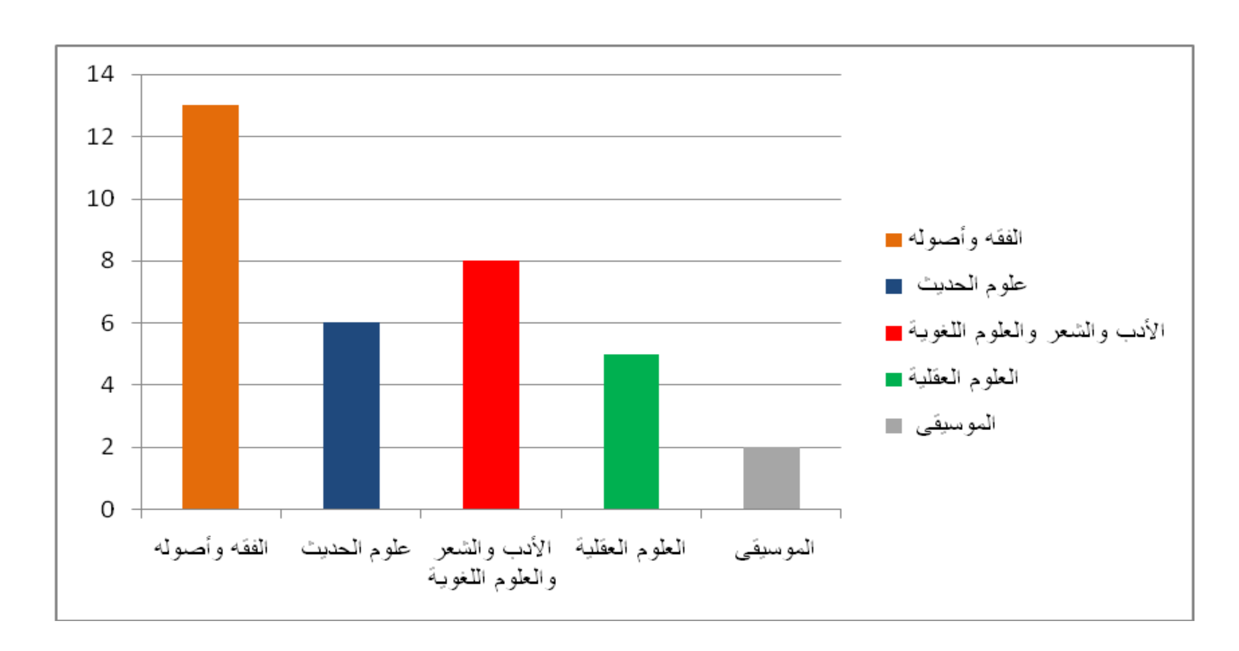
الرقم	الاسم	سنة الوفاة	مكان الهجرة
01	إسماعيل بن هبة الله بن سعيد الموصلي بن باطيش	655هـ/1257م	بلاد الشام
02	شمس الدين محمد بن أبي بكر بن سيف التنوخي الموصلي	662هـ/1264م	بلاد الشام
03	علي بن يعقوب بن شجاع بن علي بن إبراهيم بن محمد بن زهران العماد الحسن الموصلي	682هـ/1284م	بلاد الشام
04	ابوبكر بن عبد الرحمان بن منصور بن جامع نجم الدين الموصلي	693هـ/1295م	بلاد الشام
05	علي بن مسعود بن نفيس بن عبد الله أبو الحسن الموصلي	704هـ/1303م	بلاد الشام
06	شمس الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف الحراني الموصلي المعروف بابن دانيال	710هـ/1310م	مصر
07	احمد بن موسى الموصلي	710هـ/1310م	بلاد الشام
08	محمد بن محمود بن حسن الموصلي	714هـ/1314م	مصر
09	ابوبكر بن محمد بن أبي بكر الموصلي تقي الدين	716هـ/1315م	بلاد الشام
10	علي بن إسحاق بن لؤلؤ الموصلي	731هـ/1330م	مصر
11	الحسين بن علي بن أبي بكر بن محمد بن أبي الخير الموصلي	759هـ/1352م	بلاد الشام

وشكل هؤلاء العلماء والأدباء المهاجرون صنفان:

صنف هجر موطنه ، واستقر في موطن هجرته ، وقضى فيه ما تبقى من حياته ، وأغلب المهاجرين من هذا الصنف ، إذ بنوا في مجتمعهم الجديد علاقاتهم ، ووسعوا معرفتهم ، ونشاطهم ، وأكثروا من الإنتاج العلمي والأدبي. وصنف آخر عاشوا في البلاد التي نزحوا إليها حقبة من الزمن، ثم عادوا إلى موطنهم بعد زوال الأسباب التي دفعتهم إلى تركه.

1 - المصادر: الذهبي: **العبر**، ج3، ص275/ 350. اليونيني: **المصدر السابق** ، ج2، ص310. ابن حجر العسقلاني: **المصدر السابق** ، ج2، ص59، ج3،ص129/23، ج4، ص299/251، ج1، ص457/324.

وقد كان لكلا الصنفين دور جلي وبارز في ازدهار الحركة العلمية والأدبية وتنشيطها في الأماكن التي نزحوا إليها عامة ، وفي مصر خاصة . حيث شغل كثيرون منهم مناصب رفيعة هناك ، مثل التدريس ، والقضاء ، والحكم ، والإفتاء ، وألّفوا كتباً في شتى العلوم والفنون (أنظر الشكل رقم: (01)) ، وبنى بعضهم مكاناً للتدريس ، يستقطب الطلبة إليه ، وتخرج على أيديهم علماء كثيرون، حملوا لواء العلم ونشره ، وبلغت شهرة بعضهم أن قصده الناس من أماكن شتى وبعيدة ليفتيهم في شؤون دينهم ، ولينهلوا العلم على يديه . وأصبح آخرون على علاقة وثيقة بسلاطين مصر وقادتها ، وأمرائها ومتصرفي الأمور فيها.



نسبة مساهمة العراقيين في الإنتاج العلمي بمصر في عصر المماليك[1]

1- اليونيني: **المصدر السابق** ، ج2، ص403/392، ج3، ص50. السبكي: **المصدر السابق** ، ج8، ص80. ابن العماد: **المصدر السابق** ، ج7، ص701، ج8، ص21-50/47/22. الذهبي: **العبر** ، ج3، ص386، ج4، ص110. المقريزي: **المصدر السابق** ، ج1، ق3، ص738. ابن حجر العسقلاني: **المصدر السابق** ، ج2، ص375/239، ج4، ص399/392/347/262. ابن تغري: **المصدر السابق** ، ج7، ص239.

ثالثا:المراكز العلمية :

عرفت مصر في تلك الفترة مراكز عدة ، كان لها الحظ الأوفر في نشر العلم و المعرفة، واستمرارية الحركة العلمية ، ويمكن تصنيف هذه المراكز إلى :المكاتب (الكتاتيب) و المدارس، والجوامع و المساجد ، و الخوانق ، و الربط و الزوايا ، و خزائن الكتب (المكتبات)، و مجالس العلم التي كانت تعقد في بيوت العلماء .وقد ورثت دولة المماليك في مصر عدداً لأبأس به من دور العلم يرجع تاريخ بعضها لأسلافهم الأيوبيين بل إن بعضها يعود حتى إلى الفتح الإسلامي ومن أهمها:

1-المكاتب (الكتاتيب):

انتشر بناء المكاتب على نطاق واسع زمن المماليك ،و عرف منها نوعان هما:

أ- المكاتب الخاصة:التي كان يقيمها من وجدوا في أنفسهم القدرة على اتخاذ التعليم حرفة يتقوتون منها و يتعلم فيها الأطفال مقابل أجر معلوم يدفع لأصحاب هاته المدارس.

ب- المكاتب العامة:كان قيامها مرهوناً بأصحاب المناصب و الجاه في الدولة ، من سلاطين وأمراء و وزراء و علماء ، و كان التعليم فيها مكفولا للأيتام و الفقراء بدون مقابل[1] .

و لقد أقيمت هذه المكاتب عادة ملحقة بالمدارس و المساجد ، أو إلى جانب الأربطة و الخوانق ، أو حتى في الدكاكين.

أما القائمون عليها من معلمين أو فقهاء فيراعى فيهم أن يكونوا مؤهلين خلقيا و علميا ومن أهل الصلاح و العفة و الأمانة ، حافظا للقرآن ، حسن الخط ،حتى يكونون مؤهلين لما يقومون به من عمل.

---

1 - الباز العريني : **المجتمع المصري في عصر المماليك** ، ص167

في حين كان الصبيان و التلاميذ يشترط عليهم أن يكونوا ممن هم دون سن البلوغ ويلتحقون في الغالب بالمكاتب القريبة من مساكنهم

و مما كان يتعلمه الصبيان في هذه المكاتب المنتشرة في أرجاء البلاد مبادئ الكتابة و القراءة ويحفظون القران الكريم .أما في المرحلة الثانية فهي مرحلة حفظ الكتب ، وفيها ينكب الطالب على حفظ كتب مختارة في علوم شتى تكون تمهيدا للمرحلة العليا ، و يمتحن فيها من قبل شيوخه و يمنح إجازة تسمح له الالتحاق بالمساجد والاتصال بكبار الشيوخ لأخذ العلم عنهم ، أو حتى الانتقال إلى مكان آخر في مصر أو خارجها طلبا للعلم و خاصة الحديث و ملازمة شيوخه حتى ينضج ثم يختبر و يمنح فيما بعد إجازة التدريس أو غيرها.

2- المدارس:

ورث سلاطين المماليك فيما ورثوه عن الأيوبيين نظامهم التعليمي ، فخطت المدارس في عهدهم خطوات كبيرة و ساروا مثل أسلافهم الأيوبيين في إنشاء المدارس ووقفها على المذاهب الأربعة أو بعضها، فقد أنشأ المعز أيبك التركماني[1] مدرسته المعروفة بالمعزية[2]، كما أنشأ المظفر قطز مدرسته التي بقرب حدرة البقر[3]، وأسس الظاهر بيبرس بالقاهرة سنة 662هـ/1264م المدرسة الظاهرية لتدريس المذهب الشافعي و الحنفي و تدريس القراءات و الحديث النبوي ، و أجرى الرواتب

1-السلطان الملك المعز عزُ الدين أيبك بن عبد الله الصالحي النجمي المعروف بالتركماني ، أول ملوك الترك بالديار المصرية ، أصله من مماليك السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب .اتفق الأمراء على سلطنة الملك المعز أيبك هذا و سلطنوه بعد أن بقيت الديار المصرية بلا سلطان عام 1250 بعد أن تزوجته شجر الدر سلطانة مصر وأرملة السلطان الأيوبى الصالح أيوب وتنازلت له عن العرش، وبقي سلطانا على مصر إلى أن اغتيل بقلعة الجبل في عام 655هـ/1257م. ابن تغري: **المصدر السابق** ، ج 07، ص ص 3- 10

2 – أنشأها الملك المعز سنة 654هـ/1256م برحبة دار الملك ، وكانت هذه المدرسة تقع على شاطئ النيل بمصر القديمة ووقف عليها أوقافا. ابن تغري : **المصدر نفسه** ، ج 07، ص 13

3 – دار البقر :هذه الدار خارج القاهرة فيما بين قلعة الجبل وبركة الفيل، بالخط الذي يقال له اليوم حدرة البقر،كانت داراً للأبقار التي برسم السواقي السلطانية، ومنشراً للزبل، ثم إن الملك الناصر محمد بن قلاوون أنشأها داراً و اصطبلاً و غرس بها عدة أشجار،وتولى عمارتها أحد القضاة .المقريزي :**المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار**،تحقيق مديحة الشرقاوي ، مكتبة مدبولي، القاهرة1997، ج 02، ص512

على شيوخها و تلاميذها ، و الحق بها مساكن لهم و خزانة كتب تشمل أمهات الكتب في سائر العلوم ، و كانت هذه المدرسة من أجل مدارس القاهرة[1] .

وأنشأ السلطان الناصر قلاوون سنة 679هـ/1280م المدرسة المنصورية لأصحاب المذاهب الفقهية الأربعة ، و عين لكل مذهب مدرسا ، و خصص له في كل شهر مئتا درهم ، و ثلاثة معيدين لكل منهم خمسة وسبعون درهماً ، ورتب بها درساً للطب و آخر للحديث النبوي الشريف [2].

وأنشأ السلطان حسن بن محمد بن قلاوون مدرسة عند "سوق الخيل"، قيل: إن إيوائها الكبير بني على قدر إيوان كسرى أنوشروان الذي بالمدائن ، وهي تشتمل على أربع مدارس، لكل شيخ مدرسة تختص به، يشغل فيها العلم، كما قرر بهذه المدرسة صوفية يحضرون من بعد العصر، ويقال إنه لم يبن على وجه الأرض مثلها أبدا[3].

أما أمراء المماليك، فقد كان حظهم في إنشاء المدارس أوفر من حظ السلاطين، فقد أنشأ الأمير شمس الدين أق سنقر الفارقاني، نائب السلطنة بمصر للظاهر بيبرس وابنه الملك السعيد بركة خان، المدرسة الفارقانية بالقاهرة، ورتب بها درساً للشافعية، وأخر للحنفي[4] . وأنشأ الأمير علاء الدين طيبرس الخازنداري نقيب الجيوش مدرسة بجوار الجامع الأزهر، وجعل بها درساً لفقهاء الشافعية[5].

1 - المقريزي :**المصدر السابق**،ج03،ص ص 476-479
2 - المقريزي :**المصدر نفسه**،ج03،ص 480
3 - محمد بن أحمد بن إياس الحنفي : **المصدر السابق** ،ج01، ص 559
4 - المقريزي : **المصدر نفسه** ،ج 03، ص 452
5 - المقريزي: **المصدر نفسه**، ج03، ص 489

وأنشأ الأمير علاء الدين أقبغا أستادار الملك الناصر محمد بن قلاوون مدرسة[1]، وقرر بها درسا للشافعية وأخر للحنفية، كما جعل فيها عدة من الصوفية ولهم شيخ، وقرر بها طائفة من القراء يقرأون القرآن بشباكها.

وكان للوزراء وكبار الموظفين مشاركات في إنشاء المدارس أيضا إذ أنشأ الوزير الصاحب بهاء الدين علي بن حنا[2] مدرسة كانت من أجل مدارس الدنيا وأعظم مدرسة بمصر، يتنافس الناس من طلبة العلم في النزول بها، ويتشاحنون في سكني بيوتها، حتى يصير البيت الواحد من بيوتها يسكن فيه الاثنان من طلبة العلم والثلاثة[3].

وأنشأ الرئيس شمس الدين شاكر بن غزيل المعروف بابن البقري ناظر الذخيرة في أيام الملك الناصر الحسن بن محمد بن قلاوون مدرسة كانت في أبدع قالب وأبهج ترتيب، وجعل بها درسا للفقهاء الشافعية .

3- الربط و الزوايا و الخوانق:

انتشر التصوف في العصر المملوكي انتشارا واسعا ، ولقي علماؤه تشجيعاً من السلاطين و الأمراء، وكان هناك أماكن لخلوة الصوفية ، ينقطعون فيها للعبادة والتصوف ، و يسكن فيها الزهاد كالخوانق و الربط و الزوايا ، و لكن هذه الأماكن لم تؤد هذا الدور فقط بل رافقه تمثيل لدور المسجد و دور المدرسة ، فأصبح بيت الصوفية مكاناً للعبادة وموضعاً لتدريس العلوم.و تنافس سلاطين المماليك

---

1 – الأمير أقبغا هو علاء الدين أقبغا عبد الواحد، كان" استادار"الملك الناصر محمد بن قلاوون ومعنى" استادار"ناظر الخاصة الملكية، وهو الذي أنشأ المدرسة الأقبغاوية الموجودة على يسار الداخل إلى الجامع الأزهر، وبها مكتبة الأزهر الآن. المقريزي: **المصدر السابق،** ج03، ص 490

2 – الوزير ابن الحنا علي بن محمد بن سليم بن عبد الله الصاحب بهاء الدين أبو الحسن بن الحنا الوزير المصري، وزير الملك الظاهر وولده السعيد إلى أن توفي في سلخ ذي القعدة، وهو جد جد، وكان ذا رأي وعزم وتدبير ذا تمكن في الدولة الظاهرية، لا تمضي الأمور إلا عن رأيه وأمره، وله مكارم على الأمراء وغيرهم، وقد امتدحه الشعراء. ابن كثير: **المصدر السابق** ، ج17 ، ص 548

3 – هذه المدرسة كانت بزقاق القناديل من مدينة مصر ، قرب الجامع العتيق ، أنشأها الوزير الصاحب بهاء الدين سنة 654هـ/1256م، و كان إذ ذاك زقاق القناديل أعمر أخطاط مصر . المقريزي: **المصدر نفسه،** ج03، ص 455

وأمراؤهم في تشييد هذه المؤسسات التي خصصت للتصوف و نشاطاته وحبس الأوقاف عليها ، ورغم اختلاف أسمائها فإنها جميعاً تقوم على خدمة هدف واحد ، و من أشهر تلك الخوانق :

الخانقاه الصالحية :

كانت تعرف بدار سعيد السعداء في عهد الدولة الفاطمية فلما تولى صلاح الدين الحكم جعل هذه الدار للفقراء الصوفية الواردين من مختلف البلاد الشاسعة ووقف عليها أوقافاً جليلة[1] ، فكانت أول خانقاه عملت بالديار المصرية ، و عرفت بدويرة الصوفية ، و نعت شيخها بشيخ الشيوخ ، و كان سكانها من الصوفية يعرفون بالعلم و الصلاح[2].

خانقاه ركن الدين بيبرس:

بناها الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصوري سنة 706هـ/1307م، في موضع دار الوزارة، قبل أن يلي السلطنة و هو أمير، وعندما مات أغلقها من بعده السلطان الناصر قلاوون مدة عشرين عاماً ثم أمر بفتحها بعد ذلك. وكانت من أجل الخوانق بنيانا وأوسعها مقدارا وأتقنها صنعة، والشباك الكبير الذي بها هو شباك دار الخلافة ببغداد، وكانت الخلفاء تجلس فيه، وحمله الأمير البساسيري من بغداد لما غلب على الخلافة القائم العباسي وأرسل به إلى صاحب مصر[3]، وأوقف يه عدة ضياع بدمشق وحماة وصعيد مصر للإنفاق عليها ،ورتب بها دروسا للحديث النبوي، وكان يقيم بها نحو أربعمائة صوفي[4].

1 - السيوطي : **حسن المحاضرة** ، ج 02، ص 260
2 - المقريزي : **المصدر السابق** ، ج 03، ص ص570-571
3 - السيوطي : **المصدر نفسه** ، ج02، ص 265
4 - المقريزي : **المصدر نفسه** ج 03 ، ص ص 574-575

خانقاه سريافـوس:

أنشأها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، و سبب بناءها لأن السلطان نذر إن عافاه الله ليبنين في هذا الموضع الذي أصيب فيه بوعكة صحية موضعاً يعبد فيه الله تعالى ، و جعل فيها مئة خلوة لمئة صوفي ، وبنى بجانبها مسجداً تقام فيه صلاة الجمعة 723هـ/1323م، فلما كانت سنة 725هـ/1325م كمل ماأراد من بنائها خرج اليها بنفسه و معه الأمراء و القضاة و مشايخ الخوانق، و تصدر فيها قاضى القضاة لإسماع الحديث النبوي[1].

خانقاه بكتمر :

هذه الخانقاه الأمير بكتمر الساقي ، و ابتدأ الحضور بها سنة 726هـ/1326م ، ورتب لشيخها عن معلوم المشيخة في كل شهر مائة درهم ، و عن معلوم الإمامة مبلغ خمسين درهماً، ورتب معه عشرين صوفياً لكل منهم في الشهر مبلغ ثلاثين درهماً ، و كانت من أجل مابنى بمصر ، ورتب بها صوفية و قراء ، و بنى بجانبها حماماً، و أنشأ سوقاً، فعمرت تلك الخطة ، وتنافس الناس على مشيخاتها[2].

وقد تشابهت معاني الخانقاه و الرباط و الزاوية في مصر على عصر سلاطين المماليك حتى أختلط الأمر على الكثير من الباحثين و لم يستطيعوا التفريق بين مدلول الألفاظ الثلاثة فابن بطوطة يقول أن الخانقاه هي الزاوية ، و أن المصريين يطلقون على زواياهم الخوانق أو الخانقاوات[3] .أما المقريزي فقد فرق في تعداده بين الزوايا و الخوانق و الربط ، و ذكر كل نوع في قائمة مستقلة خاصة به ، ولكنه في تعريفه لكل نوع لم يخرج عن معنى واحد هو أنها كانت جميعاً "بيت الصوفية و منزلهم"[4].

1 - المقريزي : **المصدر السابق**، ج03، ص ص 587-588

2 - المقريزي : **المصدر نفسه** ، ج03، ص 591

3 - ابن بطوطة: **المصدر السابق** ، ص 20

4 - المقريزي : **المصدر نفسه** ، ج 03، ص ص 567- 600

و تمتعت معظم الخانقاوات بأوقاف يصرف عليها من إيراداتها ، و كثيراً مانصت شروط الوقف على تقديم الأفقر و الأحوج للنزول بالخانقاه ، و بعد ذلك يأتي الفقراء المغتربين ، كذلك كان يفضل الأعزب على المتزوج للمبيت في الخلاوى ، حتى يكون منقطعاً للعبادة متفرغاً لها[1].

أما الحياة داخل هذه الخوانق أنها وصفت بالترف و السعة أدنى منها أن توصف بالفقر و الخشونة حيث كان يؤتى للنازلين بها الطعام و الشراب ، ويسهر على راحتهم فيها الحكام و الملوك ويتنافسون في تزويدها بمختلف الاحتياجات[2].

كما كانت ببعض الخوانق مكتبات عامرة بالكتب القيمة ، و لها خازن يقوم بخدمة من يرد إليها من طلبة و غيرهم ممن يريد الاطلاع ، و قد يلحق بها مكتب لتعليم الأيتام ، و أبناء الفقراء القرآن الكريم و مبادئ القراءة و الكتابة .

رابعا: الإنتاج العلمي:

بالرغم من أن عصر المماليك يوصف بعصر الاضطراب السياسي إلا أنه لم يكن كذلك في المجال العلمي ، فهو يعد من العصور العلمية المزدهرة التي خلفت أسماء الكثير من العلماء المتبحرين في شتى أنواع العلوم ، فهو من أغنى عصور التدوين ، إذ فيه ألفت المؤلفات القيمة التي يعد بعضها من أمهات الكتب ، وأضحت القاهرة زاهرة مصر و محطة العلماء و الفضلاء.و عن ذلك قال المؤرخ السيوطي : " إن الإيمان و العلم يكونان مع الخلافة أينما كانت ، حيث صارت مصر داراً للخلافة عظم أمرها و كثرت شعائر الإسلام فيه وصارت فيها كل مساكن العلماء و محط الرجال الفضلاء"[3].

1 - سعيد عبد الفتاح عاشور : **المرجع السابق**، ص 189

2 - سعيد عبد الفتاح عاشور :**المرجع نفسه** ، ص193

3 - السيوطي : **حسن المحاضرة** ، ج 02، ص 94

لقد أثمرت جهود العلماء،نتيجة للعوامل السابقة التي تحدثنا عنها،عن حركة تأليف وتصنيف في فنون العلم المعروفة كافة في ذلك الوقت،وسنحاول الكشف عن جهود العلماء واتجاهاتهم في كل مجال من هذه المجالات.

ظهر في القاهرة خلال هذه الفترة عدد كبير من العلماء في مختلف اختصاصات العلوم النقلية والعقلية، وأكد هذا العدد الكبير من العلماء مدى ما وصلت إليه القاهرة من المكانة العلمية المتميزة، فقد كان العلماء يرحلون إليها لطلب العلم منها، وأن كثيراً من العلماء قد زاروا القاهرة إما للدراسة أو للتدريس.

1- العلوم الدينية:

من أكثر العلوم تعليماً و تأليفاً في هذا العصر،و حرص سلاطين المماليك على علوم القرآن و السنة و اللغة ، حيث شهدت هذه الفترة نشاطاً دينياً منقطع النظير خدمة للسنة ؛ذلك أن آثار المذهب الشيعي ظلت باقية وواضحة في عصر المماليك رغم الجهود التي بذلها سلاطين الأيوبيين قبلهم في محاربة التشيع ،فقد أمر الظاهر بيبرس بإتباع المذاهب السنية الأربعة و تحريم ما عداها فلا غرابة إن وجدنا حركة نشيطة تناولت إحياء علوم الدين في الأصول و الفروع ،و التأليف في علوم القرآن الكريم، و الحديث الشريف و الفقه نتيجة التشجيع الذي لقوه من السلاطين.

1-1-علم القراءات:

اهتم المسلمون بتعلم القرآن و تعليمه باعتباره مصدر تشريع عند المسلمين ، و أدى هذا الاهتمام إلى بروز العديد من العلوم التي تهتم به من قراء ة و تفسير و أحكام ، وكانت القاهرة من المراكز الفكرية المهمة في تدريس القرآن وعلومه المختلفة ، فنشطت بها القراءات القرآنية ، وظهر عدد من علماء القراءات الذين كانت إليهم رحلة طلاب العلم من أقطار العا لم الإسلامي، و كانت لهم مصنفات مهمة في القراءات . وقد وجد في هذا العصر عدد كبير من الكتب التي ألفت في هذا العلم نذكر منهم :

"مفردات القراء" للعلامة شهاب الدين أبو القاسم الشافعي الفقيه المقرئ أبو شامة المقدسي (ت665هـ/1267م)[1].

"الشرعة في القراءات السبعة" ، و"عقود الجمان في تجويد القرآن" ،و "حدود الإتقان في تجويد القرآن" ،و "نزهة البررة في القراءات العشرة" من تأليف برهان الدين الجعبري[2].

"السرعة في قراءات السبعة" من تصنيف شرف الدين هبة الله البارزي[3].

مؤلفات الشيخ أثير الدين أبي حيان حيث جعل لكل قراءة من القراءات المعروفة مؤلفاً مثل "النافع في قراءة نافع" و " الأثير في قراءة ابن كثير" ، و "المورد الغمر في قراءة أبي عمرو" وهكذا ... وله الحمل الحالية في أسانيد القراءة العالية[4] .

2-1-علم التفسير:

يعد علم التفسير من أعظم العلوم مقداراً و أرفعها شرفاً و مناراً و هو رأس العلوم الدينية و رئيسها ، وقد حظي هذا العلم في العصر المملوكي الأول باهتمام العلماء ، وتميز البحث في القرآن في هذا العصر بعدم تقليد المفسرين السابقين ، وإنما كان يغايره و أكثر تبعا للمذاهب الإسلامية أولا ثم للمفسرين أنفسهم ثانياً، ومن أشهر المفسرين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم المعروف بسلطان العلماء (ت 660هـ/1262م)، و هو أول من درس التفسير بالصالحية و له فيه مؤلفات منها: "بحار القرآن "و "التفسير الكبير "[5]، أما عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة (ت665هـ/1267م) فاشتغل بعلم التفسير و اخذ عن شيوخ مصر فأتقنه و ألف فيه كتاباً أسماه

1 - الصفدي : **المصدر السابق** ، ج18، ص ص 67-68.

2 - الكتبي: **المصدر السابق** ، ج 01، ص ص 39-40.

3 - السبكي : **المصدر السابق** ،ج 10، ص ص 387-388.

4 - الصفدي : **المصدر نفسه** ، ج05، ص 184.

5 - السيوطي : **حسن المحاضرة** ، ج 01، ص ص 314-315

"الوجيز في تفسير أشياء من الكتاب العزيز"[1] ،وبرع ابن النقيب محمد بن سليمان بن الحسن بن الحسين جمال الدين المقدسي(ت 698هـ/1300م) في هذا العلم حيث صنف فيه كتاباً حافلاً جمع فيه نُقولاً من خمسين مصنفاً أسماه" التحرير و التحبير لأقوال أئمة التفسير في معاني كلام السميع البصير" ذكر فيه أسباب النزول و القراءات و الإعراب و الحقائق قيل انه في خمسين مجلداً أو في مئة مجلد[2].

ومن الذين ألفوا في علم التفسير و برعوا في كافة فنون العلم محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين أبو عبد الله المعروف بابن القيم الجوزية (ت 751هـ/1350م)، رحل إلى القاهرة غير مرة وأخذ عن شيوخها و برع في علم التفسير ، و صار من الأئمة الكبار فيه ، و من تصانيفه في علم التفسير"تفسير القيم للإمام ابن القيم"،و "تفسير سورة الفاتحة"، و تفسير المعوذتين"، و"أصول التفسير"، و تفسير أسماء القرآن"..وغيرها[3].أما الامام العلامة القرطبي فهو من أشهر المفسرين في العصر المملوكي على الإطلاق ،ويعتبر تفسيره "الجامع لأحكام القرآن" موسوعة عظيمة حوت كثيراً من العلوم فهو من أجلّ التفاسير وأنفعها، أسقط منه القرطبي القصص والتواريخ، وأثبت عوضها أحكام القرآن واستنباط الأدلة، وذكر القراءات والإعراب والناسخ والمنسوخ، وعني بذكر أسباب النزول، والردّ على أهل الانحرافات، مع اهتمام خاص بإيراد المناسب من الأحاديث[4].

1-3-علوم الحديث:

كانت الرحلة من أجل طلب الحديث سمة بارزة في هذا العصر، فقد سمع جمال الدين المزي[5] مثلا

1 - السبكي : **المصدر السابق** ، ج 08، ص ص 165-166

2 - الكتبي : **المصدر السابق** ، ج03، ص ص382-383

3 -ابن رجب : **المصدر السابق** ، ج 05، ص ص 170-175.ابن حجر العسقلاني: **المصدر السابق** ،ج03،ص ص400-402

4 - الصفدي : **المصدر السابق** ، ج 02، ص87، ابن العماد : **المصدر السابق** ، ج 07، ص 585

5 – محدث الديار الشامية في عصره ، مهر في اللغة ثم في الحديث و معرفة رجاله وصنف كتبا منها " تهذيب الكمال في أسماء الرجال" .الزركلي : **المرجع السابق** ، ج08 ، ص236.

الحديث في الشام والحرمين ومصر وحلب والإسكندرية.

أما أشهر كتب الحديث التي كثر سماعها وروايتها في هذا العصر، فهي كتب الحديث الستة المشهورة، وكان من أكثر الكتب حفظاً و روايةً في ذلك العصر الصحيحين ، كما حفظوا "موطأ مالك، و"السنن الكبيرة للبيهقي[1] و "مسند الطيالسي"[2] و "مسند الحميدي" [3]، و حفظوا أيضا كثيرا من الأجزاء مثل "جزء ابن عرفة "[4]و "جزء البانياسي"[5] والأربعين البلدانية للسلفي[6] و جزء ابن عيينة ، و"أربعين الثقفي وغيرها من كتب الحديث وأجزائها[7].

أما كتب الحديث التي ألفت في هذا العصر فكثيرة، وقد اختلفت مناهج العلماء في تأليفها وذلك حسب الموضوعات التي بحثوا فيها، ويمكن تقسيمها في ثلاثة اتجاهات: الأول منها يتعلق في

1 – سادس الكتب الستة في القيمة والأهمية بعد البخاري، ومسلم، وسنن أبي داود، وسنن النسائي، وسنن الترمذي تضمن ما يزيد على عشرين ألف حديث أو يزيد يذكر المصنف الباب، ويذكر فيه عدة أحاديث تزيد على عشرة أحياناً أحاديث متعددة المراتب الحسن والضعيف والصحيح ،واتبع في السنن الكبرى طريقة ومنهج البخاري في إعادة الحديث والتبويب عليه. الذهبي : **سير أعلام النبلاء** ، ج18، ص ص 163-170

2 – أبو داود الطيالسي (133– 204هـ) هو سليمان بن داود بن الجارود أبو داود الطيالسي الفارسي الأصل، البصري الحافظ صاحب المسند. كان حافظًا كبيرًا، روى من حفظه ثلاثين ألف حديث ليس معه كتاب. سئل الإمام أحمد عنه فقال: "ثقة صدوق"، فقيل له: يخطئ؟ قال: "يحتمل له". له المسند المشهور باسم (مسند أبي داود الطيالسي). قال ابن حجر في التقريب: "ثقة حافظ غلط في أحاديث" .الذهبي : **المصدر نفسه** ، ج 09، ص ص 378-384.

3– هو أبو عبد الله محمَّد بن أبي نصر بن فُتُوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الحميدي الأندلسي، ولد سنة 420هـ/1022م وصاحب ابن حزم وتتلمذ عليه وعلى ابن عبد البر، وأبي الوليد الباجي واستوطن بغداد. كان إمامًا، قدوةً، حافظًا، محدِّثًا، فقيهًا، مؤرِّخًا، فصيح العبارة، متبحِّرًا في علم اللغة والأدب، فضلًا عن نزاهته وورعه. صنَّف عِدَّة كتب منها: «كتاب الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم»، و«جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس »«جُمل تاريخ الإسلام»، و«الذهب المسبوك في وعظ الملوك»، وغيرها، وله شعر رصين في المواعظ والأمثال. توفي سنة488هـ/1090م.الذهبي: **المصدر نفسه**، ج 10، ص ص 616-621.

4 – أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عرفة الورغمي فقيه مالكي، أشعري المعتقد، ولد سنة 716هـ/1316م وتوفي سنة 803هـ/1400م. كان إمام جامع الزيتونة وخطيبه في العهد الحفصي. تفقّه على القاضي ابن عبد السلام الهواري وأخذ عنه الأصول، وأخذ القراءات عن محمد بن محمد بن حسن بن سلامة الأنصاري.الذهبي : **المصدر نفسه** ، ج 11، ص ص 547-552 .

5 – الشيخ الصالح ، المسند ، أبو عبد الله ، مالك بن أحمد بن علي بن إبراهيم البانياسي الأصل ، البغدادي ، ابن الفراء ،كان مالكياً شيخاً صالحاً، صالحاً، ثقة ، متدين .الذهبي : **المصدر نفسه** ، ج 16، ص ص 526-527

6 – الامام العلامة المحدث الحافظ المفتي ، شيخ الاسلام شرف المعمرين ،،كان السلفي آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، حافظاً ،ثقة،كان مغري بجمع الكتب و الاستكثار منها ، و كانت عنده خزائن كتب ، كان أوحد زمانه في علم الحديث ، انتهى اليه الاسناد ، له تصانيف ،أنشد لنفسه يوما قائلاً: أن من أهل الحديث وهم خيرفئة........جزت تسعين وأرجو أن أجوزن المئة .الذهبي : **المصدر نفسه** ، ج 21، ص ص 6-39 . السيوطي : **حسن المحاضرة** ، ج 01 ، ص354.

7 – جلال يوسف العطاري: **حركة التأليف العلمي في مصر و الشام في العصر المملوكي الأول**،دار الفكر ، الأردن 2011، ص60

علم مصطلح الحديث، والثاني يبحث في المتن، والثالث في السند.

أما ما يتعلق منها في علوم الحديث ومصطلحه فنوعان: الأول منها يتركز حول دراسات قديمة في هذا المجال شرحاً وتنظيماً ونظماً، فأشهر الكتب التي تناولها علماء العصر بالشرح والتلخيص هي: "مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث"، فممن اختصرها: محي الدين النووي[1] ، وممن نظمه: شهاب الدين الخويي[2]. وقد شرح هذه الأرجوزة جمال الدين الشريشي[3].

أما النوع الثاني فهو مؤلفات جديدة في هذا المجال، وأشهرها كتابان لمحي الدين النووي هما "الإرشاد" و " التقريب" وكلاهما في علوم الحديث[4]. ولابن دقيق العيد كتابان أيضاً هما: "الاقتراح في مصطلح الحديث" و "أصول الحديث"[5] ، ولبرهان الدين الجعبري كتاب "رسوم التحديث في علم الحديث"[6] ، ، ولبدر الدين بن جماعة كتاب "المنهل الروي في علوم الحديث النبوي"[7] ، وللشيخ علاء الدين ابن التركماني "المنتخب في علوم الحديث" و كتاب "الضعفاء و المتروكين في الحديث"[8]

أما الاتجاه الثاني من اتجاهات الكتب المؤلفة في الحديث في هذا العصر، فيبحث في متن الأحاديث، وفيها أكثر من منحى:

1- يحي بن شرف أبي الحسن بن الحسين بن محمد بن جمعة بن حزام أبو زكريا محي الدين النووي الفقيه الشافعي المحدث الزاهد العابد ، صاحب التصانيف المفيدة ،كان أوحد زمانه في الورع و العبادة ، اختصر "كتاب معرفة علوم الحديث".اليونيني: **المصدر السابق** ،ج03، ص ص 283-284.

2 – شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خليل المهلبي الخويي عالم مسلم وقاضي شامي في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي وهو ابن القاضي الخويي. ولد في دمشق وبها نشأ وتعلم. ولي قضاء القدس سنة 1259 م ثم قضاء المحلة وبنهة ثم حلب فقضاء الديار المصرية ثم قاضي القضاة الشام. هو محدث ومفسر وأصولي ونحوي ومن فقهاء الشافعية. الذهبي : **المصدر السابق** ، ج 23، ص ص 64-65.

3 -ابن كثير :**المصدر السابق** ،ج17، ص604.

4 – جلال الدين السيوطي: **طبقات الحفاظ** ،ص513.

5 – السيوطي : **المصدر السابق** ، ج01، ص 317-318

6 – محمد مظهر باقا: **معجم الأصوليين** ، ،مركز البحوث الاسلامية ، مكة 1999، ج01، ص 44

7 – ابن العماد : **المصدر السابق** ، ج08،ص ص184-185

8 – محمد مظهر باقا: **المرجع نفسه** ، ج03، ص ص 248-249

المنحى الأول: يتجه إلى شرح كتب الأحاديث السابقة، فقد شرحت كتب الحديث المشهورة مثل "صحيح البخاري" و"صحيح مسلم"[1] و "سنن أبي داود "و "سنن الترمذي "[2] و"سنن و"سنن النسائي"[3] و"سنن ابن ماجه"[4].

كما شرحت مجموعات أخرى مثل "مختصر ابن الحاجب"[5] و "الأربعين النووية "، وشرح بعضهم أحاديث في موضوعات محددة مثل: "شرح الحديث المقتفى في مبعث المصطفى" لأبي شامة[6] ، وشرح وشرح بعضهم الآخر أحاديث الأحكام مثل: "قطر الغمام في شرح أحاديث الأحكام "[7]، كما ألف بعضهم شرحاً لأحاديث بعينها مثل : "مطرب السمع في حديث أم زرع "، و "الفوائد الغزيرة في أحاديث بريرة "[8] .

المنحى الثاني: يتجه إلى اختصار كتب الحديث السابقة، فقد اختصر بعضهم "الصحيحين "[9]، و"سنن أبي داود" " و" سنن الترمذي" و "سنن البيهقي"[10] .

المنحى الثالث: يذهب إلى تخريج الأحاديث وجمعها، فقد عمل بعضهم على إعادة ترتيب بعض كتب الحديث السابقة مثل: "ترتيب صحيح ابن حبان"، كما جمع البعض الآخر شيئا من كتب الحديث السابقة في كتاب واحد مثل: "الهدى والسنن في أحاديث المسانيد والسنن، وقد جمع فيه بين

---

1 – الإمام النووي (ت 676هـ/1278م) هو صاحب شرح صحيح مسلم
2 – السيوطي : **المصدر السابق** ، ج 02، ص 329
3 – الشوكاني : **المصدر السابق** ، ج 02 ، ص209
4 – الشوكاني : **المصدر نفسه**،ج02، ص313
5 – الكتبي : **المصدر السابق** ، ج02، 443
6 – ابن القاضي شهبة: **المصدر السابق** ، ج 02 ، ص171 :
7 – عبد الله بن محمد الطريقي : **معجم مصنفات الحنابلة** ،مكتبة الملك فهد، الرياض 2001، ص159
8 – ابن قاضي شهبة : **المصدر نفسه** ، ج 02، ص371
9 – اليونيني: **المصدر السابق** ، ج01، ص 249
10 – الكتبي : **المصدر نفسه** ، ج03، ص316

مسند الإمام أحمد والبزار وأبي يعلى وابن أبي شيبة إلى الكتب الستة[1] ،كما جمع قسم ثالث منهم: أحاديث ترتبط بموضوع معين مثل أحاديث الأحكام مثلا منها: " الإلمام في أحاديث الأحكام"[2] ، و"المنتقى من أحاديث الأحكام"[3]، وجمع قسم رابع بعض الأحاديث في موضوع محدد مثل الأحاديث الأحاديث الواردة في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم، "والأربعين الصحيحة فيما دون أجر المنيحة"، و "الأربعين في أعمال المتقين"[4] ،و"الأربعين في الرواية عن رب العالمين"[5]، كما جمع قسم خامس منهم أربعين حديثا في أربعين بلدا سماها البلدانيات، وأخيراً فقد قام بعضهم بتخريج أحاديث استمدها من مؤلفات سابقة مثل تخريج أحاديث "الهداية" وأحاديث "الكشاف "[6].

"[6] .

1-4-علم أصول الفقه:

كان علم الفقه من العلوم التي تدرس في كل مركز من مراكز العلم في هذا العصر، وكان كثير من هذه المراكز يدرس الفقه على المذاهب الأربعة، وكان بعضها متخصصا بمذهب واحد من هذه المذاهب، وكان أغلب ماألفه الفقهاء في هذا العصر هو خدمة لكتب المتقدمين من العلماء و المجتهدين والفقهاء ، فكانت هذه المؤلفات إمّا مختصرات و تلخيصات أو شروحاً أو حواشي و تعليقات ، أو موسوعات جامعة لمؤلفات علماء سابقين .

ففي الفقه الشافعي تركز جزء من جهد العلماء في هذا العصر على مجموعة من كتب الفقه الشافعي التي ألفت قبل هذا العصر وأشهرها: كتاب "التنبيه" لمؤلفه: إبراهيم بن علي الشيرازي

1 - الشوكاني : **المصدر السابق** ، ج 01، ص 153
2 - السبكي : **المصدر السابق** ، ج90، ص 212
3 - ابن العماد: **المصدر السابق** ، ج07،ص 445
4 - الشوكاني : **المصدر نفسه** ، ج 01، ص245
5 - الصفدي : **المصدر السابق** ، ج 03، ص 273
6 - جلال يوسف العطاري: **المرجع السابق** ، ص61

(ت 476هـ/1078م)[1]، وقد حظي هذا الكتاب بالشرح والاختصار والنظم من فقهاء العصر، فممن شرحه مثلا: زكي الدين المنذري حيث شرحه بكتاب نفيس في أحد عشر مجلداً[2]. وشرحه أيضا: أبو محمد الفزاري المعروف بالفركاح والعلم العراقي[3] وشرحه ابن الرفعة في عشرين مجلداً سماه: "كفاية التنبيه في شرح التنبيه"[4] ، وشرحه أيضاً برهان الدين الفزاري شرحا حافلا في عشرين مجلداً[5]، مجلداً[5]، وشرحه نجم الدين البالسي[6].

كما جمع محيي الدين النووي مسائل الخلاف التي في "التنبيه" من القولين و الوجهين وبين الأصح منها[7]. وممن اختصره كتاب التنبيه أيضا شمس الدين الجهني[8].

وكتب بعضهم استدراكات على تصحيح التنبيه مثل: قطب الدين السنباطي[9] و علق كمال الدين النشائي على التنبيه استدراكات[10].

كما حظيت مؤلفات الغزالي[11]: "البسيط" و "الوسيط و " الوجيز" باهتمام علماء العصر، حيث

---

1 – إبراهيم بن علي بن يوسف أبو إسحاق الشيرازي (ت476هـ/1083م) أحد أعلام الشافعية في هذا العصر ،قدم بغدادو أستقر بها ،كان أنظر أهل زمانه ، إليه انتهت رئاسة المذهب الشافعي.ورحل اليه الفقهاء ،تولى التدريس في النظامية بعد افتتاحها سنة (459 هـ/1066م).قال أبوبكر الشاشي:« الشيخ أبو إسحاق حجَّة الله تعالى على أئمة العصر»(1)، صنف في الأصول و الفروع و الخلاف و المذهب « **كالمهذب**» ،و« **التنبيه**» ،و« **اللُّمع في أصول الفقه** »،و « **الملخص في أصول الفقه**» و غير ذلك. الذهبي **سير أعلام النبلاء** ، ج 18 ، ص ص 452-464

2 – اليونيني : **المصدر السابق** ، ج 01، ص249

3 – تاج الدين السبكي : **المصدر السابق** ،ج 09، ص ص 312-313

4 – ابن العماد : **المصدر السابق** ، ج08، ص 42

5 – ابن كثير : **المصدر السابق** ، ج 18، ص ص 316-317

6 – بن تغري بردي: **المصدر السابق** ، ج 09، ص 203

7 – اليونيني : **المصدر نفسه**، ج 03، ص 284

8 – ابن حجر العسقلاني : **المصدر السابق** ، ج01، ص 74

9 – السيوطي : **حسن المحاضرة** ، ج01، 423

10 – المقريزي : **السلوك لمعرفة دول الملوك** ،ج 04، ص ص 229-230

11 – حجة الإسلام محمد بن محمد بن محمد ين أحمد الطوسي أبو حامد الغزالي (ت505هـ/1111م) من العلماء المميزين، لازم إمام الحرمين الإمام الجويني في نيسابور، و جد و اجتهد حتى برع في المذهب الشافعي، و الخلاف و الجدل و المنطق . تولى التدريس بالنظامية خلف الغزالي أثارا علمية خالدة . وقد قيل أنه وضع نحواً من مائتين و ثمان و عشرين مؤلفا أكثرها في الدين و الفلسفة و التصوف.منها «**البسيط**» في فروع المذهب . قال في

شرحت ونظمت واختصرت، وكتب عليها استدراكات، فاختصر نور الدين الأسنائي كلا من "الوسيط" و "الوجيز"[1]، واختصر تاج الدين الموصلي "الوجيز"اختصاراً حسناً و سماه "التعجيز في اختصار الوجيز"[2].

كما حظيت كتب أخرى في الفقه الشافعي برعاية العلماء واهتمامهم في هذا العصر، فقد اختصر عز الدين بن عبد السلام كتاب "نهاية المطلب في دراية المذهب" للجويني (ت 478هـ/1080م)[3]، كما شرح بهاء الدين القفطي كتاب "الهادي في الفقه" لقطب الدين النيسابوري[4] ، وشرح ابن دقيق العيد كتاب "العمدة"[5]، وشرح تقي الدين السبكي كتاب "الحاوي في الفقه الشافعي"[6].

و ممن برع في الفقه الشافعي في هذا العصر عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم (ت 660هـ/1263م) حيث أوجد بابا جديدا في الفقه لم يسبقه إليه أحد ، هو باب المقاصد من خلال كتابه "القواعد الكبرى"حيث رجع الفقه كله إلى اعتبار المصالح و درء المفاسد [7]، أما الفقيه المالكي ثم الشافعي المذهب ابن دقيق العيد (ت 702هـ/1301م) فقد ترك الكثير من المؤلفات في الفقه الشافعي[8].

=ابن خلكان: ما صنف في الإسلام مثله ،و«**الوسيط** »و «**الوجيز**» و «**الخلاصة**» و كلها في الفقه. إبن خلكان: **المصدر السابق** ، ج 04 ، ص 217.

1 – عبد الرحيم الأسنوي : **المصدر السابق** ، ج 01، ص82.

2 – اليونيني: **المصدر السابق** ، ج 03، ص14.

3 – أبو المعالي الجويني: عبد الملك بن عبدالله بن يوسف بن محمد بن عبدالله الجويني النيسابوري (419- 478هـ) شيخ الشافعية،كان يتردد إلى مدرسة البيهقي ،ارتحل إلى بغداد ثم حج وجاور أربع سنين يدرس ، ويفتي ثم عاد و درس بنظامية نيسابور 30سنة، من كتبه "الإرشاد في أصول الدين"، "الرسالة النظامية" أنظر السبكي: **المصدر السابق** ،ج 05 ،ص ص :165-184 ، الذهبي: **سير اعلام النبلاء**، ج ،18 ص ص: 468.

4 – الصفدي : **المصدر السابق** ، ج 27، ص 171.

5 – السيوطي : **حسن المحاضرة** ، ج 01، ص 318.

6 – السيوطي : **المصدر نفسه** ، ج 01، ص ص 321-323

7 – الأسنوي : **المصدر نفسه** ، ج 02، ص84

8 – الكتبي : **المصدر السابق** ، 04، ص ص 442-443

و يعد أبو شامة المقدسي من أكثر علماء الشافعية ذماً للتقليد و المقلدين في القرن السابع هجري /13م ،فذكر أن الاجتهاد عُدم في عصره ، و أن الناس تركوا الكتاب و السنة و تشبثوا بأقوال الأئمة الأربعة و تعصبوا لها .ثم نصح طالب العلم بالإنصاف و ترك التقليد ، و إتباع الدليل، و نبه أن الاجتهاد أصبح سهلا بعد جمع السنة [1].

أما في الفقه الحنفي، فقد لقيت كتب "الجامع الكبير" و "الجامع الصغير" لمحمد بن الحسن الشيباني والهداية لبرهان الدين المرغنياني، و مختصر القدوري، اهتماما وافرا من علماء العصر، فقد قاموا بشرحها و اختصارها و تنظيمها، فقد شرح الجامع الكبير سبط ابن الجوزي[2] ،ووضع جلال الدين الخبازي "الحواشي" المشهورة على "الهداية"[3] ،وشرح تاج الدين أحمد بن عثمان بن إبراهيم الماردينى كل من "الجامع الكبير" و "الهداية "[4] ، ونظم فخر الدين التركي الدوركي كتاب "مختصر القدوري" القدوري" في الفقه نظما فصيحاً سهلاً[5].

أما ما ألف في الفقه الحنفي في هذا العصر فأشهرها كتاب: "بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع" لأثير الدين الكاساني في عشر مجلدات وهو كتاب عظيم مفيد مشهور في الآفاق[6]، كما نظم عبد الوهاب بن أحمد الدمشقي قصيدة رائية من الطويل ألف بيت ضمنها غرائب المسائل في الفقه الحنفي وشرحها في مجلدين[7].

أما في الفقه المالكي فحظي كتاب "المدونة "لعبد الرحمن بن القاسم المالكي بشرح علماء هذا العصر،

---

1 - خالد علال كبير : **المرجع السابق**، ص343

2 – الذهبي : **العبر في خبر من غبر** ، ج 03، ص274

3 – محي الدين القرشي: **المصدر السابق** ، ج02، ص ص 668-669

4 – جلال الدين السيوطي : **بغية الوعاة**، ج02، 334

5 – محي الدين القرشي: **المصدر نفسه** ، ج03، ص ص 369-370

6 - بدر الدين محمود العيني: **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان** ، تحقيق محمود رزق محمود، دار الكتب و الوثائق العلمية ، القاهرة 2010، ج01،ص84، ونقلا عن جلال يوسف العطاري: **المرجع السابق** ، ص69

7 – جلال الدين السيوطي : **المصدر نفسه** ، ج02، 123

فقد شرحه مثلا عيسى بن مسعود الزواوي[1]، وحظي كتاب "التلقين" في الفقه أيضا للقاضي عبد الوهاب باهتمام العلماء، فاختصره داود بن عمر الإسكندري[2].

أما الكتب التي ألفت في الفقه المالكي، فأشهرها الكتاب الذي ألفه خليل الدين بن إسحاق المالكي المعروف بالجندي نسج فيه على منوال "الحاوي" في الفقه الشافعي[3].

وفي الفقه الحنبلي، حظي كتاب "المقنع في الفقه" لموفق الدين بن قدامة المقدسي باهتمام العلماء في هذا العصر، فقد شرحه كل من شمس الدين بن قدامة المقدسي في عشرة مجلدات[4]، كما شرح غريب ألفاظه ومفرداته شمس الدين البعلي[5].

وقد ألفت مجموعة من الكتب في الفقه الحنبلي في هذا العصر، أشهرها: "المُحَرَّرُ" في الفقه و"الأحكام الكبرى" لمجد الدين بن تيمية[6]، و"القواعد الكبرى" و "القواعد الصغرى" لنجم الدين الصرصري، وقد ألفت كتب في شرح هذه المصنفات السابقة[7].

كما وضعت كتب ورسائل كثيرة في قضايا ومسائل فقهية فرعية، منها على سبيل المثال: فضل صلاة الجماعة ، و"كتاب الصلاة الوسطى" و "مناسك الحج ، و "الصلاة بعد أذان الجمعة"، و "القنوت في الصبح والوتر" و "انتهاز الفرص فيمن أفتى بالرخص" ...... وغيرها الكثير من المسائل الفقهية الفرعية [8].

أما في علم أصول الفقه، فقد حظيت الكتب السابقة في هذا المجال باهتمام العلماء منها على سبيل

---

1 - ابن حجر العسقلاني : **المصدر السابق** ، ج 03، ص ص 210-211.
2 - السيوطي : **بغية الوعاة** ، ج01، ص 562.
3 - ابن حجر العسقلاني : **المصدر نفسه** ، ج 02، ص 86.
4 - ابن رجب : **المصدر السابق** ، ج 03، ص292.
5 - ابن رجب : **المصدر نفسه** ، ج 04، ص158.
6 - ابن رجب : **المصدر نفسه** ، ج 04، ص ص 1- 6 .
7 - ابن العماد: **المصدر السابق** ، ج 08، ص ص 71 – 72.
8 - جلال يوسف العطاري: **المرجع السابق** ، ص70

المثال: كتاب "المحصول" لفخر الدين الرازي[1] ، و "مختصر" ابن الحاجب الذي اختصر فيه "الأحكام " للأموي، و "البديع " في أصول الفقه الذي جمع فيه بين "أصول فخر الإسلام " و"الإحكام" لابن الساعاتي[2] ، كما شرحت كتب أخرى مثل "الأصول" لفخر الدين الرازي ، و"المنتخب " و " الحاصل" ،و "مقدمة المطرز في أصول الفقه"[3]... وغيرها.

ومما ألف في هذا العصر من الكتب: "المغني "في أصول الفقه لجلال الدين الخبازي[4]، و"الوافي في أصول الفقه" لنجم الدين الحراني [5] و "التمهيد في تنزيل الفروع على الأصول" لجمال الدين الأسنوي[6] و "معراج الأصول إلى علم الأصول النجم الدين الصرصري[7].

و مما سبق يتبين أن علم الفقه وأصوله، كان من العلوم المتقدمة في العصر المملوكي الأول، فقد شهدت حركة تأليف وإبداع واسعة المجال، إذ لم تقتصر جهود العلماء في هذا العصر على التوفر على نتاج العلماء في العصور السابقة، بل ألفت كتبا جديدة في هذه العلوم .

2-العلوم الأخرى:

ازدهرت علوم كثيرة في العصر المملوكي الأول من غير العلوم الشرعية و سنكتفي هنا ببعض العلوم فقط كإثبات بان هذا العصر شهد رقياً و تطورا كبيرا في الجانب العلمي وأن ما ذهب إليه ابن خلدون من أن سوق العلم غير مركزه إلى القاهرة صحيح إلى حد بعيد ، وأنه بحق من أغنى العصور

1 - ابن العماد: **المصدر السابق** ، ج 07، ص ص 40-41
2 - القرشي : **المصدر السابق** ، ج01 ، ص ص 208-209
3 - الكتبي : **المصدر السابق** ، ج04، ص 443
4 - القرشي : **المصدر نفسه** ، ج02 ، ص ص 668-669
5 - ابن رجب: **المصدر السابق** ، ج 03، ص ص 61-66
6 - السيوطي : **بغية الوعاة** ، ج02، ص 92
7 - ابن العماد: **المصدر نفسه** ، ج 08، ص ص 71-73

الإسلامية في حقل التأليف ، رغم ما يروج عنه بأنه عصر تقليد أكثر منه عصر إبداع[1]، ومن هذه العلوم:

2-1-العلوم اللغوية:

حظيت اللغة العربية باهتمام كبير لدى العلماء في بلاد الشام ومصر على وجه الخصوص ، حيث بذل الكثير منهم جهودا لخدمتها لأنها من الأمور الأساسية عند هم ذلك أنها لغة القرآن . وكان العصر المملوكي حافلا بالازدهار والرواج لجميع الفنون الأدبية و اللغوية، و برزت نخبة من مشاهير الأدباء وضعت مصنفات جليلة في اللغة و النحو و الأدب .

ظهرت مؤلفات و موسوعات كثيرة،من أبرزها "لسان العرب" لابن منظور،و يقع هذا المؤلف الضخم في عشرين مجلدًا،و هو موسوعة في اللغة،و التفسير،و الحديث،والأدب[2].كذلك من أشهر الكتب الموسوعية في ميدان اللغة و علومها في عصر المماليك معجم " تهذيب التهذيب" لمحمود بن محمد بن حامد الأرموي (ت 723هـ/1323م) الصوفي المحدث ، و هو يوصف بأنه أفضل معجم بعد لسان العرب .و من المؤلفات الضخمة في ساحة اللغة و علومها "تهذيب الأسماء و اللغات" للإمام يحي النووي (ت 676هـ/1278م)،و هو قسمان الأول في الأسماء و الثاني في اللغات[3].

و من أشهر كتب النحو و الصرف: "ألفية ابن مالك"و لابن مالك (ت672هـ/1274م) إلى جانب الألفية "تسهيل الفوائد" و " الكافية الشافية "[4].كذلك من المؤلفات الرائعة في ميدان النحو والصرف في العصر المملوكي" مغني اللبيب عن كتب الأعاريب" و"قطر الندى و بل الصدى" و"شذور الذهب" لعبدالله بن يوسف ابن هشام[5].أما في ميدان البلاغة: فمن أشهر المؤلفات في علوم البلاغة

1 - كارل بروكلمان: **تاريخ الشعوب الإسلامية**، ترجمة منير البعلبكي، دار الملايين للعلم ،بيروت1973، ص 371

2 – السيوطي : **بغية الوعاة** ، ج 01 ، ص 248

3 – ابن كثير : **المصدر السابق** ، ج 17، ص 540

4 – الصفدي : **المصدر السابق** ، ج 03، ص ص286-289

5 – ابن حجر العسقلاني : **المصدر السابق** ، ج 02، ص ص 308-309

يأتي "تلخيص المفتاح" وشرحه و سماه "الإيضاح" للخطيب محمد بن عبد الرحمن القزويني[1].و يأتي كذلك كتاب "حسن التوسل في صناعة الترسل" تأليف شهاب الدين أبي الثناء محمود بن سليمان الحلبي الحنفي(ت 725هـ/1325م)، الذي وصفه الذهبي "بعلاّمة الأدب وعَلَمُ البلاغيين"[2] ، و"عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح" لأحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (ت 773هـ/1372م)الذي كانت له اليد الطولى في علوم اللسان العربي و المعاني و البيان [3] .ثم تأتي البديعيات،و يأتي من أشهر علماء البديع في عصر المماليك أمين الدين الأربلي (ت 670هـ/1272م) الذي من إبداعاته العديدة أنه عُد أول من وضع قصيدة جمع فيها أنواع البديع خص كل بيت منها بنوع منه[4] .

2-2-التاريخ :

نالت الكتابة التاريخية في هذا العصر حظها الوافر من الاهتمام ، حيث استمرت العناية بتاريخ الأمم وأخبارها،و تاريخ السير ، و الفتوحات ،و الأنساب ،و الطبقات ،و ظهرت اتجاهات جديدة في كتابة التاريخ تعكس وجهات القوى التي دافعت على العالم الإسلامي ، فالكتابة التاريخية لا تخلو من هذا الغرض أو الوقوع تحت المؤثرات ، دينية كانت أم شخصية أم سياسية.

استمر منهج دراسة التاريخ في هذه الفترة كما كان في العصور السابقة ،باستثناء التوسع في كتب الطبقات والمعاجم و التراجم التاريخية التي ميزت هذه المرحلة ، حيث اعتنى بها المسلمون عناية فائقة،كما أن موضوع التاريخ أصبح شاملا للحياة السياسية و العقلية و العقائد و الأخلاق والأدب و سائر العلوم .

1 - الصفدي : **المصدر السابق** ، ج 03، ص 199
2 - الكتبي : **المصدر السابق** ، ج04، ص82.الذهبي : **العبر**، ج 04، ص 73 . ابن العماد: **المصدر السابق** ،ج08، ص 124
3 - ابن حجر العسقلاني : **المصدر السابق** ، ج 01، ص ص 242-243
4 - الصفدي : **المصدر نفسه**، ج15، ص ص 220-222. الكتبي : **المصدر نفسه**، ج02، ص ص 57-58

ووجد التاريخ و المؤرخون في عصر المماليك العناية و الاهتمام بشكل فاق غيره من العصور الإسلامية السابقة ،و ربما يعود ذلك إلى محبة المماليك في كتابة تاريخهم لأنهم شكلوا نخبة اجتماعية مترفة ملكت المال و الثروة والجاه ،وحققت في غالب الأوقات انجازات تاريخية وحضارية لمصر والعالم الإسلامي فأراد سلاطين المماليك تدوين هذه الانجازات لتسجيل ذكراهم و مجدهم هذا من جهة ، و من جهة ثانية نعلم أن جل المؤرخين الذين كتبوا التاريخ في هذا العصر كانوا يعيشون في البلاط المملوكي عاشوا في بلاط سلاطين المماليك و اقتربوا من صنع القرار فكان طبيعيا أن تكون شهاداتهم و تدوينهم للتاريخ فيها ارضاءاً و تقرباً لهم.

و من مؤرخي الفترة المملوكية الذين اتجهوا لكتابة الطبقات ابن خلكان (ت 681هـ/1284م) صاحب كتاب " وفيات الأعيان في أنباء أبناء الزمان" الذي نال شهرة واسعة في هذا العصر ، وهو يحتوي على معلومات قيمة في التاريخ و الأدب ، و يمتاز بضبط الأعلام و أسماء البقاع و البلدان وتحقيق الحوادث و ترتيب التراجم على حسب حروف المعجم. وأكمل تراجمه كل من محمد ابن شاكر الكتبي (ت764هـ/1363م) في "فوات الوفيات"[1]، وصلاح الدين خليلي بن أيبك الصفدي (ت 764هـ/1363م) في "الوافي بالوفيات" و الذي ترجم فيه لنجباء الزمن من الصحابة، والتابعين ،و الملوك، و القضاة، و الفقهاء ، و النحاة ، و الشعراء و غيرهم [2] وكتب الصفدي كتاباً آخر في التراجم بعنوان: "أعوان النصر في أعيان العصر "[3]، على أن اهم كتاب في التراجم في العصر المملوكي كان من تأليف مؤرخ الإسلام محمد بن احمد بن عثمان الذهبي الذي مثل قمة جهود أهل الحديث في كتابة تاريخ ومن أشهر كتبه "سير أعلام النبلاء" و هو مختصر من تاريخه الكبير "تاريخ الإسلام" و يقع هذا الكتاب في أكثر من عشرين مجلد مرتبا تراجمه حسب الوفيات ، وعندما رأى

1 - ابن كثير : **المصدر السابق** ، ج18، 680

2 - ابن حجر العسقلاني : **المصدر السابق** ، ج 02، ص ص 87-88

3 - السبكي : **المصدر السابق** ، ج 10، ص ص 5-32

أن "تاريخ الإسلام" واسع جداً اختصره في كتاب " العبر في خبر من غبر"و هي تراجم للرجال وطبقات القراء و الحفاظ[1].

و تبع هؤلاء الأدفوي كمال الدين أبي الفضل جعفر بن ثعلب بن جعفر الشافعي (ت 748هـ/1347م) صاحب كتاب " الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد"[2]، وتاج السبكي الذي كان له اهتمام بالفقه و التدريس في المدارس التي أسسها المماليك (771هـ/1370م) فوضع كتابه الشهير الذي له صلة بالتاريخ هو " طبقات الشافعية الكبرى "[3]، و له كتاب " معيد النعم ومبيد النقم " ، و هو في الجوانب الحضارية لعصره ووظائف الدولة[4] .

ومن الظواهر اللافتة في عملية التدوين التاريخي في هذا العصر و التي أدت إلى غزارة الإنتاج هي انتشار الاختصارات للمؤلفات التاريخية السابقة فاختصر ابن منظور " تاريخ دمشق"لابن عساكر ، و "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي[5]، و قام ابن آيبك الداوداري بوضع تاريخ عام مختصر تحت عنوان" درر التيجان و غرر تواريخ الزمان" إلى جانب تاريخه الكبير" كنز الدرر وجماع الغرر"[6] .

أما المؤرخين الذين تخصصوا في تاريخ دولة معينة أو بلد ما مثل جمال الدين بن واصل (ت697هـ/1299م) الذي ولد بحماه و بها تعلم و تأدب ، ثم قدم القاهرة سنة 659هـ1261م و من تأليفه كتاب "مفرج الكروب في أخبار بني أيوب " و قد وقف ابن واصل عن تأليف هذا الكتاب أثناء سنة 661هـ/1263م ، و أبو شامة المقدسي كتاب " الروضتين في أخبار الدولتين النورية و الصلاحية"و هو كتاب في تراجم القرنين السادس و السابع الهجريين /الثاني عشر والثالث عشر ميلادي، أما الأمير ركن الدين بيبرس المنصوري الداودار

1 – ابن العماد : **المصدر السابق** ، ج08، ص ص264-268

2 – الأسنوي : **المصدر السابق** ، ج 01، ص 86

3 – ابن حجر العسقلاني : **المصدر السابق** ، ج 02، ص ص 425-428

4 – مفيد الزيدي : **موسوعة التاريخ الاسلامي "العصر المملوكي"**،دار أسامة للنشر و التوزيع ، الأردن 2009، ص 272.

5 – السيوطي : **بغية الوعاة** ، ج 01 ، ص 248

6 – الزركلي : **المرجع السابق**،ج02، ص66

(ت 725هـ/1325م) فهو من المؤرخين الذين اهتموا بالتاريخ العام و الحولي " زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة" ، و هو يخص التاريخ الإسلامي عامة ، و الجزء التاسع منه عن المماليك[1] ، و كتاب أخر " التحفة الملوكية في الدولة التركية "كتبه بأسلوب السجع و انتهى منه سنة 711هـ/1311م وكتب عنه أن له كتاب آخر صغير" مختار الأخبار" يتحدث عن أخبار الدولة الأيوبية و بعض أخبار دولة المماليك البحرية حتى سنة 698هـ/1300م[2].

وشاعت في العصر المملوكي كتب الذيول التي ارتبطت بكتب التراجم ، حيث يعمد بعض المؤرخين إلى احد الكتب التاريخية المعروفة و التي أُلفت في فترة سابقة علي، فيضع عليها ذيلاً يستكمل به التاريخ من الفترة التي توقف عندها المؤلف الأصلي مما أدى إلى تضخيم العمل التاريخي بالذيول .

لاشك أن انتشار المدارس في هذه الفترة واستمرار المؤسسات التعليمية الأخرى الموجودة من قبل في أداء دورها يؤشر على وجود نهضة فكرية و علمية كبيرة ،كان لها دورا بارزا في خدمة أغراض المجتمع الإسلامي و عقيدته و نشر الثقافة الإسلامية ،وقد ساهمت بشكل كبير في استمرار عطاء العلماء وغزارة إنتاجهم الفكري الذي ضاه في حجمه و قيمته ما كان موجودا بالعراق في القرون السابقة.

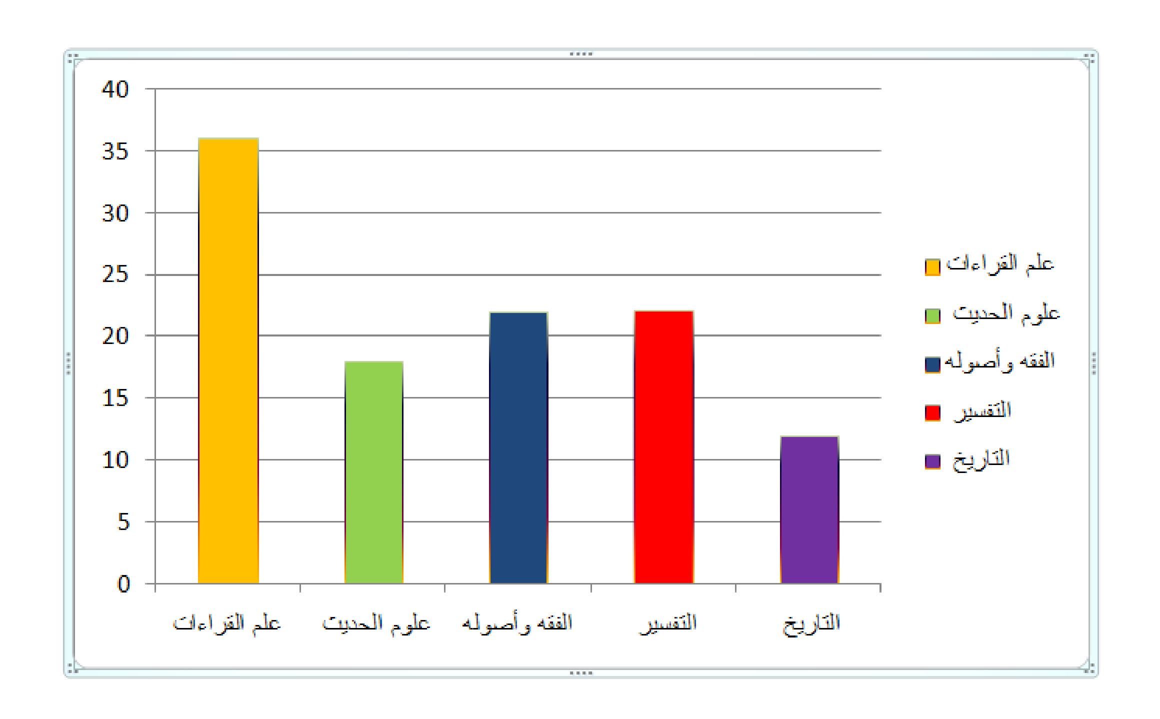
تركز تصنيف العلماء في فترة الدراسة بشكل كبير وواسع على العلوم الشرعية (**أنظر الشكل رقم (02) ص149**)، لما لها من أثر في معتنقيها وقارئها للتصدي عملياً للعدوان المتمثل آنذاك بالتتار والصليبيين الذين تعرضت بلاد الشام ومصر لعدوانهم.

---

1 – ابن تغري بردي: **المصدر السابق** ، ج09، ص 190

2 – المقريزي : **السلوك لمعرفة دول الملوك**، ج 02، ق 01،ص 269

لذا نشطت روح التأليف والتصنيف بتلك العلوم، ومما زادها نشاطاً المنافسة المحمودة بين علماء مصر والشام والبلاد الأخرى آنذاك، لترث كل واحدة منها إرث بغداد المدمرة في رعاية العلوم والثقافة الإسلامية، وإن كان حظ مصر منها راجحاً على من سواها.



نسب تقريبية لمجموع ما تم تأليفه في عصر المماليك الأول[1]

---

[1]- الصفدي : **المصدر السابق** ، ج2، ص87، ج5، ص184، ج18، ص 67-68. اليونيني: **المصدر السابق** ، ج1، ص249. السبكي: **المصدر السابق** ، ج8، ص165. ابن العماد: **المصدر السابق** ، ج8، ص184. الذهبي:**سير أعلام النبلاء**، ج10، ص616، ج11، ص555، ج18، ص183. السيوطي: **حسن المحاضرة**، ج1، ص314. ، الكتبي: **المصدر السابق** ، ج1، ص39، ج3، ص382، أنظر المتن ص ص132-148.

خاتمة

يمكن القول في نهاية هذه الدراسة أن الحياة العلمية في العراق في عهد المغول لم تتوقف بل استمرت رغم الظروف السياسية السيئة التي عانى منها، وعانت لكنها لم تقتلع من جذورها ،و أن هذه الظروف أثرت على إنتاجه العلمي الذي تراجع رغم بروز علماء كبار في هذا العصر. وأن العراق فقد مكانته كمركز للثقافة العربية والعلوم الإسلامية لكنه لم يفقد نشاطاته العلمية والفكرية التي كانت في جوهرها تحدي للمغول و إثبات وجود في وجه محاولات المسخ و السلخ،كما أن مجيء المغول لم يقض على الحياة العلمية ؛ وإنما أحدث حركة تنقل في مراكزها، فقد أصبحت القاهرة بعد سقوط بغداد تحمل وحدها مشعل العلم في دار الإسلام.

ومن جملة النتائج التي خلص إليها هذا العمل أن وقوع كارثة الغزو المغولي في عهد المستعصم بالله لا تعفي الخلفاء الثلاثة الذين سبقوه لعدم إدراكهم جسامة الخطر المغولي الذي لم يولوه الاهتمام الجدي المدروس ، أو عدم فهمهم طبيعته الهدامة المدمرة التي لم يواجهوها بسياسة رادعة واضحة المعالم. إنما كانت معالجتهم سطحية مرتجلة يغلب عليها الاستعجال. كما أن المراسلات و المباحثات التي كانت بين المغول و الخلافة العباسية لم يكن لها اثر كبير في دفع هولاكو أو ثنيه عن مهاجمة بغداد ، لان الاستيلاء على العراق كان من ضمن سياسة إستراتجية مغولية عامة،وحتى تحرك الخلافة العباسية ضد الخطر المغولي كان بالقدر و الكيفية التي سمحت بهما ظروفهما وإمكانياتها و طاقاتها ، و لا يقلل من شان هذا التحرك انه لم يكن تلقائيا في بعض الأحيان ، وإنما جاء نتيجة لاستنجاد المسلمين بها.

كذلك بين البحث أن زوال الخلافة العباسية من بغداد لا يمكن نسبه إلى سبب واحد كما بالغت بعض الدراسات في الدور الذي قام به الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي حتى كادت تنسب إليه وحده زوال الخلافة العباسية ، بل يحق لنا أن نرجع هذا الزوال إلى عدة أسباب متشابكة ببعضها البعض ، منها اختلال الحالة الداخلية في أملاك الخلافة العباسية من جميع نواحيها السياسية

و الحربية والاجتماعية و العمرانية في العصر الأخير، و منها اشتداد ساعد المغول و توسعهم في الغزو حتى أصبحوا في أواخر عهد المستعصم بالله يطوقون أملاك الخلافة العباسية من جميع الجهات.

وأوضحت الدراسة أن زوال الخلافة العباسية على أيدي المغول سنة 656هـ/1258م كان حدا فاصلا بين عهدين في العراق، عهد تفوق وسيطرة على العالم الإسلامي في السياسة و الآداب والعلوم و الفنون انقضى و عهد تراجع في النفوذ السياسي و الأدبي و العلمي و الفني بدأ يظهر شبحه المخيف،ونهاية الوحدة السياسية للمسلمين و التي أصبحت من الأمور التي يستحيل تحقيقها .

إضافة إلى ذلك كان لسقوط بغداد اثر كبير في تغيير البنية الاجتماعية حيث اخذ مركز الشيعة يزداد و نفوذهم بدأ بالتوسع ، خاصة و أن عددا من الشيعة دخلوا في خدمة المغول و قدموا لهم الخدمات الجليلة ونالوا الحضوة عندهم ،كما تجلى تقربهم في النيل من الخصوم السياسيين والدينيين من خلال الوشاية بهم وتصفيتهم، ومن ذلك دفع المغول إلى قتل كل أبناء وأحفاد أسرة ابن الجوزي الحنبلية البغدادية بوشاية من ابن العلقمي الشيعي بسبب قوة تأثيرهم على المجتمع البغدادي ولذلك انتشر التشيع من بعد بشكل لم يعهد من قبل في العراق، ونفس الشيء بالنسبة للتصوف الذي أصبح موجودا بقوة في المجتمع العراقي.

وأوضح هذا البحث وجه آخر غير شائع فعند ذكر تاريخ المغول في المشرق الإسلامي عادة إنما يذكر معه الخراب و الدمار والقتل ، إلا أن بعض الباحثين المعاصرين كناجي معروف و جعفر حسين خصباك و حتى محمد مفيد آل ياسين اثبتوا غير ذلك ، حيث حاولوا أن يميزوا بين الروايات الشعبية التي روجت بعض المصادر التاريخية ترويجا واسعا و بين الحقائق التاريخية المجردة من العواطف والطرح البسيط، ويؤكدون أن ما حدث في عهد هولاكو لا يذكر إذا ما قيس بما حدث في عهد تيمورلنك.

ومن النتائج التي توصل إليها البحث أن الخطر المغولي على العالم الإسلامي لم يكن بمثل فداحة الخطر الصليبي، حقيقة أن المغول قد زلزلوا أركان هذا العالم بعنفهم المدمر ولكنهم لم يلبثوا أن

ذابوا في خضم الحضارة العربية الإسلامية، بل صاروا فيما بعد من المساهمين في بنائها والحفاظ عليها عندما اعتنقوا الإسلام، وكان كل خطرهم كامنًا في تفوقهم العسكري الذي جعلهم يطوون البلاد بسرعة غريبة، أما الصليبيون فكانوا أصحاب مشروع لا يتحقق سوى بالقضاء على الوجود الحضاري للمسلمين.

وتأكد لدينا من خلال البحث أن الإسلام لم يتعرض في تاريخه الوسيط لمحنة عصيبة كمحنة الغزو المغولي، حيث تقر الكثير من المصادر غير الإسلامية أنها كانت أسوأ كارثة حلت بالجنس البشري كله، نافيةً عن المؤرخين المسلمين تهمة المبالغة في تصوير وحشية المغول وتقدير الآثار التخريبية الناجمة عن اجتياحهم لأقاليم المشرق الإسلامي، مؤكدةً اتفاق المرويات الإسلامية في هذا الصدد مع نظيراتها الغربية.

وتبين لنا أن علماء العراق قدموا الكثير للحضارة العربية الإسلامية في أواخر الدولة العباسية ، و في بداية الغزوة المغولية التي خيم فيها الظلام على العالم الإسلامي ، وكانوا آنذاك ينيرون للناس طريق الحياة ، و يقدمون أنفسهم ضحايا لسيوف هولاكو، في حين تراجع دور بعضهم بعد الغزو وهناك من العلماء من كانت مواقفه متعاونة مع الاحتلال المغولي بدوافع مختلفة منها ما كان مذهبياً ، و منها ما كان مادياً.

واستنتجنا أن الإتلاف الذي أصاب الكتب في بغداد أو انتهى بها في أثناء الغزو المغولي إنما كان يراد به تدمير خزائن كتب الخلفاء ،أما خزائن المدارس و المساجد نجد أنها لم تتأثر كثيرا في العهد المغولي بدليل وجود دور الكتب في اغلب المدارس التي استأنفت الدراسة فيها بعد الغزو المغولي لبغداد كخزانة كتب في المستنصرية و النظامية و البشيرية.

و ختاما بينت لنا الدراسة أن النشاط العلمي في العراق لم يخمد فقد واصل العطاء من تحمل منهم وطأة الاحتلال ، و برز منهم علماء كان لهم شان كبير في عملية الحفاظ على التراث الفكري و إغنائه بنتاجات جديدة و لعل الذي يعود إلى كتاب" مجمع الآداب في معجم الألقاب " لابن

الفوطي ،وحتى كتاب" الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة" لابن حجر العسقلاني اللذان تضمنا ترجمات كثيرة لعلماء عراقيين يكفي للتدليل على مكانة أولئك العلماء العلمية في تلك الحقبة ، لكنها لم تكن بأية حال بالمستوى الذي كانت عليه قبل الاحتلال.

يمكن القول أيضا في نهاية هذا العمل أن من أعظم إيجابيات علماء العصر المملوكي أنهم أعادوا وبزمن قياسي جمع ما ضاع من التراث والفكر العربي الإسلامي الذي تعرض للنهب والإحراق والإغراق والإتلاف على يد المغول، وتابعوا فوق ذلك مسيرة التأليف والإبداع، فكونوا نهضة كبرى توجت حلقات تطور الحضارة العربية الإسلامية. وأن هذا العصر هو من العصور الذهبية للأمة الإسلامية في النهضة العلمية، فالإخفاقات والاضطرابات السياسية والحالة الاجتماعية البائسة في ذلك الوقت لم تفلح في الانعكاس على جانب التعليم والتصنيف والتأليف وبناء المشاريع العلمية وعمارة مجالس العلم وغير ذلك.

أما سلبيا فهي انحصار تقدم النشاط العلمي في عصر المماليك في مجال العلوم النقلية لا العلوم العقلية كما يتضح من الإنتاج العلمي و لأعداد العلماء، كما أن الحياة العلمية حتى في هذا المجال أي العلوم الدينية ظل تقليديا ، فقد انصب جانب كبير منه على شرح أو اختصار أو تعليق أو إعادة تنسيق ما تركه رجال القرون السابقة.

الملاحق

ملحق رقم: (01)

خلفاء أواخر العصر العباسي[1]

1- المسترشد بالله (512-529هـ/1118-1135م)

2- الراشد (529-530هـ/1135-1136م)

3 - المقتفي لأمر الله (530-555هـ/1136-1160م)

4- المستنجد بالله (555-566هـ/1160-1170م)

5- المستضيء بأمر الله (566-575هـ/1170-1180م)

6- الناصر لدين الله (575-622هـ/1180-1225م)

7- الظاهر بأمر الله (622-623هـ/1225-1226م)

8- المستنصر بالله (623-640هـ/1226-1242م)

9- المستعصم بأمر الله (640-656هـ/1242-1258م)

[1] - المصدر: تاريخ الخلفاء للسيوطي

الملحق رقم :(02)

نص رسالة هولاكو إلى الخليفة المستعصم بالله، وهي مؤرخة في العاشر من رمضان655هـ/1257م[1].

((لقد أرسلنا إليك رسلنا وقت فتح قلاع الملاحدة، وطلبنا مددا من الجند، ولكنك أظهرت الطاعة ولم تبعث الجند. وكانت آية الطاعة والإتحاد أن تمدنا بالجيش عند مسيرنا إلى الطغاة، فلم ترسل إلينا، والتمست العذر. مهما تكن أسرتك عريقة، وبيتك ذا مجد تليد...

فإن لمعان القمر قد يبلغ درجة   يخفى معها نور الشمس الساطعة

ولا بد أنه بلغ سمعك لسان الخاص والعام، ما حل بالعالم والعالمين على يد الجيش المغولي، منذ عهد جنكيزخان إلى اليوم، والذل الذي حاق بأهل الخوارزمية والسلجوقية وملوك الديالمة والأتابكة وغيرهم، ممن كانوا ذوي عظمة وشوكة، وذلك بحول الله القديم الدائم ولم يكن باب بغداد مغلقا في وجه أي طائفة من تلك الطوائف، واتخذوا منها قاعدة ملك لهم. فكيف يغلق في وجهنا رغم ما لنا من قدرة وسلطان؟ ولقد نصحناك من قبل. والآن نقول لك: احذر الحقد والخصام، ولا تضرب المخصف ، ولا تلطخ الشمس بالوحل بقبضة يدك فتتعب.

ومع هذا فقد مضى ما مضى، فإذا أطاع الخليفة فليهدم الحصون، ويردم الخنادق، ويسلم البلاد لابنه، ويحضر لمقابلتنا،وإذا لم يرد الحضور، فليرسل كلا من الوزير وسليمان شاه والدويدار، ليبلغوه رسالتنا دون زيادة أو نقص. فإذا استجاب لأمرنا فلن يكون من واجبنا أن نكن له الحقد، وسنبقى له على دولته وجيشه ورعيته، أما إذا لم يصغ إلى النصح، واثر الخلاف والجدال، فليعبئ الجند، وليعين ساحة القتال، فإننا متأهبون لمحاربته، وواقفون له على استعداد، وحينما أقود الجيش إلى بغداد، مندفعا بسورة الغضب، فانك لو كنت مختفيا في السماء أو في الأرض....

---

1 - رشيد الدين فضل الله الهمذاني: **جامع التواريخ** ، ص ص267-268

فسوف أنزلك من الملك الدوار،

وسألقيك من عليائك إلى أسفل كالأسد

ولن أدع حيا في مملكتك،

وسأجعل مدينتك وبلادك طعمة للنار

فإذا أردت أن تحفظ رأسك وأسرتك، فاستمع لنصحي بمسمع العقل والذكاء، وإلا فسأرى كيف تكون إرادة الله.

الملحق رقم :03

رد الخليفة المستعصم بالله على رسالة هولاكو الأولى[1]

((أيها الشاب الحدث ... المتمني قصر العمر، ومن ظن نفسه متغلبا على جميع العالم مغترا بيومين من الإقبال، متوهماً أن أمره قضاء مبرم و أمر محكم .لماذا تطلب مني شيئا لن تجده عندي .

كيف يمكن أن تتحكم في النجم و تقيده

بالرأي و الجيش و السلاح

ألا ليعلم الأمير انه من الشرق إلى الغرب ،ومن الملوك إلى الشحاذين ، و من الشيوخ إلى الشباب ممن يؤمنون بالله و يعملون بالدين ، كلهم عبيد هذا البلاط و جنود لي.

إنني ، حينما أشير بجمع الشتات، و سأبدأ بحسم الأمور في إيران ، ثم أتوجه إلى بلاد توران ، و أضع كل شخص في موضعه .و عندئذ سيصير وجه الأرض جميعه مملوءاً بالقلق و الاضطراب غير أنني لا أريد الحقد و الخصام ،و لا أن اشتري ضرر الناس و إيذاءهم ، كما أنني لا أبغي من وراء تردد الجيوش أن تلهج السنة الرعية بالمدح أو القدح، خصوصا و أنني مع الخاقان و هولاكوخان قلب واحد و لسان واحد .وإذا كنت مثلي تزرع بذور المحبة فما شأنك بخنادق رعيتي و حصونهم . فاسلك طريق الود ، وعد إلى خراسان ، و إن كنت تريد الحرب و القتال ..

فلا تتوان لحظة و لا تعتذر

إذا استقر رأيك على الحرب

إن لي ألوف مؤلفة من الفرسان و الرجال

وهم متأهبون للقتال

و إنهم ليثيرون الغبار من ماء البحر وقت الحرب و الطعان

---

[1] – رشيد الدين فضل الله الهمذاني: **جامع التواريخ** ، ص ص269-270

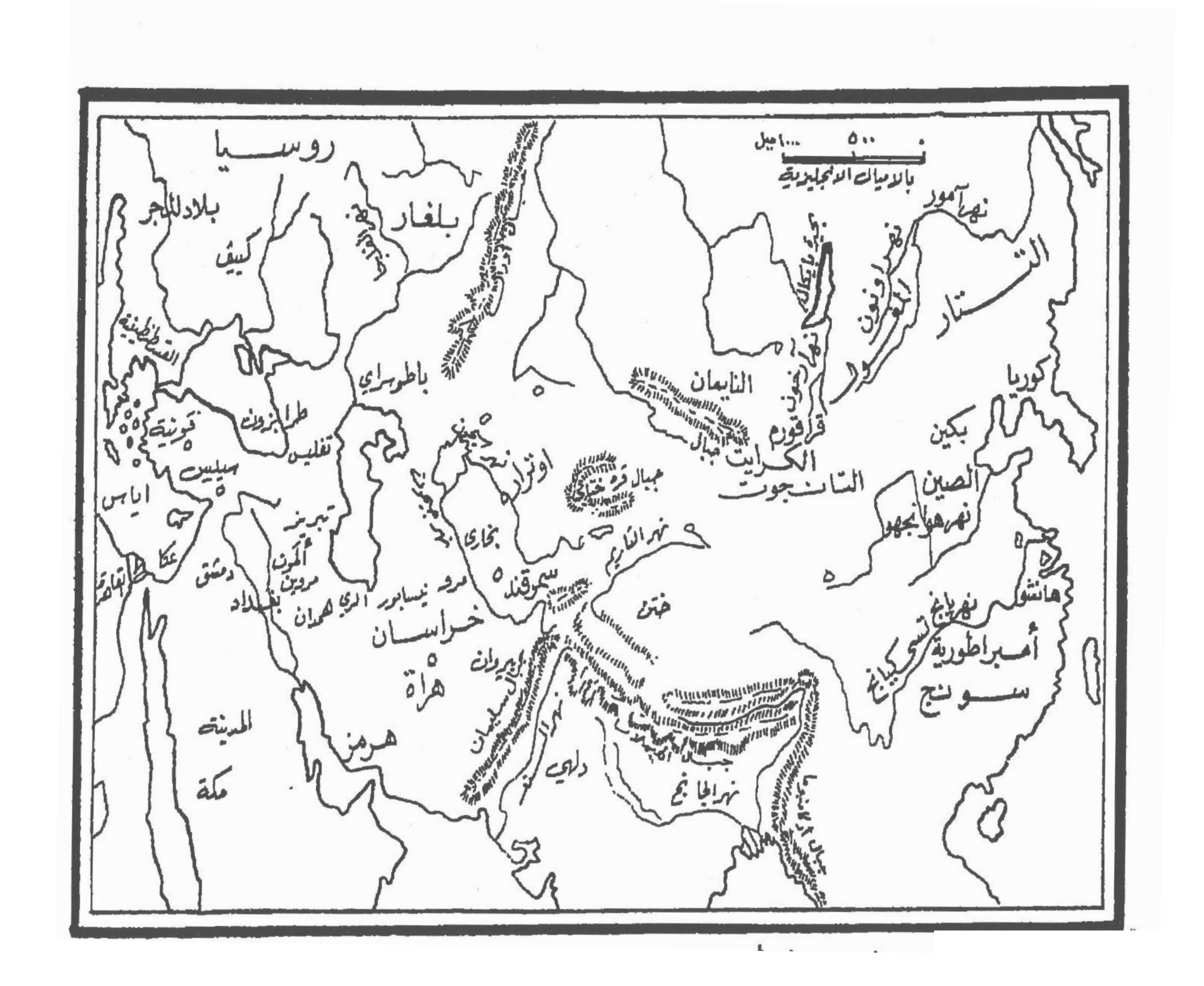
ملحق رقم: (04)



خريطة غزوات المغول – طريق الغزو ←

المرجع: كتاب تاريخ المشرق الإسلامي لجميل بيضون، ص216

ملحق رقم: (05)



إمبراطورية المغول في أقصى اتساعها

المرجع: المغول في التاريخ لفؤاد الصياد، ص402.

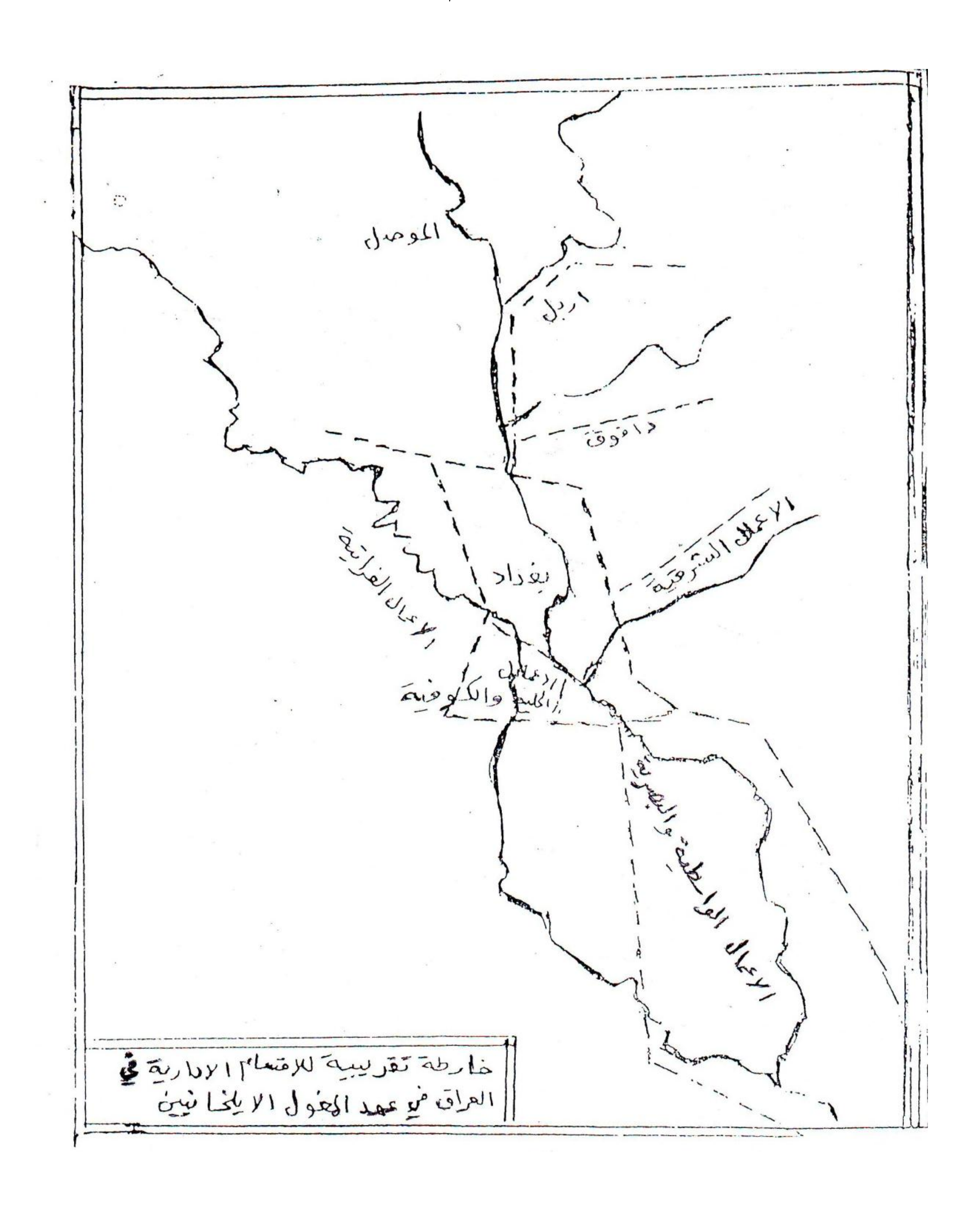
ملحق رقم (06)

سلاطين الدولة الإيلخانية[1]

اسم السلطان	مدة حكمه
هولاكو خان بن تولي بن جنكيز خان	651-663هـ/ 1254-1265م
اباقاخان بن هولاكو خان	663-681هـ/ 1265-1282م
أحمد تكودار بن هولاكو خان	681-683هـ/ 1282-1284م
ارغون خان بن اباقا خان	683-690هـ/1284-1291م
كيخاتوخان بن اباقان	690-694هـ/ 1291-1295م
بايدوخان بن طراغاي بن هولاكو خان	694هـ/ 1295م
السلطان محمود غازان بن أرغون خان	694-703هـ/ 1295-1304م
اولجايتو (محمد خدابندة) بن ارغون خان	703-716هـ/1304-1316م
أبو سعيد بن اولجايتو	716-736هـ/1316-1336م

[1]- الهمذاني : **جامع التواريخ** ، ج01، ص،ص 3،92.، 126،162،169،234،341

ملحق رقم :(07)



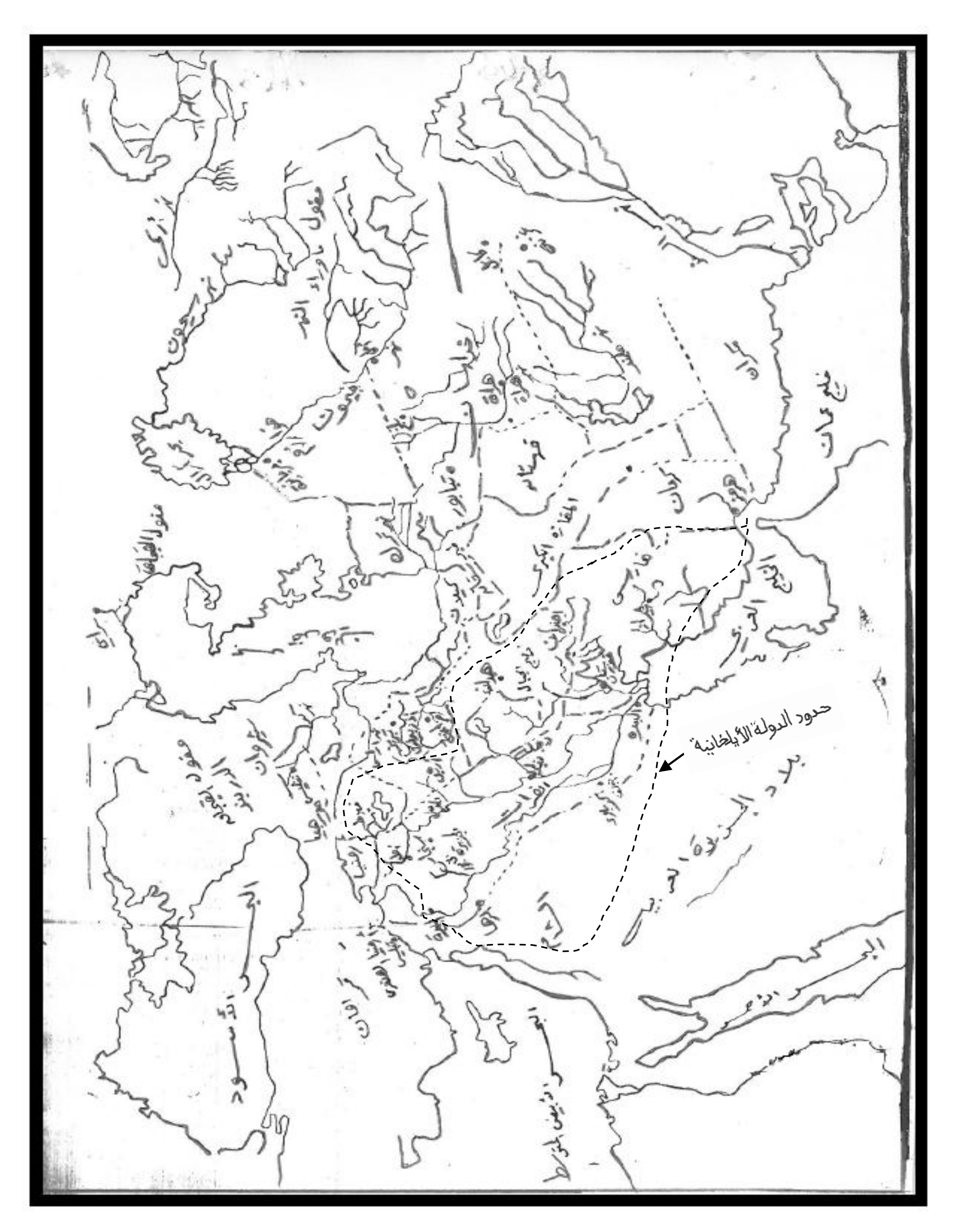
الموصل
اربل
داقوق
الأعمال الشرقية
بغداد
الأعمال الغربية
أعمال الحلة
والكوفة
الأعمال الواسطية والبصرية
خارطة تقريبية للاقسام الادارية في
العراق في عهد المغول الايلخانيين

ملحق رقم (08): أسماء بعض العلماء الذين قتلوا على يد المغول في بغداد سنة656هـ/1258م [1]

الرقم	الاسم
01	الخليفة العالم المستعصم بالله عبد الله بن المستنصر بالله
02	محي الدين يوسف بن عبد الرحمن بن علي البكري ابن الجوزي
03	عماد الدين أبو الحسن علي بن عبد الملك بن أبي الغنائم بن بصلا البندنيجي
04	عز الدين أبو الفضل عبد العزيز بن محمد بن أحمد بن جعفر الناسخ
05	عفيف الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن جعفر يعرف بابن البديع البغدادي
06	عفيف الدين أبو العز يوسف بن عبد الكريم بن الحسن الفقيه يعرف بابن القصاب
07	عماد الدين أبو الفوارس طغرل بن عبد الله المستعصي الأمير يعرف بالبقجة دار
08	تاج الدين أبو المكارم محمد بن نصر بن يحي الهاشمي العلوي ابن الصلايا
09	القاضي تقي الدين علي ابن النعماني
10	شرف الدين عبد الله علي بن سكينة ابن النيار
11	موفق الدين عبد القاهر محمد بن علي بن عبد العزيز ابن الفوطي
12	عبد الرحمن بن رزين بن عبد العزيز بن نصر بن عبيد بن علي الحوراني
13	علي ابن سليمان بن أبو العز ابن الخباز
14	كمال الدين أبو القاسم عبيد الله علي بن أنجب ابن الساعي
15	القزويني القاضي البرهان

1- الملك الأشرف الغساني : **العسجد المسبوك و الجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء و الملوك**،ص ص 633-639

ملحق رقم: (09): الدولة الأيلخانية



المرجع: كتاب الشرق الإسلامي في عهد الأيلخانيين (أسرة هولاكو خان)، ص555.

الملحق رقم: 10

رسالة تكودار إلى أهل بغداد[1]

بسم الله الرحمن الرحيم ، لا إله إلا الله ،محمد رسول الله ، و إنا جلسنا على كرسي الملك ، و نحن مسلمون، فيتلقون أهل بغداد هذه البشرى ، و يعتمدون في المدارس و الوقوف و جميع وجوه ملكان يعتمد في أيام الخلفاء العباسيين ، و يرجع كل ذي حق إلى حقه في أوقاف المساجد و المدارس ، و ولا يخرجون على القواعد عن القواعد الإسلامية و أنتم يا أهل بغداد مسلمون. و سمعنا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا تبرح هذه العصابة الإسلامية مستظهرة إلى يوم القيامة .و قد عرفنا أن هذا الخبر خبر صحيح ورسول صحيح ، ورب واحد ، أحد فرد صمد فتطيبون قلوبكم و تكتبون إلى البلاد جميعها.

[1] – محي الدين بن عبد الطاهر : **تشريف الأيام و العصور في سيرة الملك المنصور** ،تحقيق مراد كامل، الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة 1961 ، ص05

قائمة المصادر
والمراجع

أولا – *المصادر :*

1) ابن أبي الحديد عزالدين المدائني (ت 656هـ/1258م)

– حملات الغزو المغولي، دار لارماتون ،باريس 1990

2) ابن أبي صبيعة (موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة):

-عيون الأنباء في طبقات الأطباء،المطبعة الوهبية ،1882م.

- **ابن الأثير (علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري)(ت 630 هـ / 1232 م) :**

–الكامل في التاريخ ، تحقيق : عبد الله القاضي ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1987.

–التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية،دار الكتب الحديثة ،القاهرة ،د ت

3) ابن الجوزي (جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي) (ت 597 هـ / 1201م):

- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1992

4) ابن الدمياطي(أحمد بن أيبك بن عبد الله الحسامى) (ت 749 هـ/1348م):

–المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي بيروت ، لبنان د ت.

5) ابن الساعي البغدادي (علي بن أنجب) (674هـ/1279م) :

–مختصر تاريخ الخلفاء ، المطبعة الاميرية بولاق ، مصر ،د ت.

6) ابن العبري (أبو الفرج غوريغوريوس بن أهرون) (ت685هـ/ 1286م):

–مختصر تاريخ الدول ،دار الرائد اللبناني ،لبنان ،ط 02 ،1994

7) ابن العماد الحنبلي(أبو الفلاح عبد الحي) (ت 1089 هـ / 1679 م) :

–شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق : محمود الأرناءوط ، دار ابن كثير، بيروت، 1986.

8) ابن الفوطي (كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد الشيباني)(ت723هـ/1321م):

– الحوادث الجامعة و التجارب النافعة في المائة السابعة ،تحقيق مهدي النجم ،دار الكتب العلمية ، بيروت 2003

–مجمع الآداب في معجم الألقاب،تحقيق محمد كاظم ، مؤسسة الطباعة و النشر إيران

.1994

-تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب،تحقيق مصطفى جواد ، المطبعة الهاشمية، دمشق .1963

9) ابن بطوطة(أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد ابن إبراهيم) :

- رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار: تحقيق و تقديم الشيخ -محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم ، بيروت1987.

10) ابن تغري بردي (جلال الدين أبي المحاسن يوسف) (ت 874 ه / 1470 م) :

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1992.

11) ابن جبير (أبو الحسين محمد بن أحمد الكناني الأندلسي) (ت 614 ه /1222م):

رحلة إبن جبير ،دار صادر ،بيروت ،د ت.

12) ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أحمد)(ت852هـ/1450م)

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، دار الجيل بيروت 1993.

13) ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد)(ت 808 ه / 1406 م) :

- تاريخ ابن خلدون ، راجعه د.سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ، 2001 .

-الخبر عن دولة التتر، دراسة و تحقيق احمد عمراني،دار الفارابي لبنان، 2013.

14) ابن خلكان (أبو العباس أحمد بن شمس الدين) (ت 681 ه / 1282 م) :

وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس، دار صادر ، بيروت ، 1994 .

15) ابن رجب (عبد الرحمان بن أحمد) (ت 795 ه / 1392 م) :

الذيل على طبقات الحنابلة تحقيق عبد الرحمان بن سليمان ،مكتبة العبيكان ، الرياض ،2005

16) ابن قاضي شهبة (أبي بكر بن أحمد)(851هـ/1448م):

طبقات الشافعية ،دار المعارف العثمانية ، حيدر آباد الهند، 1978.

17) ابن كثير (عماد الدين إسماعيل بن عمر أبو الفداء) (ت 774 ه / 1372م) :

البداية و النهاية ،تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي ،دار هجر ،مصر ، 1997.

طبقات الفقهاء الشافعيين ،تحقيق أحمد عمر هشام ،مكتبة الثقافة الدينية ،مصر 199

18) أبو شامة (شهاب الدين عبد الرحمان بن إبراهيم)(ت599ه/1202م)

-الروضتين في أخبار الدولتين النورية و الصلاحية،مؤسسة الرسالة ،بيروت،1997.

- الذيل على الروضتين ، دار الجيل بيروت ، دت

19) أبي بكر بن عبدالله الدواداري:

كنز الدرر و جامع الغرر، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور،مطبعة عيسى الحلبي و شركاؤه ، القاهرة 1972.

20) البغدادي (إسماعيل باشا) (ت1339ه/1923م):

–هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ،دار إحياء التراث العربي، بيروت ، د ت ، المجلد 02.

21) الحسن بن أبي محمد الصفدي :

نزهة المالك و المملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية،بيروت 2003.

22) الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله) (ت 626 ه / 1229 م) :

- معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، 1977.

-معجم الأدباء ،دار الغرب الإسلامي بيروت 1993

23) الذهبي (شمس الدين أبي عبدالله بن عثمان) (ت 748 ه /1374م):

-العبر في خبر من غبر ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1985 .

-تاريخ الإسلام ،دار الكتاب العربي،لبنان ، ط02 ، 1990.

-سير أعلام النبلاء ، تحقيق بشار عواد ،مؤسسة الرسالة ،بيروت ،1982.

24) السبكي (**تاج الدين أبي النصر عبد الوهاب بن تقي الدين**) (**ت 879 ه /1474م**) :

طبقات الشافعية الكبرى،تحقيق محمود محمد الطناحي،محمد عبد الفتاح الحلو،دار إحياء الكتب العربية ،القاهرة ،د ت.

25) السيوطي (**جلال الدين عبد الرحمن**)(**ت 911 ه / 1505 م**) :

–تاريخ الخلفاء ، دار المعرفة ، بيروت ، ط04، 1999.

–حسن المحاضرة في تاريخ مصر و القاهرة،دار إحياء الكتب العربية، 1967.

–طبقات الحفاظ ، دار الكتب العلمية، بيروت،1983.

– بُغية الوُعاة في طبقات اللغويين و النحاة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي و شركاؤه،1965.

26) الشهرستاني (**أبى الفتح محمد عبد الكريم بن أبى بكر**) (**ت 548 ه / 1149 م**) :

– الملل و النحل ، تحقيق محمد سيد الكيلاني ، مطبعة مصطفى البابى ، القاهرة ،1966

27) الشوكاني محمد بن علي :

– البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ،دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة .

28) العباس أحمد القلقشندي:

–صبح الأعشى ،دار الكتب المصرية ،القاهرة 1922.

–مآثر الأنافة في معالم الخلافة ،تحقيق عبد الستار احمد فراج،عالم الكتب ، بيروت د ت.

29) الفارقي (**أحمد بن يوسف بن علي الأزرق**) (**ت 577 ه / 1181 م**) :

–تاريخ الفارقي ، تحقيق بدوي عبد اللطيف عوض، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية ،القاهرة، 1959.

30) الفيروزآبادي (**مجد الدين محمد بن يعقوب**)(**ت 817 ه/ 1415م**):

–القاموس المحيط ،مؤسسة الرسالة ،بيروت ،ط08 ،2005

31) القرشي (محي الدين أبى محمد عبد القادر) (ت 775 ه / 1373 م).

-الجواهر المضنية في طبقات الحنفية ،تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ،دار هجر ،مصر ،ط02 ، 1993.

32) القرماني (احمد بن يوسف) (1019 ه / 1610 م) :

-أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، دراسة وتحقيق أحمد حطيط،فهمي سعد ،دار عالم الكتب، بيروت ، 1992.

33) القزويني (عبدكريم بن محمد الرافعي) :

-التدوين في أخبار قزوين ،تحقيق عزيز الله العطاردي، دار الكتب العلمية ، بيروت ،1987

34) القفطي (جمال الدين أبي الحسن علي بن القاضي الأشرف يوسف) ت664هـ/1267م)

-أخبار العلماء بأخبار الحكماء ،مطبعة السعادة ،مصر ، 1366هـ/1950م.

35) الكازروني: (ظهير الدين علي بن محمد البغدادي)

-مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس، مطبعة الحكومة، بغداد،1970.

-مقامة في قواعد بغداد في الدولة العباسية،تحقيق كوركيس عواد، مطبعة الرشاد بغداد1962

36) المقدسي (شمس الدين أبي عبد الله محمد)

-أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، دار صادر ،بيروت ، د ت.

37) المقريزي (تقي الدين أبي العباس بن أحمد بن علي)

-المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار،تحقيق مديحة الشرقاوي ، مكتبة مدبولي، القاهرة1997.

-السلوك لمعرفة دول الملوك ،دار الكتب العلمية ، بيروت 1997.

38) الملك الأشرف الغساني:

-العسجد المسبوك و الجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء و الملوك، تحقيق شاكر محمود ، دار التراث الإسلامي ، بيروت 1975.

39) بدر الدين محمود العيني:

-عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، تحقيق محمود رزق محمود، دار الكتب و الوثائق العلمية ، القاهرة 2010.

40) حسين بن محمد الديار بكري:

-تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، مؤسسة شعبان للنشر و التوزيع ، بيروت ، دت.

41) رشيد الدين فضل الله الهمذاني:

-جامع التواريخ، ترجمة محمد صادق نشأت و آخرون،دار احياء الكتب العربية، مصر ، دت ج01.

42) سبط ابن الجوزي :

-مرآة الزمان في تواريخ الأعيان ، تحقيق ابراهيم الزيبق ،دار الرسالة العالمية ،دمشق 2013، ج 22.

43) صفي الدين عبد المؤمن البغدادي:

-مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة و البقاع ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار الجيل بيروت، 1992.

44) صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي:

-الوافي بالوفيات ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت2000.

-نكت الهميان في نكت العميان ،دار الكتب العلمية بيروت 1971.

45) ظهير الدين ابن الكازَرُونى :

-مختصر التاريخ ،تحقيق مصطفى جواد، مطبعة الحكومة بغداد ، 1970.

46) عبد الرحمن سنبط الأربلي :

-خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سيرة الملوك، مكتبة المثنى بغداد ، د ت.

47) عبد الرحيم الأسنوي (جمال الدين):(ت 772هـ/1377م)

-طبقات الشافعية ،دار الكتب العلمية ،بيروت (1987)

48) عز الدين بن محمد ابن شداد:

-الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء بلاد الشام و الجزيرة،منشورات وزارة الثقافة السورية ، دمشق1991.

-تاريخ الملك الظاهر ،اعتناء أحمد حطيط،المعهد الألماني للأبحاث الشرقية ، بيروت 1983.

49) عماد الدين اسماعيل أبي الفداء:

-المختصر في أخبار البشر ، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، دار المعارف ، القاهرة ، د ت

50) قطب الدين موسى بن محمد اليونيني(ت 726هـ/1326م)

ذيل مرآة الزمان ،مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ،الهند 1954.

51) محمد بن شاكر الكتبي:

-فوات الوفيات ، تحقيق إحسان عباس ،دار صادر بيروت1974.

52) محمد بن علي ابن طقطقي :

-الفخري في الآداب السلطانية ، دار صادر بيروت ، د ت .

53) محي الدين بن عبد الطاهر:

-تشريف الأيام و العصور في سيرة الملك المنصور ،تحقيق مراد كامل، الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة 1961.

ثانيا – *المراجع :*

1– باللغة العربية:

1. أبرار كريم الله:

من هم التتار؟ الهيئة المصرية العامة للكتاب1994.

2. أحمد حطيط:

حروب المغول،دار الفكر اللبناني،بيروت 1999.

3. أحمد شلبي:

-موسوعة التاريخ الإسلامي و الحضارة الإسلامية ، مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة 1987.

4. **أحمد مختار عبادي و إبراهيم محمد علي مرجونة:**

المغول و الحضارة الإسلامية ،مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية2010 .

5. **آدم متز:**

الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة : عبد الهادي أبو ريدة،دار الكتاب العربي، بيروت.

6. **إسماعيل باشا البغدادي :**

هدية العارفين ، دار إحياء التراث العربي بيروت.

7. **السيد الباز العريني:**

المغول ،دار النهضة العربية ، بيروت 1981

8. **الكبي زهير :**

موسوعة الخلفاء المسلمين،دار الفكر العربي ،بيروت،ط01 1994،ج 02

9. **إيلي منيف شهلة :**

الأيام الأخيرة من حياة الخلفاء ،دار الكتاب العربي ،دمشق 1998.

10. **إيمان محمد زكي:**

الأسرة الجوينية في زمن المغول، دار الآفاق العربية،القاهرة 2014.

11. **إيناس سعدي عبد الله:**

تاريخ العراق الحديث1258-1918م ،دار و مكتبة عدنان ،بغداد2014

12. **توماس أرنولد :**

الدعوة إلى الإسلام ،ترجمة حسن إبراهيم حسن مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1970.

13. **ثروت عكاشة :**

إعصار من الشرق "جنكيز خان" ، دار الشروق ، بيروت ،ط05 ، 1992

14. **جعفر حسين خصباك :**

العراق في عهد المغول الإيلخانين ، مطبعة العاني بغداد،1968

15. جلال يوسف العطاري:

حركة التأليف العلمي في مصر و الشام في العصر المملوكي الأول،دار الفكر ، الأردن 2011.

16. حافظ احمد حمدي :

الدولة الخوارزمية و المغول ،دار الفكر العربي ،بيروت.

17. حامد زيان غانم:

صفحات من تاريخ الخلافة العباسية في ظل دولة المماليك ، دار الثقافة ، القاهرة 1978.

18. حسن إبراهيم حسن :

تاريخ الإسلام ،دار الجيل ،لبنان ، 2001، ط 15

19. حسن شمسياني :

– سنجار من الفتح العربي الإسلامي حتى الفتح العثماني، دار الأفاق الجديدة،لبنان.

20. حمود مضعان عيال سلمان :

ابن الفوطي مؤرخاً، وزارة الثقافة ، الأردن 2014.

21. خير الدين الزركلي :

الأعلام ،دار العلم للملايين ، بيروت 2002.

22. راغب السرجاني :

قصة التتار من البداية إلى عين جالوت ،مؤسسة اقرأ القاهرة،2006.

23. رجب محمد عبد الحليم :

انتشار الإسلام بين المغول ، دار النهضة العربية ، شبرا ، 1986 .

24. رغد عبد الكريم احمد النجار :

إمبراطورية المغول ، دار غيداء للنشر و التوزيع ، عمان 2012.

25. رفائيل بابواسحق:

أحوال نصارى بغداد في عهد الخلافة العباسية ، مطبعة شفيق بغداد،1960

26. سحر السيد عبد العزيز سالم:

العراقيون في مصر في القرن السابع الهجري،مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،1991.

27. سعيد الديوهجي :

الموصل في العهد الاتابكي ،بغداد 1958.

28. سعيد عبد الفتاح عاشور:

-المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك،دار النهضة العربية القاهرة1992.

-الأيوبيون و المماليك في مصر و الشام ، دار النهضة العربية ، القاهرة 1996

29. عباس اقبال ،ترجمة عبد الوهاب علوب:

-تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية ،المجمع الثقافي ،أبو ظبي 2000

30. عباس العزاوي:

تاريخ العراق بين احتلا لين ،"حكومة المغول"1258-1338م،مطبعة، بغداد1935.

31. عبد السلام عزيز فهمي :

تاريخ الدولة المغولية في إيران ، دار المعارف ، الإسكندرية 1981

32. عبد العزيز عبد الله الحميدي :

–التاريخ الإسلامي مواقف و عبر ، دار الدعوة ،الإسكندرية 2004 .

33. عبد الله بن فراج الشهري :

دور العلماء المسلمين في حركة الجهاد الإسلامي ضد المغول (616 - 720هـ/ 1218-1322 م) ، دار الهدى النبوي للنشر و التوزيع ،المنصورة مصر ،ط2013،01.

34. عبد الله بن محمد الطريقي :

معجم مصنفات الحنابلة ،مكتبة الملك فهد، الرياض 2001.

35. عصام الدين عبد الرؤوف :

–بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي ،دار الفكر العربي ،بيروت .

36. علاء الدين محمود قداوي:

الموصل و الجزيرة الفراتية في عهد دولة المغول الايلخانية ،دار غيداء للنشر الأردن، 2014..

37. علي ظريف الاعظمي :

–مختصر تاريخ البصرة ، مطبعة الفرات ، بيروت 1927 .

38. عمر رضا كحالة :

معجم المؤلفين ، مؤسسة الرسالة، بيروت 1993.

39. عمر سليم عبد القادر التل :

متصوفة بغداد في القرن السادس هجري، دار المأمون للنشر و التوزيع ، عمان 2009،.

40. فاروق عمر فوزي :

الخلافة العباسية السقوط و الانهيار (الجزء الثاني)، دار الشروق للنشر و التوزيع ، عمان ،الأردن 2009.

41. فؤاد عبد المعطي الصياد :

المغول في التاريخ ، دار النهضة العربية ،بيروت 1980 .

42. فيليب دي طرازي :

خزائن الكتب العربية ، وزارة التربية الوطنية و الفنون الجميلة ، لبنان 1947.

43. كارل بوكلمان:

تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة منير البعلبكي و نبيه أمين فارس ،دار العلم للملايين،بيروت ،ط05، 1968.

44. كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني:

أصول البلاغة ، نشر مؤسسة الإمام الصادق ،قم 2012.

45. كوركيس عواد:

الذخائر الشرقية ، جمع و تقديم جليل العطية ،دار الغرب الإسلامي بيروت ، 1999،

خزائن الكتب القديمة في العراق ، مطبعة المعارف بغداد، 1948،

46. لكي لسترنج :

بلدان الخلافة الشرقية ،نقله إلى العربية بشير فرنسيس ، مؤسسة الرسالة ،بيروت 1985،ط02 .

47. ماجد سليمان الفهداوي :

دور العلماء في إنقاذ العراق بعد احتلال بغداد عام 656هـ.مطبعة أنوار دجلة ،ط 01.

48. محمد جمال الدين سرور :

الظاهر بيبرس و حضارة مصر في عصره، مطبعة دار الكتب المصرية ،القاهرة 1938.

49. محمد حسن سهيل الدليمي:

الإقطاع في الدولة العباسية(447-656هـ)،مركز البحوث و الدراسات الإسلامية العراق.

50. محمد رشيد :

قرة العين في تاريخ الجزيرة و العراق و النهرين ، مطبعة الرشيد ،العراق 1907.

51. محمد سهيل طقوش :

تاريخ المغول العظام و الايلخانيين ،دار النفائس ، بيروت 2007.

52. محمد شعبان أيوب :

الخلافة العباسية منذ سيطرة السلاجقة حتى سقوط بغداد.

53. محمد عبد الله عودة و آخرون:

مختصر التاريخ الاسلامي ، الاهلية للنشر و التوزيع ، عمان 1989.

54. محمد عبد الله أحمد القدحات :

-الحياة الاجتماعية في بغداد في العصر العباسي الاخير، دار البشير ، عمان 2005.

55. محمد علي الصلابي :

دولة المغول و التتار بين الانتشار و الانكسار ،دار المعرفة ،بيرةت2009.

56. محمد ماهر حمادة :

وثائق الحروب الصليبية و الغزو المغولي للعالم الاسلامي، مؤسسة الرسالة ،بيروت 1982 .

57. محمد محمد أمان :

الكتب الاسلامية ، مكتبة الملك فهد ، الرياض 1990.

58. محمد مظهر باقا:

معجم الأصوليين ، ،مركز البحوث الاسلامية ، مكة 1999.

59. محمد مفيد آل ياسين :

الحياة الفكرية في العراق في القرن السابع هجري ،الدار العربية للطباعة بغداد،1979.

دراسات في تاريخ العراق في العهد الأيلخاني(عهد السيطرة المغولية 656 – 737هـ)،دار غيداء للنشر و التوزيع ،عمان،2009.

60. محمد نور الدين :

الامبراطورية المغولية بقيادة جنكيز خان .

61. محمود شاكر :

التاريخ الاسلامي ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، 2000،ج 06.

62. محمود شكري الألوسي:

تاريخ مساجد بغداد و أثارها،مطبعة دار السلام ،بغداد1948.

63. مصطفى جواد :

الرُبُط الصوفية البغدادية و أثرها في الثقافة الإسلامية، الدار العربية للموسوعات ، بيروت 2006.

64. مصطفى طه بدر :

محنة الاسلام الكبرى أو زوال الخلافة العباسية من بغداد على أيدي المغول ،الهيءة العامة المصرية للكتاب ، القاهرة ،1999.

65. مفيد الزيدي :

موسوعة التاريخ الاسلامي "العصر المملوكي"،دار أسامة للنشر و التوزيع ، الأردن 2009.

66. ميعاد شرف الدين الكيلاني :

مدارس بغداد القديمة ،دار الكتب العلمية ، بيروت.دت

67. **ناجي معروف** :
المدارس الشرابية ببغداد و واسط و مكة ، مطبعة الإرشاد ، بغداد1965.
تاريخ علماء المستنصرية ، مطبوعات دار الشعب ، القاهرة.
نساء بغداديات في العصر العباسي ، دار الجمهورية للطباعة بغداد 1967.
مدارس واسط ، مطبعة الإرشاد ، بغداد 1966.
نشأة المدارس المستقلة في الإسلام،مطبعة الأزهر ، بغداد 1966.
68. **هولو جودت فرج**:
-البرامكة سلبياتهم و ايجابياتهم،دار الفكر اللبناني ،بيروت 1990.

2 - باللغة الأجنبية :

1. DENISE AIGLE : The Mongol Empire between Myth and Reality , Leiden Boston,2014
2. LEBARON C.D'OHSSON: Histoire Des Mongol Depuis Tchinguis-Khan Jusqu'a Timour Bey, La Haye Et Amesterdam, Les Freres Van Cleef, 1834
3. MICHAEL BURGAN Empire : The Mongol, Facts on File , INC NewYork, 2005.
4. PETER JACKSON: The Mongols and The Islamic World ،Yale University Pressnew Haven And London، 2017
5. URGUNGE ONON ،The Secret History Of The Mongols, Routledge Curzon، London 2001.

ثالثا – الرسائل الجامعية :

1- **خالد كبير علال :**

- الحياة العلمية الحنبلية و أثرها في المشرق الإسلامي في القرنين 6-7هـ/12-13م ،رسالة دكتوراه ،جامعة الجزائر 2003.

2- **يحي عبد الهادي حسين :**

- الفتوة في بغداد في العصر العباسي الأخير ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، الجامعة الأردنية 1992.

رابعا: المقالات:

1. **بشار عواد معروف :**

الغزو المغولي كما صوره ياقوت الحموي، مجلة الأقلام ، السنة الأولى ربيع الثاني 1385هـ

2. **حسين أمين :**

المدارس الإسلامية في العصر العباسي ،مجلة بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية

3. **رياض عبد الحسين راضي البدراوي:**

مكانة التصوف في مجتمع دولة مغول فارس و العراق، مجلة لارك للفلسفة و اللسانيات والعلوم الاجتماعية ، العدد 23، السنة2016.

4. **عبد الهادي نايف القعدة:**

الادارة السلجوقية في بغداد، مجلة دراسات للعلوم الانسانية ، الجامعة الأردنية المجلد 42،ملحق1 ، 2015.

5. **محمد عبد الله القدحات:**

الاهتمامات العلمية للخلفاء العباسيين (575-656هـ/1179-1258م) ، مجلة العصور،لندن ، مج 14،ج2002.

الأوقاف ودورها في توفير مستلزمات التعليم في بغداد550-656هـ/1160-1258م،مجلة الباحث في العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، العدد12 ،جوان 2018.

خامسا: الموسوعات

1. **عبد الرزاق الحسيني، عبد العزيز الدوري** :

كتب دائرة المعارف الإسلامية 15 (بغداد)، دار الكتاب اللبناني،بيروت 1984.

2. **محمد ثابت الفندي وآخرون** :

دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الأول، مطبعة مصر،1934

الفهارس

فهرس الأعلام

فهرس الأماكن

فهرس القبائل

فهرس المذاهب والفرق

فهرس الموضوعات